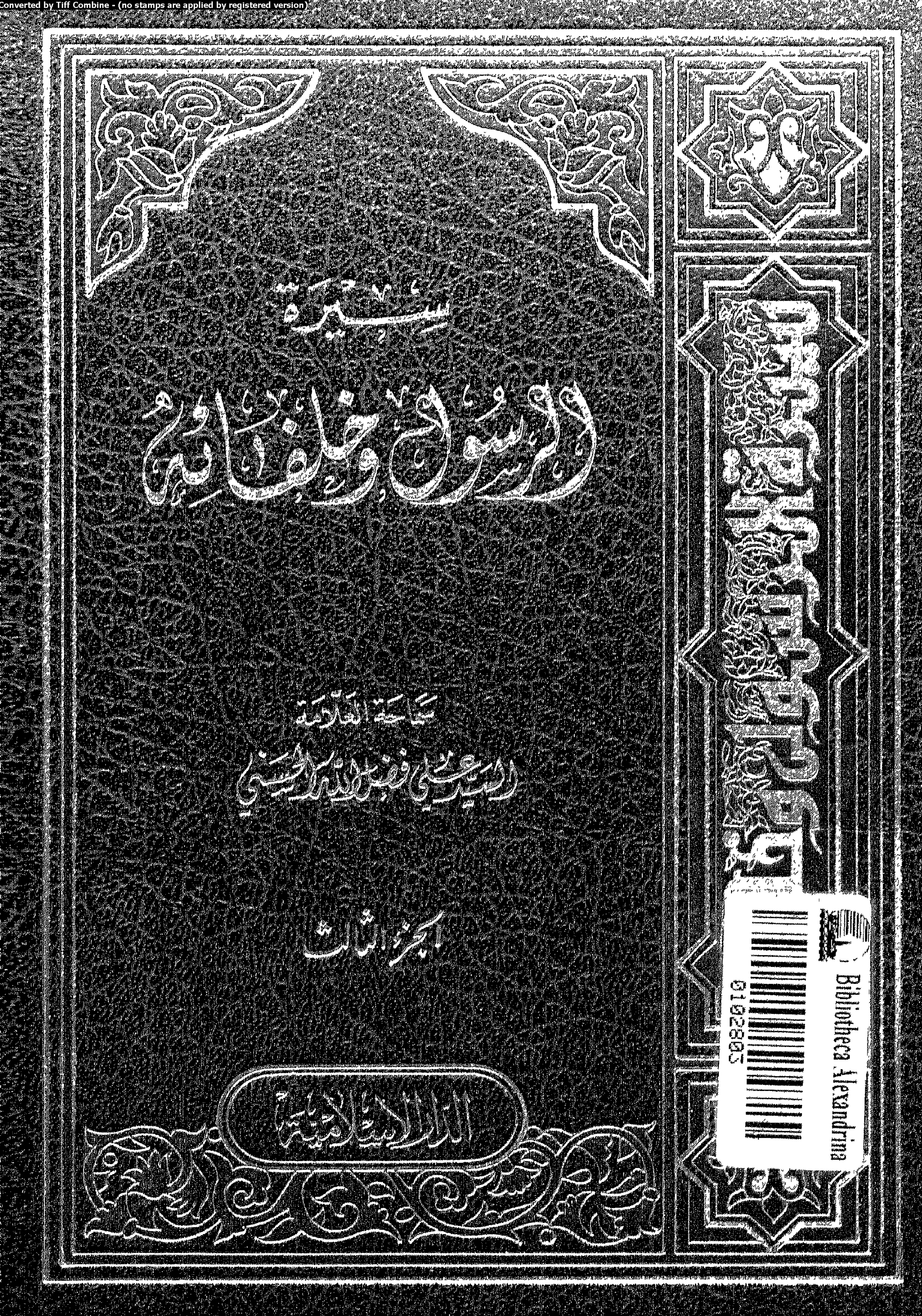

سيرة
الرسول وخلفائه
سماحة العلامة
السيد علي فضل الله الحسني
الجزء الثالث
الدار الإسلامية
Bibliotheca Alexandrina
0102805



سيرة

الرسول وخلفائه

٣



سيرة

الرسول وخلفائه

سماحة العلاّمة

السيد علي فضل الله الحسني

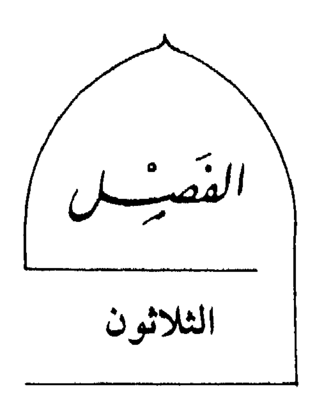
الجزء الثالث

الدار الإسلامية

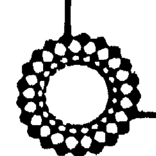
الطبعـة الثانيـة
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م



كورنيش المزرعة - بناية الحسن سنتر الطابق الثاني
هاتف: 816627. ص ب: 14/5680
المكاتب والمستودعات - حارة حريك شارع دكاش
هاتف: 820704 - 835670. ص ب: 25/209



الفصل الثلاثون



السرايا ـ والغزوات

لما استقر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعض الاستقرار بمضي عدة اشهر من مكثه في المدينة ، وبعد أن أعد مسجده النبوي الشريف ومساكن ازواجه ، وكذلك فعل المهاجرون . صمم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على العمل لاتمام رسالته المقدسة ـ رسالته الدينية ـ الاصلاحية ـ الاجتماعية .

عمل (صلى الله عليه وآله وسلم) على السير قدما بما تفرضه عليه شريعة السماء من استمرار التبشير والدعوة الى التوحيد .

ولم يكن فعله هذا انتقاما من أعدائه ومن اهل مكة لأنهم آذوه واخرجوه من داره وآذوا أصحابه المسلمين ، كما يزعم بعض المستشرقين والدساسين ويتقول اهل الاغراض والغايات ـ.

كلا . . . ثم كلا حاشا لنبي الرحمة أن يوصف بالانتقام كما يزعمون لان روح الاسلام وتعاليمه العظيمة ومكارم اخلاق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المتسمة بالحلم ، والعفو ، والصفح الجميل ، تنزهه عن ذلك .

لأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لو أراد الانتقام كما يزعم

المغرضون واعداء الاسلام ، لانتقم من اهل مكة بعدما نصره الله عليهم بعد الفتح .

بل عفا عنهم وقال كلمته المشهورة المعبرة عن الصفح والحلم : من دخل داره فهو آمن ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، حتى جعل لرأس الشرك والضلال اعدى اعداء الاسلام ابي سفيان ميزة بقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : من دخل دار ابي سفيان فهو آمن - الى آخره - . . .

ويشهد التاريخ على أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)لاقى من الأذى الصادر من المنافقين واليهود في المدينة الشيء الكثير . . ولكنه بالنسبة لأذى مشركي مكة كان يسيرا . . لأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان في المدينة في غاية العزة والمنعة والقوة بين اصحابه الذين كانوا يفدونه بالمهج والارواح .

وحينما قويت شوكة الاسلام ، واشتد جناح المسلمين اذن الله سبحانه وتعالى للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين آية غالبها نزل في مكة . منها قوله تعالى : ﴿ **فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون** ﴾[1] .

وفي مجمع البيان للطبرسي قوله : فاصبر يا محمد على اذى هؤلاء الكفار واصرارهم على كفرهم ، ان وعد الله حق بالعذاب والتنكيل لاعدائك والنصر والتأييد لك ولدينك ، ولا يستخفنك ، أو يستفزنك الذين لا يوقنون بالبعث والحساب ، فهم ضالون .

---

(١) سورة الروم ، آية ٦٠.

وقيل : ولا يحملنك كفر هؤلاء على الخفة والعجلة لشدة الغضب عليهم لكفرهم بآياتك فتفعل خلاف ما امرت به من الصبر والرفق .

وقوله تعالى : **﴿ واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ﴾**[1]والمعنى أنه ليس عليك الا البلاغ واتبع ما يوحى اليك يا محمد واصبر على اذى الكافرين وتكذيبهم حتى يحكم الله بينك وبينهم باظهار دينه واعلاء امره ، لأنه سبحانه لا يحكم الا بالعدل والصواب .

وتقول الروايات : ان الكثير من الصحابة كانوا يأتون الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ما بين مضروب ومشجوج . . . فيقول لهم : اصبروا لم أؤمر بالقتال بعد . . .

وبعدما هاجر (صلى الله عليه وآله وسلم) بفترة وجيزة أذن الله سبحانه وتعالى بالقتال بقوله عز وجل : **﴿ أُذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾**[2].

وقوله تعالى : **﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ﴾**[3].

وقوله تعالى : **﴿ ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله . . ﴾**[4].

والحكمة من تأخير الاذن بالقتال على ما يذكره المؤرخون واصحاب

---

(١) سورة يونس، آية ١٠٩.
(٢) سورة الحج، آية ٣٩.
(٣) سورة البقرة، آية ١٩٠.
(٤) سورة التوبة، آية ، ١١١.

السير أن المسلمين لما كانوا بمكة كان المشركون اكثر عدداً . . واقوى شوكة . . واوفر مالا ، وكان المسلمون اقل عددا واضعف شوكة . .

فلو امر الله سبحانه وتعالى المسلمين حينذاك بالقتال وهم بهذه القلة لشق عليهم ذلك ، والله العالم .

ولكن لما بغى المشركون وأخرجوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من بين أظهرهم ، وبعد ان لاقى ما لاقاه من الاذى هو واصحابه حتى انه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يقول : « ما أُوذي نبي مثل ما اوذيت ».

وبعد استقراره (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمدينة كما ذكرنا واجتمع عليه المهاجرون والانصار الذين كانوا يقدمون محبته على محبة آبائهم وابنائهم ، وازواجهم وبعدما أصر المشركون على الكفر والتكذيب ، واصبحت المدينة المنورة دار الاسلام ، ومعقل المؤمنين يلجؤ ن اليها . . عندها اذن الله تعالى لرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) بقتال اعداء الاسلام واذن بالجهاد في سبيل الله ونشر الرسالة المقدسة .

فبعث (صلى الله عليه وآله وسلم) البعوث والسرايا ،وغـزا بنفسه . وقد جرت عادة المحدثين واهل السيرة واصطلاحاتهم غالباً أن يسموا كل عسكر حضره النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه الكريمة « غـزوة » وما لم يحضره بل ارسل في بعضها من اصحابه الى العدو « سرية ـ وبعثا ».

واستمر (صلى الله عليه وآله وسلم) هو واصحابه يقاتلون حتى

دخل الناس في دين الله افواجا ، وجاؤوا بعد الفتح من اقطار الارض مسلمين .

يذكر الواقدي في كتابه المغازي : كانت مغازي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) التي غزاها بنفسه سبعاً وعشرين غزوة . وكان ما قاتل فيها تسعا : بدر القتال، وأحد، والمريسيع ، والخندق، وقريظة ، وخيبر، والفتح ، وحنين ، والطائف .

وكانت السرايا سبعاً واربعين سرية ،ـ الى آخره ـ.

اوّلها سرية حمزة بن عبد المطلب في رمضان على رأس سبعة اشهر من مهاجرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .



سرية حمزة بن عبد المطلب

قال الواقدي : اول لواء عقده رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد ان قدم المدينة ، لحمزة بن عبد المطلب ، بعثه في ثلاثين راكباً شطرين ، خمسة عشر من المهاجرين وخمسة عشر من الانصار .

فبلغوا سيف البحر يعترضون لعير قريش . قد جاءت من الشام تريد مكة ، فيها ابو جهل، فيها ثلاثمائة راكب من اهل مكة . فالتقوا حتى اصطفوا للقتال ، فمشى بينهم مجدي بن عمرو وكان حليفاً للفريقين ، فلم يزل يمشي الى هؤلاء والى هؤلاء حتى انصرف القوم ، وانصرف حمزة راجعاً الى المدينة في اصحابه وتوجه ابو جهل في عيره واصحابه الى مكة ، ولم يكن بينهم قتال[١] .

لكن نرى بعض المؤرخين واصحاب السير كابن هشام وغيره يقولون : أن سرية حمزة بن عبد المطلب كانت مؤلفة من المهاجرين دون الانصار .

وبعض يعلل أنه : كانت سرية حمزة من المهاجرين فقط لانهم خرجوا من مكة بعقيدتهم وايمانهم ، وبقيت اموالهم نهباً للمشركين.

وبعض آخر يقول ايضاً ان الأنصار كانوا قبل ذلك شرطوا على

---

(١) المغازي، للواقدي، ج١ ، ص ٩.

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يدافعوا عنه في المدينة ولا يخرجـون لغيرها .

اقول اذا تأملنا في سلوك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسلوك اصحابه من مهاجرين وانصار يترجح قول من قال بان سرية حمزة كانت مؤلفة من شطرين ، من مهاجرين وانصار. ويقوي ذلك أنه لم يكن الأنصار قد آثروا أنفسهم دون المهاجرين ، بل ساووهم ، وآخوهم ، وساروا معاً في الدفاع عن النبي وحرب المشركين اعداء الإسلام، ويدا واحدة لنشر الرسالة المقدسة في جميع المواقع العديدة التي ذكرها التاريخ .

مضافا الى أن الواقدي هو من أول المؤرخين في سيرة النبي (صلى الله عليـه وآله وسلم) وغـزواته - لأنـه ولـد سنـة ١٢٩ هـ وتـوفي سنـة ٢٠٧ هـ - .

اذا هو قريب عهد من الصحابة والتابعين الذين عاشوا تلك الحروب والغزوات وعلى هذا يكون الواقدي اعرف من غيره واقرب تناول لحوادث التاريخ الاسلامي .

بحث وتحليل

مما يلفت النظر أن الكثير من المستشرقين الحاقدين على الاسلام زعموا أن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قد صمم على الاخذ بثأره من قريش التي اخرجته من مكة ، وان اصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قد صمموا أيضاً على ذلك من حين نزوحهم من جور القرشيين .

ومما يدحض مزاعم هؤلاء الدساسين أن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) كان من مكارم الاخلاق بمنزلة عالية ولم يفكر في الانتقام . ويعرف هذا أنه يوم دخل مكة فاتحاً ترفرف على رأسه راية العز والنصر لم يدخلها دخول الفاتحين الجبارين ، بل دخل (صلى الله عليه وآله وسلم) متواضعاً، لتكاد لحيته تمس وسط رحله ، واعطى رايته ابن عمه علياً (عليه السلام) بعدما سمع ان سعد بن عبادة كان ينشد ويقول : وهو يحمل الراية حين دخوله مكة ـ اليوم يوم الملحمة . . اليوم تُسبى الحرمة ـ فخشي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن تأخذ التأثرات النفسية سعداً وغيره من المسلمين الذين اضطُهدوا وعُذِّبوا بالأمس . . الى آخره فيكون لهم في قريش صولة .

اخذ الراية علي (عليه السلام) ودخل مكة وهو يقول : اليـوم يوم المرحمة ـ اليوم تصان الحرمة . كما سيأتي .

لقـد دأب فـريق من المستشـرقـين عـلى الـطعن بـالاسـلام وسلوك المسلمين ووصفوهم بانهم اهل بادية ، وبأن اهل البادية على حد زعمهم قـد فطروا عـلى النهب والسلب وحب التسلط ، وأن السرايـا الاولى انما كان يقصد بها الى نهب تجارة القوافل القادمة من الشام وغيرها .

وان اهـل المدينـة انما اغـرتهم الغنيمة والسلب والنهب، الـذي هـو بعض طبـاعهم ، على اتبـاع محمد (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) وليس عن ايمان وعقيدة .

وهـذه المـزاعم والافـتراءات مـردودة لا يقبلهـا العقـل ولا يقـرهـا الوجدان ، لأن التاريخ يشهد بان اهل المدينة كانـوا كاهـل مكة يحبـون الاستقرار، فاهل مكة اهل تجارة، واهل المدينـة اهل زراعـة ، ويثرب ـ المدينة ـ كانت مدينة قديمـة ذات نخل وتجـارة، وحضارة ، كـما يذكـرها المؤرخون ، فكيف يوصف اهل المدينة بانهم اهل بادية !؟ وانهم لم يكن من همهم سوى السلب والنهب .

ولكن ما حمل المستشرقين الذين حقدوا على الاسلام سـوى الطيش وعدم التأمل والمجازفة بحوادث التاريخ الصحيحة .

واعود فاقول : أن أهل المدينة اهل زراعة يحبون الاستقرار، وهـذا مما يجعلهم لا يتحركون الى قتال الا لدافع قـوي كدفـاعهم عن الاسلام والعقيدة وحبهم للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ثم ان القتال لم يشرع في الاسلام ، ولم يقم به محمد واصحابه لهذه الغاية البدوية التي يتوهمها المستشرقون واصحـاب الدِس والنفـاق، وانما شـرع القتال في الاسـلام وقام بـه محمد (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم)

واصحـابه حتى يكـون لهم من حريـة الـدعـوة لـدين الله وتـوحيـده مـا يشاؤ ون .

والذي يزيدنا وضوحاً أن رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) انما كان يـرمي من وراء المعاهـدات التي وادع بها اليهـود، والاخاء بـين المهاجرين والانصار وغير ذلك . . .حتى لا يتسرب اهل الفتن بين صفوف المسلمين ولا يكون لقـريش فيهم مطمـع فلا يحـاول المشركـون ملاحقـة الذين هاجروا الى المدينة فراراً بدينهم كما حـاول اهل الشـرك من قريش من قبل اعادة المسلمين من بلاد الحبشة .

والعجب من بعض المستشـرقـين الـذين يتقـولـون عـلى الاسـلام ويصفونه بانه انما نهض للحرب واراقة الدمـاء، والتسلط على الأمـوال، وغزو البلاد، لغرض العز والسلطان . . بعكس روح المسيحية التي تنكر القتال على اطلاقه .

انني لست بصدد بحث عما فعله المسيحيون في اوربـا وغيرهـا ، ولكن لا بد من الاشارة الى أن تـاريخ الاسـلام امامنـا شاهـد عدل . . وتاريخ المسيحية امامنا شاهد عدل.

منـذ فجر المسيحيـة الى يومنـا هذا خضبت اقـطار الأرض بالـدمـاء بـاسم السيـد المسيـح . خضبهـا الـروم ـ وخضبتهـا امم اوربـا كلهـا ، وليست الامم الاسلامية . .

والحـروب الصليبية . . انمـا اذكى لهيبها المسيحيـون لا المسلمون . ولقد ظلت الجيوش باسم الصليب تنحدر من أُوربا خلال مئات الاعوام قاصدة اقطار الشرق الاسلامية . .

ولرب قائل يقول : ان الحروب الصليبية وغيرها كانت في العصور الوسطى، عصور الظلام ، عصور الانحطاط . . . فما قولهم الآن ، ونحن في نهاية القرن العشرين الميلادي، والذي يسمونه عصرالحضارة والنور، في الحروب الدامية التي تدور في شرق البلاد وغربها.

ولكن يا للأسف لا نسمع الا كلمات نبذ الحرب، والسلام الدائم، والمحبة، والاخاء والتعاون ، والقاء السلاح ، والتحكيم ، الى ما هنالك من الخطب الرنانة، والكلمات البراقة، التي يجعلونها سلماً للمنابر ولاستعمار الشعوب المستضعفة .

واذا تأملنا ونظرنا بعين الاعتبار نرى جميع الامم على اختلاف اتجاهاتها ، والتي هي تتشدق بالسلام والحرية تزداد في الجور والاستبداد افتتانا، وفي صنع الآلات الحربية والمعدات الجهنمية المدمرة دقة واتقانا ، ثم يصفون انفسهم بانهم حماة الشعوب، حاملي مشعل الحرية والامان .

انها كلمات تقال ـ للاستهلاك المحلي ـ لانها مجرد دعايات مضللة تلقى في جو الحياة على اناس ضعفاء لم يستطيعوا ان يعملوا شيئاً أو ان يدافعوا عن انفسهم .

والواقع لو أن هناك دين يردع ، او ضمير حي، عند الاقوياء اهل السلطة والنفوذ، او توعية عند الشعوب المستضعفة ـ الصغيرة ، او الدول النامية كما تسمى اليوم ـ لما سادت شريعة الغاب .

ومن الدعايات الباطلة والقرارات المضللة « عصبة الامم » كما سميت أولاً « وهيئة الامم » كاسمها الحاضر او « مجلس الأمن»التي لا

تحمل في واقعها سوى الاسماء والالقاب، ولاجل حقوق الشعوب المستضعفة. لكن الحقيقة ما هي الا منبر للاقوياء، وميدان لا يستفيد منه الا العمالقة الكبار . . .

ومن ذلك نرى ـ مثلا : مجلس الامن . . وحق النقض . . « الفيتو » فان اي دولة ظالمة اعتدت على دولة اخرى اضعف منها ، ورفعت الظلامة الى مجلس الأمن ، واراد « مجلس الامن » ان يقول كلمته في حق المعتدي ، تقف دولة كبرى من دول خمسة[1] التي لها حق النقض وتجعل ـ الفيتو ـ فيبطل كل مشروع أُعد لانقاذ المظلوم صاحب الحق الذي اعتدي عليه وخربت بلاده ودمرت اقتصادياته.

وبحق « الفيتو » الجائر يذهب حق الضعيف هدراً، ولم يبق للضعيف المظلوم اي وسيلة ـ أو حيلة سوى التسليم بالامر الواقع.

ومن جملة الدعايات والتمويهات منظمة « العفو الدولية » ولجنة الدفاع عن حقوق الانسان وغيرهما .

منظمات . . . ولجان ليس لها اي اثر عند الحاجة ، أو أي حول أو طول، في اغاثة المظلومين ، وما هي هذه المنظمات ، او المؤتمرات ، سوى مركز للدعاية والنشر، والمتاجرة باسم نصرة المظلومين، والمساومة على حقوق المستضعفين .

ومن اعجب الاعاجيب اننا نرى ان المظلومين بالعشرات ، لا بل بالمئات ، او الالوف، لا يسمع لهم صوت ، ولا يعارُ لهم اي انتباه ،

---

(١) الولايات المتحدة الامريكية، الاتحاد السوفياتي، بريطانيا، فرنسا، الصين الشعبية، هذه الدول التي لها حق، النقض، « الفيتو».

بالوقت الذي نرى فيه الاذاعات العالمية تطبل، وتزمر لأي حادثة فردية بسيطة . . .

ولا تهتز المشاعر ، او يتحرك الضمير العالمي لعشرات القتلى والمئآت والألوف التي تتساقط يومياً في كل بلد او قرية فضلا عن تشرد الاطفال ، والنساء ، ودمار البيوت والمساكن الى غير ذلك من ويلات الحروب .

ولا اظن ان اصحاب المنظمات واللجان الا أنهم من جملة الجانب القوي المستبد الذي يطبق قول الشاعر :

قتل امرىء في غاية جريمة لا تغتفر
وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر

التنفيذ

تتابعت السرايا فكانت سرية عبيدة بن الحارث على رأس ثمانية أشهر من هجرته (صلى الله عليه وآله وسلم) الى رابغ فخرج عبيدة في ستين راكبا فلقي ابا سفيان بن حرب على ماء يقال له «احياء» من بطن رابغ ، وابو سفيان يومئذٍ في مائتين . واصطف الفريقان للقتال، ولكن لم يكن قتال سوى الرمي والمناوشة، ثم انصرف هؤلاء على حاميتهم وهؤلاء على حاميتهم .

وعلى رواية ابن هشام : ان سعد بن أبي وقاص قد رُمي يومئذٍ بسهم فكان اول سهم رمي به في اسلام .

وجاءت سرية سعد بن أبي وقاص الى الخرَّار في ذي القعدة على رأس تسعة اشهر من مهاجرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في عشرين ـ او واحد وعشرين رجلا ـ ويقال ثمانية ـ لتعترض عيراً لقريش ولكنها لم تدركها .

وغزا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على رأس احد عشر شهراً حتى بلغ « الابواء » يعترض لعير قريش فلم يلق كيداً .

وفي هذه الغزاة وادع بني ضمرة من كنانة على ألا يكثروا عليه ، ولا يعينوا عليه احدا . ثم جعل بينهم كتابا ثم رجع ، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة .

ثم كانت غزوة بواط في ربيع الاول على ثلاثة عشر شهراً يعترض قافلة لقريش فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش والفان وخمسمائة بعير ، ثم رجع ولم يلق كيداً .

وتلتها غزوة « بدر الاولى » في ربيع الأول في نفس الشهر من غزوة بواط . في طلب كرز بن جابر الفهري، الذي اغار على سرح المدينة وكان يرعى بالجماء[1] ونواحيها . حتى بلغ بدراً ـ لذلك سميت بدر الاولى ـ[2].

واذا تأملنا جيداً نرى ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) انما كان يرمي من وراء السرايا والغزوات التي كانت تتألف من اعداد قليلة ، من ثلاثين رجلا كما في سرية حمزة بن عبد المطلب، او من عشرين رجلا كما في سرية سعد بن ابي وقاص ـ وعلى رواية أنها من ثمانية ـ او من ستين رجلا كما في سرية عبيدة بن الحارث . فليس من المعقول ان يجازف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو القائد العظيم الحريص على اصحابه . بهذا العدد القليل لمحاربة قريش وذؤبان العرب ، ومجابهة قوى الشر والعدوان التي كانت ضد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه ليفهم المشركين بان الاسلام قوة .

وفي رأيي انه ليس من غرض لهذه السرايا البسيطة ، أو المناوشات الجزئية، سوى ظهور الاسلام والمسلمين بمظهر القوي المؤمن بحقه

---

(١) الجماء، جبل ناحية، العقيق الى الجرف بينه وبين المدينة ثلاثة أميال، والسرح الابل والمواشي التي تسرح للرعي بالغداة .

(٢) كتاب المغازي للواقدي، ج ١، ص ١٢ .

الـذي يذود عن حمـاه بنفسه، متسلحـاً بعقيدتـه التي تلبسه لبـاس العـز والمنعة، وان المسلمين قادرون على رد أي عدوان كـان ، ومن اي جهة كانت .

ويظهر مما ذكرنا أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان لا يمكنه ان يقف من تلك التحـرشـات ، والتحـديـات مـوقف المتسـاهـل - أو الضعيف - ، لكيـلا تنقض عليه الاعـراب وتطمـع به كـما حصـل في غارة كرز بن جابر الفهري حينما اغار على مواشي اهل المدينة .

لذلك نرى النبي (صلى الله عليـه وآله وسلم) لمـا علم بغارة كـرز خرج بنفسه مع عدد من اصحابه في طلبـه لتأديبـه حتى لا يكون لامثـال كرز طمع في اعادة الكرة .

هـذا المـوقف من النبي (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) كـان مـع التصميم عـلى المضي في دعوته ، وخروجـه بنفسه احيـانا مـع عدد من اصحـابه الى خـارج المدينـة ، واكثر الاعـراب لا يزالـون على شـركهم يتربصون الدوائر بمحمد واتباعه .

هذا النهج يبعث في نفوس اصحابه العزم والتصميم والاصـرار على المضي معه ، مضافاً الى انه يكون حافزاً لمن يرغب في الاسـلام أن يبقى على تصميمه ما دام الاسلام في طريقه الى الامـام يتحدى جميـع اعدائـه ومناهضيه .

وفي الوقت ذاتـه يكون رادعـاً لقريش ومن يسـاندهـا من المنـافقـين واليهـود والاعـراب، وانـذاراً لهم أنـه (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) بالمرصاد في كل وقت لكل من تحدثـه نفسه أن يقف في الـطريق الدعـوة

الاسلامية . فانه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يتراجع عن بث دعوته يوم كان في مكة بين اعدائه الذين أذاقوا اصحابه القلائل صنوف انواع الأذى والبلاء. فاولى به (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد صار في منعة من المهاجرين والأنصار الذين يستطيع أن يرد بهم كيد المعتدين ويمضي في دعوته حيث النصر الاكيد الذي وعده الله سبحانه وتعالى به فقال عز من قائل : ﴿ **فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا واشد تنكيلا** ﴾[1] .

لذلك مضى (صلى الله عليه وآله وسلم) لما امر به من نشر الرسالة المقدسة . وليكف ايضاً بأس الذين كفروا ، ونافقوا لا لينتقم من الذين آذوه وظلموه ، واخرجوه من بين اظهرهم .

وحاشا الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يكون من المعتدين ، او الظالمين او قطاع الطرق، كما يدعي ذلك الملحدون واعداء الاسلام .

---

(١) سورة النساء، آية ٨٥.

غزوة العشيرة

روى المؤرخون واصحاب السير ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج يعترض لعير قريش حين خرجت الى الشام ، وهي غزوة ذات العشيرة ، حتى بلغ ينبع ، واستخلف على المدينة ابا سلمة بن عبد الاسد، وكان يحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب .

روى ابن هشام في سيرته عن ابن اسحاق أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نزل العشيرة من بطن ينبع ، فاقام بها جمادى الاولى وليالي من جمادى الآخرة ، ووادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، ثم رجع الى المدينة ، ولم يلق كيدا .

وفي تلك الغزوة قال لعلي بن ابي طالب (عليه السلام) - يا أبا تراب -، عن عمار بن ياسر قال: كنت انا وعلي بن ابي طالب رفيقين في غزوة العشيرة، فلما نزلها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واقام بها ، رأينا اناسا من بني مدلج يعملون في عين لهم وفي نخل، فقال لي علي بن ابي طالب: يا أبا اليقظان ، هل لك في أن تاتي هؤلاء القوم ، فننظر كيف يعملون ؟

قال : قلت : إن شئت . .

قال : فجئناهم ، فنظرنا الى عملهم ساعة ، ثم غشينا النوم .

فانطلقت انا وعلي حتى اضطجعنا في صور[1] من النخل، وفي دقعاء[2]من التراب فنمنا ، فوالله ما اهبنا[3]الا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، يحركنا برجله ، وقد تتربنا من تلك الدقعاء التي نمنا فيها ، فيومئذٍ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي بن ابي طالب : مالك يا أبا تراب، لما يرى عليه من التراب، ثم قال: الا احدثكما باشقى الناس رجلين ! ؟ .

قلنا : بلى يا رسول الله .

قال : أحيمر ثمو[4]الذي عقر الناقة . . والذي يضربك يا علي على هذه ـ ووضع يده على قرنه ـ حتى يبل منها هذه ـ واخذ بلحيته[5] .

وروى ابن جرير الطبري في تاريخه هذه الرواية وزاد عليها أنه قيل لسهل بن سعد : ان بعض امراء المدينة يريد ان يبعث اليك تسب علياً عند المنبر، قال : اقول ماذا ؟

قال : تقول : ابا تراب . .

قال : والله ما سماه بذلك الا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

قال : قلت : وكيف ذلك يا ابا العباس ؟ .

---

(١) صور النخل، صغاره.

(٢) الدقعاء، التراب اللين .

(٣) اهبنا ، ايقظنا .

(٤) أحيمر ثمود، هو الذي عقر ناقة صالح، واسمه قيدار بن سالف.

(٥) السيرة النبوية، لابن هشام، ج ٢، ص ٢٥٠.

قال : دخل علي على فاطمة، ثم خرج من عندها، فاضطجع في فيء المسجد .

قال : ثم دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على فاطمة ، فقال لها : اين ابن عمك ؟ فقالت : هو ذاك مضطجع في المسجد .

قال : فجاءه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فوجده قد سقط رداؤه عن ظهره وخلص التراب الى ظهره ، فجعل يمسح التراب عن ظهره ويقول : اجلس ابا تراب . .

فوالله ما سماه به الا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ووالله ما كان له اسم احب اليه منه ![1] .

وفي سيرة ابن هشام ايضاً عن ابن اسحاق . قال : حدثني بعض اهل العلم، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انما سمى علياً ابا تراب، انه كان اذا عتب على فاطمة في شيء لم يكلمها ، ولم يقل لها شيئاً تكرهه ، ألا أنه يأخذ ترابا ويضعه على رأسه .

قال : فكان رسول الله (صلى الله عيه وآله وسلم) اذا رأى عليه التراب عرف انه عاتب على فاطمة ، فيقول : مالك يا ابا تراب ؟

لقد قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) في اول سنة من هجرته الشريفة كلمته الخالدة ـ لعلي وعمار ـ الا أُحدثكما باشقى الناس رجلين . . . أحيمر ثمود . .

---

(١) تاريخ الطبري، ج ٢ ص ٤٠٩.

والذي يضربك يا علي على هذه . . حتى يبل منه هذه . .

هذه الكلمة التي قالها الرسول الاعظم (صلىّ الله عليه وآله وسلم) بقيت لغزاً مدى اربعين سنة لم يعرف الناس لها تفسيراً حتى جاء احد الشقيين ـ وهو ابن ملجم المرادي لعنه الله ، فضرب عليا (عليه السلام) على رأسه وهو ساجد في محرابه تلك الضربة النكراء التي زعزعت اركان المسلمين وبعثت الفوضى في صفوفهم ، وظل صداها عبر السنين يمزق شراع سفينة الاسلام بنبال الفتن والاحقاد .

وأما رواية ابن هشام في سيرته التي ذكرها عن ابن اسحاق من أن علياً (عليه السلام) كان اذا عتب على فاطمة ، يأخذ التراب ويضعه على رأسه ، ومعناه انه غاضب عليها وعاتب . وعندما يراه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى رأسه التراب يعلم أنه في نزاع مع ابنته فاطمة ، فمما لا شك فيه أن هذه الرواية وما شابهها من المرويات هي من موضوعات المغرضين الحاقدين الذين كانوا يضعون رواياتهم ويلفقون احاديثهم لا يحملهم على هذا الا الحقد والكراهية لعلي واهل بيته الاطهار وارضاءً للطغاة من الحكام والسلاطين الجائرين .

وفي كتب التاريخ الكثير من الروايات الموضوعة والاحاديث الملفقة التي لا يقبلها العقل ولا تمت الى الصحة بصلة ، بل هي صادرة عن امثال عروة بن الزبير المعروف بحقده وكراهيته والذي كان يتعمد الكذب على علي (عليه السلام) ويضع في حقه الاحاديث المزورة واحياناً كان يروي ما يسيء الى علي واهل بيته ثم يسند مروياته الى خالته السيدة عائشة في اكثر الاحيان واظنها بريئة من مثل هذه المرويات .

على أن سيرة السيدة فاطمة سيدة نساء العالمين وحياتها الزوجية المثالية تدحض كل المزاعم والافتراءات والروايات الكاذبة .

فالسيدة فاطمة مثال الكمال والفضيلة هي بلا شك ارفع شأناً من ان تغضب زوجها الامام علي أو تسيء اليه بقول أو فعل . والتاريخ شاهد على ما نقول .



سرية عبد الله بن جـحش

ذكر ابن هشام في سيرته أنه : بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عبد الله بن جحش بن رئاب الاسدي في رجب، مقفله من بدر الاولى، وبعث معه ثمانيـة رهط من المهاجـرين، ليس فيهم من الانصار احد، وكتب له كتابا، وأمره ان لا ينظر فيه حتى يسير يومين ، ثم ينـظر فيه ، فيمضي لما امره به ، ولا يستكره احداً من اصحابه .

فلما سار عبد الله بن جـحش يومين فتـح الكتاب، فنـظر فيه، فـاذا فيـه : اذا نـظرت في كتـابي هـذا فـامض حتى تنـزل نخلة، بـين مكـة والطائف، فترصد بها قريشا وتعلم لنا من اخبارهم .

فلما نظر عبد الله بن جـحش في الكتـاب، قال: سمعـاً وطاعة، ثم قال لاصحابه : قد امـرني رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) أن أمضي الى نخلة ، ارصد بها قريشاً ، حتى آتيه منهم بخبر، وقد نهاني ان استكـره احـداً منكم، فمن كـان منكم يـريـد الشهـادة ويـرغب فيهـا فلينطلق . . ومن كره ذلك فليرجع . .

فاما انـا فماضٍ لامـر رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) . فمضى ومضى معه اصحابه ، لم يتخلف عنه منهم احد .

وسلك عـلى الحجـاز حتى اذا كـان بمعـدن ، اضـل سعـد بن ابي

وقاص ، وعتبة بن غزوان بعيراً لهما ، كانا يعتقبانه ، فتخلفا عليه في طلبه . ومضى عبد الله وبقية اصحابه حتى نزل بنخلة ، فمرت به عير لقريش تحمل زبيباً وأدماً[1]وتجارة من تجارة قريش ، فيها عمرو بن الحضرمي .

فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم ، فاشرف لهم عكاشةبن محصن ، وكان قد حلق رأسه ، فلما رأوه أمنوا ، وقالوا : عُمَّار ، لا بأس عليكم منهم .

وتشاور القوم فيهم وذلك في آخر يوم من رجب، فقال القوم : والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم به ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام فتردد القوم وهابوا الاقدام عليهم، ثم شجعوا أنفسهم عليهم واجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم ، واخذ ما معهم .

فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان ، وافلت القوم نوفل بن عبد الله فاعجزهم .

واقبل عبد الله بن جحش واصحابه بالعير وبالاسيرين ، حتى قدموا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة .

وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش: أن عبد الله قال لاصحابه : ان لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مما غنمنا الخمس، وذلك قبل ان يفرض الله تعالى الخمس من المغانم ، فعزل

(١) الأدم، الجلد.

لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خمس العير وقسم سائرها بين اصحابه .

فلما قدموا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسم) المدينة قال : ما امرتكم بقتال في الشهر الحرام . فوقّف العير والاسيرين ، وابى ان يأخذ من ذلك شيئاً .

فلما قال ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سقط في ايدي القوم ، وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعنفهم اخوانهم من المسلمين فيما صنعوا .

وقالت قريش : قد استحل محمد واصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، واخذوا فيه الاموال ، واسروا فيه الرجال .

وقالت يهود ، تفاءلوا بذلك على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : عمر بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله ـ عمرو ، عمرت الحرب ، والحضرمي ، حضرت الحرب ، وواقد . . وقدت الحرب . فجعل الله ذلك عليهم لا لهم .

فلما اكثر الناس في ذلك انزل الله على رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت

اعمـالهم في الـدنيـا والآخـرة واولئـك اصحـاب النـار هم فيهـا خالدون ﴾[1].

فلما نزل القرآن بهذا الأمر، وفرج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق[2]، قبض رسول الله (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) العـير والاسيرين.

وبعثت اليـه قـريش في فـداء عثمـان بن عبـد الله، والحكم بن كيسـان ، فقـال رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلـم) : لا نفـديكموهمـا حتى يقدم صـاحبانـا ـ يعني سعد بن ابي وقـاص وعتبة بن غـزوان ، وكانـا قد تخلفـا عن سرية عبـد الله بن جحش حينما اضـلا بعيرهما فوقعا اسيرين في ايدي قريش كما يروي ذلك بعض المؤرخين ـ.

وقـال (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) لـوفـد قـريش انـا نخشـاكم عليهما ، فان تقتلوهما نقتل صـاحبيكم ، فقدم سعـد وعتبة ، فـافداهمـا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[3].

وروى الـواقدي في مغازيه عن المقـداد بن عمـرو انـه قـال : انـا اسرت الحكم بن كيسان ، فاراد اميرنا ضرب عنقـه فقلت : دعه نقـدم به على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فقدمنا بـه على رسـول الله فجعل رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) يدعوه الى الاسلام، فاطـال رسول الله كـلامه ، فقـال عمر بن

(١) سورة البقرة، آية ٢١٦.
(٢) الشفق، الخوف والحذر.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام، ج ٢ ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

الخطاب : تكلم هذا يا رسول الله . . . ؟ ! والله لا يسلم هـذا الى آخر الابد، دعني اضرب عنقه ويقدم الى امه الهاوية .

فجعل النبي (صلى الله عليـه وآله وسلم) لا يقبـل على عمـر حتى اسلم الحكم ، فقـال عمر : فـما هو الا ان رأيتـه قد اسلم واخـذني مـا تقـدم وتأخـر وقلت : كيف ارد عـلى النبي أمـراً هـو اعلم بـه مني، ثم اقول: انما اردت بذلك النصيحة لله ولرسوله ! قـال عمر : فـاسلم والله فحسن اسـلامه ، وجـاهد في الله حتى قتـل شهيـداً يـوم بئـر معـونـة ، ورسول الله راض عنه .

وفي روايـة عن الواقـدي ايضاً قـال الحكم : ومـا الاسـلام : قـال (صلى الله عليه وآله وسلم) : تعبد الله وحـده لا شريـك له ، وتشهـد ان محمدا عبده ورسوله .

قال : قد اسلمت . .

فالتفت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى اصحـابه فقـال : لو اطعتكم فيه آنفاً فقتلته . . دخل النار[1] .

لا بد من وقفة تأمل عند قول الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) : « لو اطعتكم فيه آنفا فقتلته، دخل النار » .

من خـلال قولـه : نتصوره (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) أنه كـان مسرورا في اسلام الحكم بن كيسان . . .

وأنـه (صلى الله عليـه وآله وسلم) لم يكن ليصغي الى جميـع اقوال

---

(١) المغازي، للواقدي، ج ١ ص ١٦.

اصحـابه الـذين كانـوا يعترضـونه في بعض الاحـوال واكثر الاحيان. أو يشيرون عليه بآراء يراها (صلى الله عليه وآله وسلم) غير صائبـة . ولا مفيدة ، لا تجر على المسلمين الخير او تعود عليهم بمصلحة .

بل كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يمضي فيما يراه مناسباً لا يأبـه أو يعـير أي انتبـاه لأي كـان ، فهـو اعـرف بـاصحـابـه ، واتجـاهـاتهم واطباعهم .

لهـذا نراه لم يصـغ لقول عمـر بن الخطاب حينـما اشـار عليـه بقتـل الحكم بن كيسان لعلمه (صلى الله عليه وآله وسلم) بتسرع عمر وعدم اصابة رأيه .

لننظر في ما يقوله بعض المؤرخين من ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كـان قـد انتـدب ابـا عبيـدة بن الجـراح لسـريـة « عبـد الله بن حجش » ثم بدا له فيه فندب عبد الله .

وقيل ان رسول الله بعث رهطاً على رأسهم ابو عبيدة بن الجـراح ، فلما اخـذ لينـطلق، بكى صبابة الى رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) ، فبعث الـرسول (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) رجلا مكـانه ـ عبد الله بن جحش .

والملاحظ حسب الروايـات الكثيرة ان النبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) لم يرسل ابا عبيدة بن الجراح وانما ارسل عبد الله بن جحش من اول الامر .

واذا كان ابو عبيدة قد بكى صبابة لفراق النبي (صلى الله عليه وآله

وسلم) ولم يـذهب لامتثـال أمـر رسـول الله ، وانمـا فضـل ان يبقى بجـانب النبي (صلى الله عليـه وآله وسلم) محبـة له . فعلى هـذا ينبغي لكـل محب للنبي (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) من اصحـابـه ان لا يفارقه، ولا يذهب لقتال، او جهاد. . امتثالاً لاوامره.

وعلى هـذا أيضـاً ، ان الـذين كـانـوا يخـرجـون من الصحـابـة المخلصـين ، لقتال المشـركـين ، معـرضـين انفسهم للقتـل ، مفـارقـين لـلاحبة ، ضـاربين في الارض للجهـاد في سبيل الله امتثـالا لاوامـر الله ورسوله . . فهؤلاء اذاً لم يكونوا ممن يحب النبي، ويرغب في ملازمته .

وينتهي الامر الى ان كل من يجلس في بيته ويكون ملازماً للنبي (صلى الله عليـه وآله وسلم) ولم يـذهب للجهاد، يكـون خيـرا ممن يـذهب لقتـال اعداء الله واعداء رسـوله وقـد قال تعـالى: **﴿ لا يستوي القـاعدون من المؤمنـين غير اولي الضـرر والمجاهـدون في سبيل الله بـاموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجـة وكلا وعـد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجراً عظيماً ﴾**[1].

ورب قائل : ان ابا عبيدة كـان على رأس جيش المسلمـين المتوجـه لقتال الروم في الشام . . بعد خالد بن الوليد .

ولكن على ما اظن ان هنـاك فرق كبـير، فلا يخفى أن الخـروج على رأس جيش كبير أقل خطراً، وأعظم سلطاناً ، واكثر جـاها من الخـروج في سرية قليلة العدد في بداية امر المسلمين .

فليتأمل المتأمل!!.

---

(١) سورة النساء، آية، ٩٤.



الزواج المبارك ـ بين علي وفاطمة (عليهما السلام)

نشأت فاطمة الزهراء (عليها السلام) وترعرعت في كنف ابيها الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ورعاية امها خديجة ام المؤمنين (رضي الله عنها) .

كانت حياة فاطمة (عليها السلام) مليئة بالاحداث ، مشحونة بالمحن ، حافلة بالمصاعب والآلأم ، لأنها منذ طفولتها اصطحبها والداها الى شعب ابي طالب، حين حصار قريش لبني هاشم وبني المطلب في بدء الدعوة الاسلامية .

وفي شعب ابي طالب لاقت الزهراء، على طفولتها ، من شظف العيش ، وشدة الحصار ، وأذية قريش ، ما ينؤ تحت عبئه الشيخ الكبير، وكيف بها وهي الطفلة الصغيرة .

وبعد الحصار ألمَّ بها حادث عظيم ، وهو موت امها خديجة (رضي الله عنها) على مرأى منها ومسمع ، فترك هذا الحادث جرحا عظيما في قلبها وعبرة تترقرق في عينيها .

بكت الزهراء (عليها السلام) لرحيل امها خديجة التي نامت تحت ثرى مكة وخلفت الدنيا من ورائها ، قد امتلأت بالنفاق والشنئان ، والتاريخ مشغول باعظم حدث اهتزت له الجزيرة بل العالم اجمع ، وهو

مبعث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والرسالة المقدسة .

لكن الزهراء وجدت العزاء في والدها الكريم الذي غمرها بعطفه الفياض وجعلها كنفسه حيث يقول : « فاطمة بضعة مني يغضبني ما يغضبها . . الى آخره » .

ولمّا هاجر النبي (صلى الله عيه وآله وسلم) الى المدينة لحقت به فاطمة (عليها السلام) لأنها لا يقر لها قرار الا بقربه، ولا يهدأ لها بال الا بظله .

وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل هجرته أمر عليا (عليه السلام) بالمبيت على فراشه حينما تآمرت قريش على قتله (صلى الله عليه وآله وسلم) . وان يلحق به علي (عليه السلام) مع النساء بعد تسليم الودائع والأمانات .

نفذ الامام علي امر الاموال والودائع، ثم هيأ للنساء الرواحل ، وكان معه الفواطم . وهن فاطمة الزهراء، وفاطمة بنت الحمزة، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب، وفاطمة بنت اسد، وام ايمن وابو واقد الليثي . وسار الركب في وضح النهار نحو المدينة غير مبال بمعارضة قريش وتعنتها كما اسلفنا .

وفي بيت الرسول في المدينة المنورة اقامت فاطمة (عليها السلام) ، تملأ بيت ابيها بعد الوحشة وتسهر على راحته ، وتسبح الباري شاكرة له على نعمه وآلائه ، وهي ترى أباها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في اعز موضع مع اصحابه الذين يفدونه بالمهج والارواح .

وفي السنة الثانية للهجرة المباركة من شهر رمضان المبارك زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ابنته فاطمة من علي (عليه

السلام) ، وبذلك اصبح علي صهر النبي ، وابن عمه ، واخاه .

وعن الكليني في الكافي عن ابي جعفر (عليه السلام) أن فاطمة ولدت بعد مبعث النبي بخمس سنين وتوفيت ولها ثمان عشرة سنة وخمسة وسبعون يوما ـ فيكون عمرها يوم تزوجت من علي تسع سنوات .

وفي اعيان الشيعة للسيد محسن الامين : أن عمرها يوم تزوجت من علي (عليه السلام) كان يتراوح ما بين التاسعة ، والعاشرة، والحادية عشر .

وقيل أنه كان لها من العمر عشر سنين كما رجح ذلك الطبري .

وقيل أنه كان عمرها يوم زواجها اثنتي عشر سنة وولادتها كانت في السنة الثانية من البعثة النبوية الشريفة ، الى غير ذلك من الاقوال والله العالم .

ذكر صاحب كشف الغمة عن ام سلمة وسلمان الفارسي وعلي بن ابي طالب (عليه السلام) ـ انهم قالوا : لما ادركت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مدرك النساء، خطبها اكابر قريش من اهل الفضل والسابقة في الاسلام والشرف والمال، وكان كلما ذكرها رجل من قريش لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اعرض عنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بوجهه ، حتى كان الرجل منهم يظن في نفسه ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ساخط عليه، او قد نزل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيه وحي من السماء .

ولقد خطبها من رسول الله (صلى الله عليها وآله وسلم) ابو بكر

الصديق، فقال له رسول الله : امرها الى ربها . وخطبها بعد ابي بكر عمر بن الخطاب فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كمقالته لأبي بكر[1] .

وفي ينابيع المودة: ان نفراً من الانصار قال لعلي (عليه السلام) : لو كانت عندك فاطمة . . ! فدخل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليخطبها . .

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : ما حاجتك ؟

فقال علي ذكرت فاطمة . .

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : مرحبا واهلا. فخرج الى الرهط من الانصار ينتظرونه .

فقالوا : ما قال لك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟

قال : قال لي مرحباً واهلا .

قالوا : يكفيك هذا القول .

وعن أنس بن مالك، قال: كنت عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فغشيه الوحي فلما افاق قال: يا انس اتدري بما جاءني به جبرائيل من عند صاحب العرش عز وجل . . !

قلت : بابي وامي بما جاءك جبرائيل ؟

قال : قال جبرائيل ان الله يأمرك ان تزوج فاطمة بعلي، فانطلق فادع لي ابا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير ونفراً من الانصار .

---

(١) كشف الغمة، للاربيلي، ج ١، ص ٣٦٣.

ثم حضر علي وكان غائباً، فتبسم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال يا علي: ان الله سبحانه امرني أن أزوجك فاطمة، واني قد زوجتكها على اربعمائة مثقال فضة، فقال علي: قد رضيتها يا رسول الله، ثم ان عليا خر لله ساجداً شكراً.

قال انس فانطلقت فدعوت القوم فلما ان اخذوا مقاعدهم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الخطبة المشتملة على التزويج .

« الحمد لله المحمود بنعمته ، المعبود بقدرته ، المطاع سلطانه ، المرهوب عن عذابه وسطوته ، النافذ امره في سمائه وارضه ، الذي خلق الخلق بقدرته ، وميزهم باحكامه ، واعزهم بدينه ، واكرمهم بنبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وان الله تبارك اسمه ، وتعالت عظمته ، جعل المصاهرة سببا لاحقا ، وامراً مفترضاً ، وانتج بها الارحام، وانتظم بها الانام ، وقال عز من قائل: ﴿ **وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسباً وصهرا وكان ربك قديرا** ﴾[1] .

فامر الله تعالى يجري الى قضائه وقضاؤه يجري الى قدره ولكل قدر اجل ولكل اجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت ويحكم ما يريد وعنده ام الكتاب .

ثم قال : ان الله أمرني ان ازوج فاطمة بعلي بن ابي طالب ابن عمي ، فاشهدوا اني قد زوجته بها .

---

(١) الفرقان، آية، ٥٤.

وقال يا علي ان الله تبارك وتعالى أمرني أن أزوجك فاطمـة ، اني قد زوجتكها على اربعمائة مثقال فضة ، فقـال علي : قـد رضيتها يـا رسول الله ورضيت بذلك عن الله العظيم ورسوله الكريم .

ثم ان علياً خر ساجداً لله شكـرا فلما رفع رأسـه قال لـه رسول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) : جمـع الله شملكـما ، واعـز جـدكـما ، واطاب نسلكما ، وجعل نسلكما مفاتيح الرحمة ، ومعادن الحكمة ، وأمن الأمة ، وبارك الله لكـما ، وبارك فيكـما ، وبارك عليكـما ، واسعدكما ، واخرج منكما الكثير الطيب .

اللهمَّ انهما مني وانا منهما ، اللهم كما اذهبت عني الرجس وطهـرتني فـاذهب عنهما الـرجس وطهرهمـا وطهر نسلهـما ، قـال انس : والله لقـد اخرج منهما الكثير الطيب .

وفي ينابيع المـودة ايضاً : بعـد خطبـة الزواج قـال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) : يا عـلي انه لا بـد للعرس من وليمة . . . قال سعد بن عبادة : عندي كبش وجمع له رهط من الانصار اصواعاً من ذرة .

وفي طبقات ابن سعد : « احتفل بنو عبد المطلب بهذا الزواج كما لم يحتفلوا بزواج مثله من قبل، وجاء حمزة عم محمد وعلي بشارفين فنحرهما واطعم الناس .

وعن انس ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعلي: اعندك شيء ؟ قـال علي: قلت: فرسي .قال (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) امـا فرسك فلا بد لك منه ، واما درعك فبعها وأتني بها .

قال علي : فانطلقت فبعتها باربعمائة وثمانين درهما ، فوضعتها في حجره ، فقبض منها قبضة وقال : اين بلال ؟ فجاء - قال له : اشتر بها طيبا .

ثم امرهم ان يعملوا لها سرير شريط ووسادة من أدم حشوها ليف ، واملؤا البيت كثيباً - يعني رملا -.

وامر أم ايمن ان تنطلق الى ابنته ، وقال لعلي : لا تعجل حتى آتيك .

فانطلق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). ثم اتاهما ، فقال لام أيمن : ههنا اخي قالت : نعم - اخوك وتزوجه ابنتك !

قال : نعم ، فدخل عليها وقال لفاطمة : إئتني بماء . . فاتته فاطمة بقعب فيه ماء، فمج فيه، ثم نضح على رأسها ، وبين ثدييها، وقال: اللهمَّ اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم .

ثم قال لعلي : إئتني بماء ، قال : فملأت القعب فاتيته به فمج ، ثم نضح منه على رأسي وبين كتفي وقال : اللهمَّ اني اعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم .

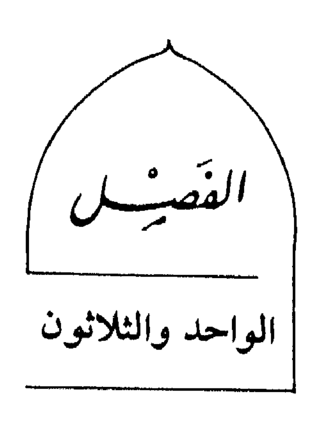
ثم قال لعلي: ادخل باهلك على اسم الله تعالى وبركاته[1].

وقد ذكر جميع المؤرخين واصحاب السير زواج فاطمة الزهراء (عليها السلام) من علي بن ابي طالب (عليه السلام) بنفس المعنى وبالفاظ مختلفة .

---

(١) ينابيع المودة، للقندوزي، ص ٢٠٦.





الفصل

الواحد والثلاثون



وقعة بدر الكبرى

يوم وقعة بدر، أو بدر القتال، هو يوم الفرقان المذكور في القرآن حيث قال عز من قائل: **﴿ وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير ﴾**[1].

ان الله سبحانه وتعالى فرق في هذا اليوم العظيم - يوم بدر - بين الحق والباطل، وهو يوم نزلت فيه آيات الله البينات الدالة على عناية الله بعباده الصالحين .

يوم بدر - غزوة بدر العظمى - هو يوم البطشة الكبرى المشار اليها في قوله تعالى : **﴿ يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون ﴾**[2] .

في هذا اليوم العظيم اعز الله فيه الإسلام وقوى اهله ، ورفع من معنويات المسلمين ، ودمغ فيه الشرك والمشركين ، وزعزع اركان الظالمين ، مع كثرة عددهم وقلة عدد المسلمين .

يوم بدر كان آية ظاهرة على عناية الله سبحانه بالاسلام ولطفه باهله مع ما كان عليه العدو من القوة والبأس، والعدة الكاملة بسوابغ

---

(١) سورة الانفال، آية ٤١.

(٢) سورة الدخان، آية ١٦.

الحديد، والعدد الكثير، والمال الوفير، والخيل المسومة، والخيلاء الزائدة، والغرور اللامتناهي .

في هذا اليوم اعز الله به رسوله الكريم ، واظهر سبحانه وحيه وتنزيله ، وبيض وجه النبي واصحابه المؤمنين ، وأخزى الشيطان وحزبه الطاغين قال سبحانه وتعالى: ﴿ **ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون* اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين* بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين*وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم** ﴾[1].

لقد بين الله تعالى ما جعله للمسلمين يوم بدر من النصر ، بتقوية قلوبهم وبما امدهم به من الملائكة ، وبالقاء الرعب في قلوب المشركين اعداءهم .

وغزوة بدر الكبرى كانت اعظم غزوات الاسلام اذ منها كان ظهوره ومنها منطلقه ومن وقتها اطمأنت نفوس المؤمنين .

واشتدت عزيمتهم وايقنوا أن النصر من عند الله لا بكثرة العدد والعُدد، فاصبحوا بنعمة الله أعزة بعدما كانوا اذلة ضعافا .

اجل بعد وقوع هذه المعركة اشرق نور الاسلام على الآفاق ، ومن حين وقوعها ايضاً اذل الله الكفار، وأعزَّ من حضرها من المسلمين الابرار.

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦،.

جاء عن ابن اسحاق في قصة وقعة بدر أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سمع بابي سفيان بن حرب مقبلاً من الشام في عير لقريش عظيمة ، فيها اموال لقريش، وتجارة من تجاراتهم، وفيها ثلاثون رجلا من قريش أو اربعون ، منهم مخرمة بن نوفل، وعمرو بن العاص .

ولما سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بابي سفيان مقبلاً من الشام ندب المسلمين اليهم ، وقال : هذه عير قريش، فيها أموالهم ، فاخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها .

فانتدب الناس، فخف بعضهم وثقل بعضهم ، وذلك انهم لم يظنوا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يلقى حربا .

وكان ابو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس[1] الاخبار، ويسأل من لقي من الركبان، تخوفا على امر الناس، حتى اصاب خبراً من بعض الركبان : ان محمداً قد استنفر اصحابه لك ولعيرك ، فحذر عند ذلك . فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه الى مكة ، وأمره ان يأتي قريشاً فيستنفرهم الى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في اصحابه . فخرج ضمضم بن عمرو سريعا الى مكة .

---

(١) التحسس: ان تتسمع الاخبار بنفسك، واما التجسس (بالجيم) : أن تبحث عنها بغيرك .



رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب

روى ابن هشام في سيرتـه عن ابن اسحاق انـه قال : رأت عـاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم بن عمرو الى مكة بثلاث ليال رؤ يا أفزعتها .

فبعثت الى اخيها العباس بن عبد المطلب، فقـالت له : يـا أخي ، والله لقد رأيت الليلة رؤ يا افظعتني[1]، وتخوفت أن يـدخل عـلى قومـك منها شر ومصيبة ، فاكتم عني ما احدثك به .

فقال لها : وما رأيت ؟

قالت : رأيت راكباً اقبـل على بعـير له ، حتى وقف بـالابطح ، ثم صرخ باعلى صوته : الا انفروا يا آل غدر - او يا اهل غـدر - لمصارعكم في ثـلاث، فـارى النـاس اجتمعـوا اليـه ، ثم دخـل المسجـد والنـاس يتبعونه ، فبينما هم حولـه مثل بـه[2]بعيره عـلى ظهر الكعبـة ، ثم صرخ بمثلها : ألا انفروا يـالغدر لمصـارعكم في ثلاث ، ثم مثـل به بعيـره على رأس ابي قبيس[3] فصرخ بمثلها .

(١) افظعتني، اشتدت علي، افزعتني.

(٢) مثل به ، قام به .

(٣) يقال ان هذا الجبل سمي كذلك برجل هلك فيه من جرهم اسمه قبييس بن شالخ.

ثم اخذ صخرة فـارسلهـا، فاقبلت تهـوي، حتى اذا كانت بـاسفل الجبل ارفضت[1]، فما بقي بيت من بيوت مكـة، ولا دار الا دخلتهـا منها فلقة .

قال العباس : والله ان هذه لرؤ يا ! وانت فاكتميهـا ، ولا تذكـريها لاحد .

ثم خرج العباس، فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وكان له صديقاً فذكرها له ، واستكتمه اياها . فذكـر الوليـد الرؤ يـا لابيه عتبـة ، ففشا الحديث بمكة ، حتى تحدثت به قريش في انديتها .

قـال العباس : فغـدوت لاطوف بـالبيت ، وابو جهـل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤ يا عاتكة ، فلما رآني ابو جهل قـال : يا ابا الفضل ، اذا فرغت من طـوافك فـاقبل الينـا ، فلما فرغت اقبلت حتى جلست معهم ، فقال لي ابو جهل يا بني عبد المطلب، متى حـدثت فيكم هذه النبية ؟

قـال : قلت : وما ذاك ؟ قـال : تلك الرؤ يـا التي رأت عـاتكـة . قال : فقلت : وما رأت ؟ قال : يا بني عبد المطلب أمـا رضيتم ان يتنبأ رجـالكم حتى تتنبأ نسـاؤ كم ! قد زعمت عـاتكة في رؤ يـاها انـه قال : انفروا في ثلاث، فسنتربص بكم هذه الثـلاث، فان يـك حقا مـا تقول فسيكـون ، وان تمض الثلاث، ولم يكن من ذلـك شيء، نكتب عليكم كتابا انكم اكذب اهل بيت في العرب .

قال العباس : فوالله ما كان مني اليه كبير، إلا اني جحدت ذلـك ،

(١) ارفضت ، تفتت .

وانكرت ان تكون رأت شيئاً ، قال : ثم تفرقنا .

فلما أمسيت ، لم تبق امـرأة من بني عبد المطلب الا أتتني ، فقـالت أقـررتم لهذا الفـاسق الخبيث أن يقع في رجالكم،ثم قـد تنـاول النسـاء وانت تسمع ، ثم لم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت !

قال : قلت : قد والله فعلت ، ما كان مني اليه من كبير، وأيم الله لأتعرَضنَّ له، فان عاد لاكفينكنه .

قال : فغدوت في اليوم الثالث من رؤ يا عاتكـة وانا حـديد مغضب ارى أني قد فاتني منه أمر أُحب ان ادركه منه .

قال : فدخلت المسجـد فرأيتـه ، فوالله اني لامشي نحـوه اتعرضـه ليعود لبعض ما قال فاقع به ، وكان رجلا خفيفا، حديد الوجه ، حديد اللسان ، حديد النظر . قال : اذ خرج نحو باب المسجد يشتد .

قـال : فقلت في نفسي : ما لـه لعنه الله ! أكـلُّ هذا فَـرَقٌ مني أن اشـاتمه ! قـال : واذا هو قـد سمع مـا لم اسمع . . صـوت ضمضم بن عمرو الغفاري ، وهو يصرخ ببطن الوادي واقفـا على بعيـره، قد جـدع بعيـره[1]وحول رحله ، وشق قميصـه ، وهو يقـول : يا معشـر قريش، اللطيمـة[2]اللطيمة، امـوالكم مع ابي سفيـان قـد عـرض لهـا محمـد في اصحابه ، لا أرى ان تدركوها ، الغوث . . الغوث .

---

(۱) جدع بعيره ، قطع انفه كانت عادة العرب تستعمل ما استعمله ضمضم من جدع انف الناقه وشق القميص، وتحويل الرحل، الى آخره. اذا ارادت ان تستنفر الناس عند المهمات .

(۲) اللطيمة ، الابل التي تحمل البر والطيب.

قال : فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الامر .

فتجهز الناس سراعا وقالوا : أيظن محمد واصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي كلا والله ليعلمن غير ذلك .

فكانوا بين رجلين اما خارج واما باعث مكانه رجلا .

وفي السيرة الحلبية : « واعان قويهم ضعيفهم ، وقام اشراف قريش يحضون الناس على الخروج وقال سهيل بن عمرو : يا آل غالب اتاركون انتم محمدا والصبأة من اهل يثرب يأخذون اموالكم ؟ ! من اراد مالا فهذا مالي، ومن اراد قوتا فهذا قوتي . ولم يتخلف من اشراف قريش الا ابو لهب خوفا من رؤ يا عاتكة ، فانه كان يقول : رؤ يا عاتكة صادقة لا تتخلف . فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة، استأجره باربعة آلاف درهم كانت له عليه دينا افلس بها وقال له : اخرج وديني لك .

وامية بن خلف اراد القعود، وكان شيخاً جسيماً ثقيلا، فجاء اليه، وهو جالس مع قومه، عقبة بن ابي معيط بمجمرة فيها جمر وبخور يحملها ، ووضعها بين يديه : ثم قال له استجمر فانما انت من النساء، فقال له : قبحك الله وقبح ما جئت به . وكان عقبة سفيها ـ وكان ابو جهل سلط عقبة على ذلك.

مسير الرسول الاعظم الى بدر

ذكر اكثر اهل التاريخ واصحاب السير عن ابن اسحاق أنه قال : « خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ليال مضت من شهر رمضان في اصحابه ، واستعمل ابن ام مكتوم على الصلاة بالناس، ورد أبا لبابة من الروحاء واستعمله على المدينة ، ودفع اللواء الى مصعب بن عمير وكان ابيض، وبين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رايتان سوداوان ، احداهما مع علي بن ابي طالب - يقال لها العقاب ، والاخرى مع بعض الانصار . وقيل ان راية الانصار كانت مع سعد بن معاذ ، وقيل كانت مع الحباب بن المنذر .

وجعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على الساقة قيس بن ابي صعصعة اخابني مازن بن النجار » .

وكان معهم فرسان ، على احديهما مصعب بن عمير وعلى الاخرى الزبير بن العوام وقيل سعد بن جيثمة ، والمقداد بن الاسود .

وروى الامام احمد من حديث ابي اسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي (عليه السلام) قال : ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد .

وفي رواية بن عباس ان عليا (عليه السلام) قال له : ما كان معنا يوم بدر الا فرسان ، فرس للزبير، وفرس للمقداد بن الاسود .

وعن ابن اسحاق: وكان معهم سبعون بعيراً يعتقبونها ، فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي (عليه السلام) ومرثد بن ابي مرثد يعتقبون بعيراً وكان حمزة ، وزيد بن حارثة وابو كبشة يعتقبون بعيراً وهكذا .

وعن ابن مسعود قال: كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، كان أبو لبابة وعلي (عليه السلام) زميلي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). قال : فكانت عقبة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالا : نحن نمشي عنك . فقال : « ما انتم ا باقوى مني ولا أنا باغنى عن الأجر منكما » .

وفي رواية الواقدي: مضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى اذا كان دون بدر أتاه الخبر بمسير قريش، فاخبر رسول الله بمسيرهم واستشار الناس، فقام أبو بكر فقال فاحسن ، ثم قام عمر فقال فاحسن ثم قال : يا رسول الله، انها والله قريش وعزها ، والله ما ذلت منذ عزت ، والله ما آمنت منذ كفرت ، والله لا تسلم عزها ابداً ، لتقاتلنك ، فاتهب لذلك اهبته ، واعد لذلك عدته .

وفي البداية والنهاية عن انس بن مالك : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شاور حين بلغه اقبال ابي سفيان ، فتكلم ابو بكر فاعرض عنه ، ثم تكلم عمر فاعرض عنه[1] .

وفي السيرة الحلبية : استشار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اصحابه فاخبرهم الخبر وقال لهم ان القوم قد خرجوا من مكة على كل

---

(١) البداية والنهاية، لابن كثير، ج ٣ ص ٢٦٣.

صعب وذلول مسرعين ، فما تقولون ؟ العير احب اليكم من النفير . . ؟ فقالوا : بلى قالت ذلك طائفة منهم : العير احب الينا من لقاء العدو . وفي رواية هلاّ ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا خرجنا للعير . وفي رواية : يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو .

فعند ذلك تغير وجه رسول الله [1] ونزل قوله تعالى : ﴿ **كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون*يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون** ﴾[2] .

وفي تفسير مجمع البيان للطبرسي : عن ابي حمزة : بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عينا له على العير اسمه عدي ، فلما قدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاخبره اين فارق العير، نزل جبرائيل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاخبره بنفير المشركين من مكة ، فاستشار اصحابه في طلب العير وحرب النفير .

فقام ابو بكر فقال : يا رسول الله انها قريش وخيلاؤ ها ، ما آمنت منذ كفرت ، ولا ذلت منذ عزت ، ولم تخرج على هيئة الحرب، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اجلس ـ فجلس .

ثم قام عمر بن الخطاب فقال مثل ذلك فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : اجلس فجلس .

ثم قام المقداد فقال: يا رسول الله انها قريش وخيلاؤ ها . . وقد

---

(١) السيرة الحلبية، ج ٢ ص ١٥٩.
(٢) سورة الانفال، آية ٥، ٦.

آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به حق، والله لو امرتنا ان نخوض جمر الغضا وشوك الهراس لخضناه معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنوا اسرائيل لموسى (عليه السلام) : ﴿ **اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون** ﴾، ولكنا نقول : امض لامر ربك فانا معك مقاتلون .

فجزاه رسول الله خيرا على قوله ذاك ثم قال: اشيروا عليَّ ايها الناس ـ وانما يريد الانصار ، لأن اكثر الناس منهم ، ولأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا انا براء من ذمتك حتى تصل الى دارنا ، ثم انت في ذمتنا نمنعك مما نمنع ابناءنا ونساءنا .

فكان (صلى الله عليه وآله وسلم)يتخوف ان لا يكون الانصار ترى عليها نصرته الا على من دهمه بالمدينة من عدو ، وأن ليس عليهم ان ينصروه خارج المدينة .

فقام سعد بن معاذ فقال : بابي انت وامي يا رسول الله، كأنك اردتنا ؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : نعم .

قال سعد بابي انت وامي يا رسول الله انا قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا ان ما جئت به حق من عند الله ، مرنا بما شئت . وخذ من اموالنا ما شئت ، واترك منها ما شئت ، والله لو امرتنا ان نخوض هذا البحر لخضناه معك .

ولعل الله عز وجل ان يريك منا ما تقرُّ به عينك ، فسر بنا على بركة الله .

ففرح بذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: سيروا

على بركة الله ، فان الله عز وجل قد وعدني احدى الطائفتين ـ اما العير واما النفير ـ ولن يخلف الله وعده .

لا بد من وقفة تأمل واستعراض لموقف ابي بكر ـ وعمر ، ومقالتهما . للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وموقف كل من المقداد بن الاسود وسعد بن معاذ . يظهر لنا الفرق واضحاً في مدى استعداد كل منهما للحرب والتضحية .

ما اعظم الفرق بين الموقفين ! . . كاني بموقف ابي بكر وصاحبه عمر الذي يستشف منه الرهبة من مجابهة قريش صاحبة العز والخيلاء، وتثبيط الهمم . . . بقولهما عن قريش، ما ذلت منذ عزت ، حتى قال لهما الرسول اجلسا واعرض عنهما كما في رواية ابن كثير .

وقول المقداد الذي لا يبالي في سبيل نصرة الرسول نحن معك لا نبالي بالموت ، لو امرتنا ان نخوض جمر الغضا . . . الى آخره .

وقول سعد بن معاذ: لو امرتنا ان نخوض هذا البحر لخضناه معك . . الى آخره ـ حتى تهلل وجه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ودعا لهما بالخير .

ومن هذه المواقف تعرف البطولة ، والشجاعة، والتضحية ، والفداء .



نزول الرسول الاعظم في بدر

ذكر الواقدي في مغازيه: ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نزل وادي بدر عشاء ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان .

وذكر اليعقوبي في تاريخه كانت وقعة بدر يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان بعد مقدمه (صلى الله عليه وآله وسلم) الى المدينة بثمانية عشر شهراً.

وجاء في تفسير الميزان : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث عليا والزبير وسعد بن ابي وقاص ، وبسبس بن عمرو يتجسسون على الماء فوجدوا روايا قريش فيها سقاؤهم ، فاسروهم وأفلت بعضهم ، واتوا بهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو قائم يصلي . فسألهم المسلمون فقالوا : نحن سقاء قريش بعثونا نسقيهم من الماء، فضربوهم ولما لقوهم بالضرب قالوا : نحن لابي سفيان ونحن في العير، وهذا العير بهذا القوز[1]فكانوا اذا قالوا ذلك يمسكون عن ضربهم .

فسلم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من صلاته ثم قال : ان صدقوكم ضربتموهم ! وان كذبوكم تركتموهم .

---

(١) القوز، الكثيب من الرمل.

فاتوه بهم فقال لهم : من انتم ؟ قالوا : يا محمد نحن عبيد قريش، قال : كم القوم ؟ قالوا : لا علم لنا بعددهم ، قال : كم ينحرون في كل يوم من جزور ؟ قالوا تسعة الى عشرة .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : القوم تسعمائة الى الف رجل، وامر (صلى الله عليه وآله وسلم) بهم فحبسوا ، وبلغ ذلك قريشا ففزعوا وندموا على مسيرهم .

ولقي عتبة بن ربيعة ابا البختري بن هشام فقال : اما ترى هذا البغي والله ما ابصر موضع قدمي، خرجنا لنمنع عيرنا وقد افلتت ، فجئنا بغيا وعدوانا ، والله ما افلح قوم بغوا قط ، ولوددت أن ما في العير من اموال بني عبد مناف ذهبت ولم نسر هذا المسير .

فقال له ابو البختري : انك سيد من سادات قريش فسر في الناس وتحمل العير التي اصابها محمد واصحابه بنخلة[1]ودم ابن الحضرمي فانه حليفك .

فقال له : علي ذلك وما على احد منا خلاف الا ابن الحنظلية - يعني ابا جهل - فسر اليه واعلمه اني حملت العير ودم ابن الحضرمي ، وهو حليفي وعلي عقله .

فقصدت خباءه وابلغته ذلك ، فقال: ان عتبة يتعصب لمحمد فانه من بني عبد مناف وابنه معه[2]يريد ان يخذل بين الناس ! لا واللات

---

(١) نخلة، المكان الذي كانت فيه سرية عبد الله بن جحش .
(٢) وكان ابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

والعـزى حتى نقحم عليهم يثرب أو نـأخـذهم اسـارى فنـدخلهم مكـة فتتسامع العرب بذلك .

وكـان ابو سفيـان لما جـاز بالعير بعث الى قريش: وقـد نجى الله عيركم ، فارجعوا ودعوا محمداً والعرب ، ادفعوه بالراح ما اندفع ، وان لم ترجعوا فردوا القيان ، فلحقهم الـرسول في الجحفـة ، فاراد عتبـة ان يرجع فابى أبو جهل وبنو مخزوم .

وفزع اصحاب رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) لـما بلغهم كثرة قريش ، واستغاثوا وتضرعوا فانزل الله عز وجل : ﴿ **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم** ﴾ ـ الآية [1] .

وقـال الطبـرسي في تفسيـره : لـمـا نـظرت قـريش الى قلة اصحـاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال ابو جهـل : ما هم الا اكلة رأس، لـو بعثنا اليهم عبيـدنا لأخـذوهم اخذاً في اليـد، فقال عتبـة بن ربيعة : أترى لهم كميناً أو مددا فبعثـوا عمير بن وهب الجمحي وكـان فارساً شجاعاً ، فجال بفرسـه حتى طاف عـلى عسكر رسـول الله (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) ثم رجـع فقـال : ليس لهم كمـين ، ولا مـدد، ولكن نواضح يثـرب قد حملت المـوت الناقـع . . . اما تـرونهم خرسـا لا يتكلمـون ، ويتلمظون تلمظ الافـاعي ما لهم ملجـأ الا سيوفهم ، ومـا اراهم يـوّلـون حتى يقتلوا ، ولا يقتلون حتى يقتلوا بعـددهم ، فـارتـأوا رأيكم ! ؟

فقـال له ابـو جهل : كـذبت وجبنت ، فانـزل الله تعـالى : ﴿ **وان**

(١) الميزان في تفسير القرآن ، الطباطبائي .

جنحوا للسلم فاجنح لها ﴾.

فبعث اليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : يا معشر قريش اني اكره أن ابدأ بكم فخلوني والعرب وارجعوا . فقال عتبة : ما رد هذا قوم قط فافلحوا . ثم ركب جملاً له احمر ، فنظر اليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يجول بين العسكرين وينهى عن القتال فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يك عند احد خير فعند صاحب الجمل الاحمر وان يطيعوه يرشدوا .

وخطب عتبة فقال في خطبته : يا معشر قريش اطيعوني اليوم ، واعصوني الدهر ، ان محمدا له إلٌّ وذمة وهو ابن عمكم فخلوه والعرب ، فان يك صادقاً فانتم أعلى عينا به ، وان يك كاذبا كفتكم ذؤبان العرب امره .

فغاظ ابا جهل قوله وقال له : جبنت وانتفخ سحرك .

فقال : يا مصفر استه مثلي يجبن ؟ ! وستعلم قريش اينا الأم واجبن . واينا المفسد لقومه .[1].

وفي السيرة النبوية لابن دحلان : كان نزول قريش بالعدوة القصوى[2]، ونزل المسلمون على كثيب اعفر[3]ليس بالشديد، تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب. وسبقهم المشركون الى ماء بدر فاحرزوه

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي، .
(٢) العدوة جانب الوادي وحافته والمكان المرتفع، والقصوى، البعد من المدينة.
(٣) اعفر، قيل المراد به احمر او ابيض.

وحفـروا القلب[1]لانفسهم ليجعلوا فيها المـاء من الابار المعينـة فيشربـوا منهـا ويسقـوا دوابهم ، ومـع ذلـك القى الله في قلوبهم الخـوف، حتى صاروا يضربون وجوه خيلهم اذا صهلت من شدة الخوف .

والقى الله الأمنـة والنـوم عـلى المسلمـين ، بحيث لم يقـدروا عـلى منعه . واصبح المسلمون بعضهم محدث وبعضهم جنب، لأنهم لما نامـوا احتلم اكثرهم . واصابهم الظمأ وهم لا يصلون الى الماء لسبق المشركين اليـه ، ووسـوس الشيـطان لبعضهم وقـال : تـزعمـون انكم عـلى الحق وفيكم نبي الله وانكم اوليـاء الله وقد غلبكم المشـركون عـلى المـاء وانتم عـطاش وتصلون محدثـين مجنبـين ، ومـا ينتـظر اعـداؤكم الا ان يقـطع العطش رقابكم ، ويذهب قواكم ، فيتحكموا فيكم كيف شاؤوا .

فارسل الله عليهم مطراً سال منه الوادي، فشرب المسلمون واتخذوا الحياض على عـدوة الوادي، واغتسلوا وتـوضأوا وسقـوا الركـاب وملأوا الاسقية .

واطفـأ المـطر الغبـار ، ولبـد الأرض حتى ثبتت عليهـا الأقـدام والحوافر، وزالت عنهم وسوسة الشيطان ، ورد الله كيده في نحره .

وطابت انفس المسلمين ، وضرَّ ذلك بالمشركين لكون ارضهم كانت سهلة لينـة ، واصابهم مـا لم يقدروا معـه على الارتحـال، وقد اشـار الله سبحانه وتعالى الى ذلك بقوله : **﴿ اذ يغشِّيكم النعـاس أمنة منـه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليـربط**

---

(١) القلب، جمع قليب، البئر القديمة .

على قلوبكم ويثبت به الاقدام ﴾[1].

وعن علي (عليه السلام) : اصابنا من الليل طش من مطر، فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر . وبات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يدعو ربه - وفي رواية - يصلي تحت شجرة ويكثر في سجوده ويقول : يا حي يا قيوم .

فلما ان طلع الفجر نادى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للصلاة عباد الله، فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله ثم خطب وحض على القتال [2] .

وفي الميزان : قيل : ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما نظر الى كثرة عدد المشركين ، وقلة عدد المسلمين استقبل القبلة وقال : اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض ، فما زال يهتف ربه ماداً يديه حتى سقط رداؤه من منكبيه فانزل الله : ﴿ اذ تستغيثون ربكم . . . ﴾ الآية[3].

وفي السيرة النبوية لابن دحلان « لما عد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اصحابه فوجدهم ثلاثمائة وثلاثة عشر فرح وقال : عدة اصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر .

ولما أراد (صلى الله عليه وآله وسلم) الخروج لبس درعه ذات الفضول ، وتقلد بسيفه العضب ، ولما نظر الى اصحابه قال : اللهم

---

(١) سورة الانفال، آية ١١.
(٢) السيرة النبوية، لابن دحلان، هامش السيرة الحلبية، ج ١، ص ٤٣٢.
(٣) الميزان في تفسير القرآن للطباطبائي.

انهم حفـــاة فـاحملهم ، اللهم انهم عـــراة فاكسهم ، اللهم انهم جيـــاع فـاشبعهم ، اللهم انهم عالـة فاغنهم من فضلك . فـلما رجع منهم احـد الا وله البعير والبعيران ، واكتسى من كان عاريا ، واصـابوا طعـاماً من أزواد قريش ، واصابوا فداء الاسارى فاغتنى به كل عائل[1] .

(١) السيرة النبوية، لابن دحلان، هامش السيرة الحلبية، ج ١ ص ٤٢٨.



خطبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم بدر

ذكر صاحب الميزان في تفسيره خطبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صبيحة يوم بدر قبل بدء القتال أنه : لما اصبح المسلمون عدل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الصفوف وخطب المسلمين فحمد الله واثنى عليه ثم قال :

اما بعد فاني احثكم على ما حثكم الله عليه ، وانهاكم عما نهاكم الله عنه ، فان الله عظيم شأنه ، يأمر بالحق، ويحب الصدق، ويعطي على الخير اهله على منازلهم عنده به يذكرون ، وبه يتفاضلون ، وانكم قد اصبحتم بمنزل من منازل الحق لا يقبل الله فيه من احد الا ما ابتغى به وجهه ، وان الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله به الهم ، وينجي به من الغم تدركون به النجاة في الآخرة .

فيكم نبي الله يحذركم ويأمركم ، فاستحيوا اليوم أن يطلع الله على شيء من امركم يمقتكم عليه فانه تعالى يقول : ﴿ **لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم** ﴾[1]انظروا في الذي امركم به من كتابه ، واراكم من آياته وما اعزكم به بعد الذلة فاستكينوا له يرضى ربكم عنكم .

وابلوا ربكم في هذه المواطن أمراً تستوجبوا به الذي وعدكم من

(١) سورة غافر، آية ١٠.

رحمته ومغفرته فان وعده حق، وقوله صدق، وعقابه شديد.

وانما انا وانتم بالله الحي القيوم ، اليه الجأنا ظهورنا ، وبه اعتصمنا ، وعليه توكلنا ، واليه المصير، ويغفر الله لي وللمسلمين .

وفي المجمع : ذكر جماعة من المفسرين كابن عباس وغيره : ان جبرائيل قال للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم بدر: خذ قبضة من تراب فارمهم بها .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : لما التقى الجمعان لعلي (عليه السلام) : اعطني قبضة من حصا الوادي فناوله كفاً من حصا عليه تراب، فرمى به (صلى الله عليه وآله وسلم) في وجوه القوم وقال : شاهت الوجوه .

فلم يبق مشرك الا دخل في عينيه وفمه ومنخريه منها شي، ثم ردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ، وكانت تلك الرمية سبب هزيمة القوم[1].

---

(١) الميزان في تفسير القرآن للطباطبائي.

بدء القتال

جاء في تفسير ابن كثير أنه : لما التقى الناس يوم بدر قال سعد بن معاذ لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يا رسول الله ألا نبني لك عريشاً تكون فيه وننيخ اليك ركائبك ، ونلقى عدونا ، فان اظفرنا الله عليهم واعزنا . . فذاك ما نحب ، وان تكن الاخرى فتجلس على ركائبك ، وتلحق بمن وراءنا من قومنا ، فقد والله تخلف عنك اقوام ما نحن باشد لك حباً منهم ، ولو علموا انك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ، ويوازرونك وينصرونك .

فاثنى عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خيرا ودعا له به . فبنى له عريشاً فكان فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)(١).

ولما اصبح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم بدر عبّأ اصحابه وقال: كلمات دعا بها وهي : يا علي يا حكيم . . . يا علي ياعظيم . . انا عبيدك ، وفي سبيلك نقاتل عدوك ، اللهمَّ فاجعل لنا اليهم سبيلا . الى آخره .

وعن ابن اسحاق خرج الاسود بن عبد الاسد المخزومي ، وكان

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج ٢، ص ٣١٤.

رجلاً سيء الخلق، فقال : اعاهد الله لأشربنَّ من حوضهم، او لأهدمنَّه ، أو لأموتَنَّ دونه ، فلما خرج خرج اليه حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فاطن[1]قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب رجله دماً نحو اصحابه ، ثم حبا الى الحوض حتى اقتحم فيه يريد ان يبر يمينه ، واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض .

قال ابن اسحاق . . . ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة ، وابنه الوليد بن عتبة، حتى اذا فصل من الصف دعا الى المبارزة ، فخرج اليه فتية من الانصار ثلاثة، وهم : عوف، ومعوذ ابنا الحارث ـ وامهما عفراء ـ ورجل آخر يقال: هو عبد الله بن رواحة ، فقالوا : من انتم ؟ فقالوا : رهط من الانصار .

قالوا : ما لنا بكم من حاجة . ثم نادى مناديهم يا محمد، اخرج الينا اكفاءنا من قومنا ! .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : قم يا عبيدة بن الحارث ، وقم يا حمزة ، وقم يا علي. فلما قاموا ودنوا منهم قالوا : من انتم ؟ قال عبيدة : عبيدة، وقال حمزة : حمزة ، وقال علي: علي، قالوا : نعم ، اكفاء كرام .

فبارز عبيدة ، وكان أسن القوم ـ عتبة بن ربيعة . وبارز حمزة شيبة بن ربيعة . وبارز علي الوليد بن عتبة .

فاما حمزة فلم يمهل شيبة ان قتله ، واما علي فلم يمهل الوليد ان

(١) اطنَّ : اطار.

قتله . واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما اثبت صاحبه[1] وكر حمزة وعلي باسيافهما على عتبة فذففا[2] عليه ، واحتملا صاحبهما فحازاه الى اصحابه .

وفي الميزان في تفسير القرآن للطباطبائي حمل حمزة وعلي عبيدة حتى اتيا به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاستعبر فقال : يا رسول الله الست شهيداً ؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : بلى انت اول شهيد من اهل بتي .

وفي البداية والنهاية : وعبيدة هو ابن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف، ولما جاؤوا به الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اضجعوه الى جانب موقف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فاشرفه[3] رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قدمه ، فوضع خده على قدمه الشريف وقال : يا رسول الله لو رآني ابو طالب لعلم اني احق بقوله :

ونسلمه حتى نُصرَّع دونه ونذهل عن ابنائنا والحلائل

ثم مات (رضي الله عنه) فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : اشهد انك شهيد .

ثم تزاحف الناس، ودنا بعضهم من بعض، وامر رسول الله (صلى الله عليه وآله) اصحابه ان لا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : ان

(١) أثبت صاحبه : جرحه جراحة لم يقم معها .
(٢) ذففا عليه: اسرعا في قتله.
(٣) في السيرة الحلبية: فافرشه.

اكتنفكم القوم فانضحوهم[1] بالنبل[2].

وفي السيرة الهشامية عن ابن اسحاق قال : خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى الناس فحرضهم وقال لهم : والذي نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً ، مقبلا غير مدبر ، الا ادخله الله الجنة[3].

وفي السيرة الحلبية أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال بعد تحريض الناس: قوموا الى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين .

فقال عمير بن الحمام : بخ بخ[4] فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما تبخبخ ؟ ومما تتعجب ؟ وما يحملك على قولك بخ بخ ، .

قال : لا والله يا رسول الله الا رجاء أن اكون من اهلها . فاخذ تمرات فجعل يلوكهن ثم قال : والله ان بقيت حتى الوكهن ، وفي لفظ : ان حييت حتى آكل تمراتي هذه انها لحياة طويلة ، فنبذهن وقاتل وهو يقول :

ركضنا الى الله بغير زاد الا التقى وعمل المعاد

---

(١) فانضحوهم بالنبل: اي ادفعوهم عنكم بالنبل واستبقوا نبلكم ولا ترموهم على بعد فان الرمي مع البعد غالبا يخطىء فيضيع النبل بلا فائدة.
(٢) البداية والنهاية لابن كثير، ج ٣، ص ٢٧٤ .
(٣) السيرة النبوية لابن هشام، ج ٢ ، ص ٢٧٩ .
(٤) بخ بخ ، كلمة تقال لتعظيم الامر والتعجب منه .

والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد

ولا زال يقاتل حتى قتل (رضي الله عنه)[1].

ما اجمل قول عمير بن الحمام : « وكل زاد عرضة النفاد ـ غير التقى والبرد والرشاد » وقوله ايضاً « ان حييت حتى آكل تمراتي هذه انها لحياة طويلة . . ».

ما اعظم التضحية وما اجلها . . وما اروع الفداء في سبيل الله الصادر عن نفس مطمئنة مقتنعة بما تؤول اليه من المصير العظيم ، ألا وهو الجنة التي عرضها السماوات والأرض ـ نعم جزاء المجاهدين ـ .

عند ذلك يقدم المجاهد على الموت الذي عنده هو الحياة الأبدية ، والنعيم الدائم .

انها العقيدة الراسخة التي هي اساس القوة والبطولة ، وينبوع العزم .

بالعقيدة تحرر الأوطان ، وتدك عروش الطغيان لان العدَدَ والعُدَد لا يغنيان ما لم ترافقهما العقيدة .

وفي السيرة الحلبية ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بهن في وجوه المشركين ، يمنة ويسرة وبين ايديهم ، وحين رمى (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك قال لاصحابه : شدوا . فكانت الهزيمة ، وانزل الله تعالى: ﴿ **فلم تقتلوهم**

---

(١) السيرة الحلبية، ج ٢ ص ١٧٦.

ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منهم بلاء حسناً ان الله سميع عليم ﴾[1] .

وقاتل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يومئذ بنفسه قتالا شديداً وكذلك ابو بكر كما كانا في العريش يجاهدان في الدعاء ـ الى آخره ـ .

اقول : ذكر ابن كثير في تفسيره على ما اسلفنا ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم وقعة بدر قد صنع له عريش واقام فيه مع ابي بكر ليس معه فيه غيره وسعد بن معاذ قائم على باب العريش متوشح بسيفه مع نفر من الانصار يخافون على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كرة العدو ، ويحرسونه والجنائب مهيأة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان احتاج اليها ركبها . . الى آخره .

وعلى قولهم هذا أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يباشر حربا يوم بدر . . . .

على ان قول الحلبي في سيرته ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يباشر الحرب بالدعاء ـ الى آخره ـ خلاف الظاهر لانه لا يقال . . . يجاهد في الدعاء ، بل يقال يجتهد في الدعاء .

وقد ذكر كثير من المؤرخين عن علي (عليه السلام) انه قال : لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو اقربنا من العدو ، وكان من أشد الناس يومئذٍ بأساً .

---

(١) سورة الانفال، اية ١٧ـ.

وروى النسائي من حديث ابن اسحاق عن حارثة عن علي (عليه السلام) قال : كنا اذا حمي البأس ولقى القوم اتقينا برسول الله [١].

وفي السيرة الحلبية عن ابن سعد انه قال : لما انهزم المشركون رؤي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في اثرهم مصلتا السيف يتلو هذه الآية ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾[٢].

وعن عمر : لما كان يوم بدر وانهزمت قريش ، نظرت الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في آثارهم مصلتاً السيف يقول : ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾.

يستفاد من هذه الروايات وما شابهها ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يقاتل المشركين يوم بدر بنفسه الشريفة مباشرة ، قتالاً شديداً في منتهى الشجاعة والقوة والبأس، ولم يكن جالساً في العريش حالة اندلاع الحرب واشتباك الفرسان .

لكن بعض المؤرخين اصروا على ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان في العريش حين القتال ومعه ابو بكر الى آخره .

انما ارادوا بذلك ان يجعلوا مكانة لأبي بكر الذي لم يعرف بالتأكيد أنه باشر حرباً او خاض معركة سوى بعض الروايات الضعيفة ـ ليس الا . وهذا واضح لمن له ادنى تأمل او اطلاع على حقيقة التاريخ .

وزعم الطبراني « في قوله : ولو قاتل النبي (صلى الله عليه وآله

---

(١) البداية والنهاية، لابن ج ـ ٣ ، ص ١٧٤.
(٢) سورة القمر، آية ٤٥.

وسلم) لجرح أو قتل من قاتله . . ولو وقع ذلك لنقل، لأنه مما تتوفر الدواعي على نقله الى آخره ».

وهذا مردود ايضاً لأن المشركين لما شاهدوا بأس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وشجاعته الفائقة العظيمة ، لم يقف احد امامه بل ولُّوا الدبر منهزمين مدحورين .

وفي تفسير القمي في خبر طويل : « خرج ابو جهل من بين الصفين وقال : اللهم ان محمداً أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا نعرفه ، فاحنه الغداة ، فانزل الله على رسوله :

﴿ ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وان الله مع المؤمنين ﴾[1] .

ثم اخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كفا من حصى ورمى به في وجوه قريش وقال : شاهت الوجوه .

فبعث الله رياحا تضرب في وجوه قريش، فكانت الهزيمة .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : اللهمَّ لا يفلتن فرعون هذه الامة ابو جهل بن هشام .

والتقى عمرو بن الجموح مع ابي جهل ، فضرب عمرو ابا جهل على فخذه وضرب ابو جهل عمراً على يده فابانها من العضد، فتعلقت بجلده فاتكى عمرو على يده برجله ، ثم تراخى الى السماء حتى انقطعت

---

(١) سورة الانفال، آية ١٩.

الجلدة ورمى بيده .

وقال عبد الله بن مسعود : انتهيت الى ابي جهل وهو يتشحط بدمه فقلت : الحمد لله الذي اخزاك . . فرفع رأسه فقال : انما اخزى الله عبداً ابن عبد، لمن الدبرة ويلك ؟

قلت : لله ولرسوله ، واني قاتلك . . . ووضعت رجلي على عنقه فقال : ارتقيت مرتقى صعباً يا رويعي الغنم أما أنه ليس شيء اشد من قتلك اياي في هذا اليوم الا يكون تولى قتلي رجل من المطلبيين ، او رجل من الاحلاف ؟

فاقتلعت بيضة كانت على رأسه فقتلته واخذت رأسه ، وجئت به الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقلت : يا رسول الله البشرى هذا رأس ابي جهل بن هشام، فسجد لله شكراً .

وفي الارشاد للمفيد: بارز امير المؤمنين (عليه السلام) العاص بن سعيد بن العاص بعد ان احجم عنه من سواه فلم يلبث ان قتله .

وبرز اليه حنظلة بن ابي سفيان فقتله ، وبرز اليه بعده طعيمة بن عدي فقتله ، وقتل بعده نوفل بن خويلد، وكان من شياطين قريش . ولم يزل يقتل واحداً منهم بعد واحد حتى أتى على شطر المقتولين منهم ، وكانوا سبعين رجلا، تولى كافة من حضر بدراً من المسلمين مع ثلاثة آلاف من الملائكة المسومين قتل الشطر منهم ، وتولى امير المؤمنين (عليه اسلام) قتل الشطر الآخر وحده [1] .

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، للطباطبائي .


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعد انتهاء وقعة بدر

وضعت الحرب اوزارها يوم بدر وانتصر الحق، وارتفعت كلمة الاسلام ، وباء المشركون بالخسران ، ورفعت في الافق صيحة ـ اشهد ان لا اله الا الله وان محمدارسول الله ـ الا ان حزب الله هم الغالبون .

لقد اعز الله الاسلام بالنصر، واطمأنّت قلوب المؤمنين ، واستجاب الباري سبحانه لدعاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واستغاثة المسلمين ، فامدهم بالملائكة المطهرين وكان نصر الله عظيماً .

ذكر الواقدي في مغازيه أنه : امر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم بدر بالقلب أن تغور ، ثم امر بالقتلى فطرحوا فيها كلهم الا امية بن خلف، فانه كان مسمناً انتفخ من يومه ، فلما ارادوا أن يلقوه تزايل لحمه ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : اتركوه .

ونظر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى عتبة يجر الى القليب، وكان رجلا جسيما في وجهه اثر الجدري ، فتغير وجه ابنه ابي حذيفة ، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا ابا حذيفة ، كأنك ساءك ما اصاب اباك ؟ قال : لا والله يا رسول الله ، ولكني رأيت لابي عقلا وشرفا كنت ارجو أن يهديه الله الى الاسلام ، فلما اخطأه ذلك ورأيت ما اصابه غاظني .

فلما تـوافوا[1] في القليب، وقـد كان رسـول الله يـطوف عليهم وهم مصرعون يحمد الله ويشكره ويقول : الحمد لله الـذي انجز مـا وعدني، فقد وعدني احدى الطائفتين .

ثم وقف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على اهل القليب، فناداهم رجلا رجلا : يا عتبة بن ربيعة ـ يا شيبة بن ربيعة ، يا اميـة بن خلف، ويا ابا جهل بن هشام هل وجدتم مـا وعدكم ربكم حقـا . . ؟ فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا .

بئس القوم كنتم لنبيكم ، كذبتموني وصدقني النـاس، واخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس .

قالوا :ـ بعض اصحاب رسول الله ـ يـا رسول الله تنـادي قومـاً قد مـاتوا ! قـال رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) قد علمـوا ان ما وعدهم ربهم حق .

وفي رواية : لقد علموا ان ما وعـدتهم حق، ولقد سمعـوا ما قلت لهم ، ما أنتم باسمع لما اقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون ان يجيبوني .

وكان انهزام القوم وتـوليهم حين زالت الشمس، فـاقام رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) ببـدر وأمـر عبـد الله بن كعب بقبض الغنائم وحملها وأمر نفراً من اصحـابه أن يعينـوه ، وصلى العصـر ببدرثم راح فمر بالاثيل[2] وبات به ، وباصحابه جراح وليست بالكثيرة .

---

(١) وفي بعض النسخ، تواروا .

(٢) الاثيل: واد طوله ثلاثة اميال بينه وبين بدر ميلان، فكأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بات على اربعة اميال من بدر.

روى الواقدي في مغازيه عن عبد الله بن جعفر قال : سألت الزهري : كم استشهد من المسلمين ببدر ؟ قال : اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين ، وثمانية من الانصار .

وروى الواقدي ايضاً انه أُسر يوم بدر اربعة وسبعون رجلا من المشركين والقتلى منهم ايضاً زيادة على سبعين . وفي رواية : كان القتلى سبعين والاسرى سبعين .

وفي البداية والنهاية عن ابن عباس: « ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قالا لاصحابه يوم بدر: اني قد عرفت ان رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أُخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقي منكم احداً من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقي ابا البختري بن هشام بن الحارث بن اسد فلا يقتله .

ومن لقي العباس بن عبد المطلب عم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلا يقتله ، فانه انما خرج مستكرها فقال: ابو حذيفة بن عتبة : انقتل آباءنا وأبناءنا واخواننا ونترك العباس . . ! والله لئن لقيته لألحمنّه بالسيف .

قال ابن اسحاق : وانما نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، عن قتل ابي البختري لأنه كان اكف القوم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو بمكة .

كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه ، وكان ممن قام في نقض الصحيفة فلقيه المجذر بن زياد البلوي حليف الانصار فقال له : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نهانا عن قتلك . . ومع ابي

البختري زميل لـه خرج معـه من مكة ، وهـو جنادة بن مليحـة من بني ليث .

قال : وزميلي ؟ فقال له المجذر: لا والله ما نحن بتـاركي زميلك ، ما امرنا رسول الله الا بـك وحدك ، قـال : لا والله اذاً لأموتَنَّ انـا وهو جميعا ، لا يتحدث عني نسـاء قريش بمكـة اني تركت زميـلي حرصـا على الحياة وقال ابو البختري وهو ينازل المجذر :

لـن يـتـرك ابـن حـرة زمـيـلـه حـتى يمـوت او يـرى سـبـيـلـه

قال : فاقتتلا فقتله .

ثم اتى المجـذر رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) فقـال: والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه ان يستأثر فـآتيك بـه ، فابى الا أن يقاتلني، فقاتلته فقتلته .

عن عبادة بن الصامت قال : خرجنا مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)فشهـدت معه بـدراً، فالتقى النـاس فهـزم الله العـدو، فـانـطلقت طائفة في آثـارهم يهزمـون ويقتلون ، واكبت طائفـة على المغنم يحـوزونه ويجمعونه ، واحدقت طائفة برسول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) لا يصيب العـدو منه غـرة ، حتى اذا كان الليـل، وفاء النـاس بعضهم الى بعض ـ اختلفـوا في الفيء، قال الـذين جمعوا الغنـائم : نحن حوينـاها وليس لاحـد فيها نصيب، وقـال الذين خـرجوا في طلب العـدو: لستم باحق به منا نحن نفينا منها العدو وهزمناهم .

وقـال الذين احـدقوا بـرسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) : خفنا ان يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا بـه . فانـزل الله سبحانـه وتعالى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قوله : ﴿ يسألونك عن الانفال قل الانفال لله ولرسوله فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين ﴾[1] .

فقسمها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بين المسلمين .

ويذهب الاكثرون من كتاب السيرة أن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) جعل القسمة بين المسلمين على سواء، وأنه جعل للفرس مثل ما للفارس، وجعل للورثة حصة من استشهد ببدر، وجعل حصة لمن تخلف بالمدينة فلم يشهد بدراً ما كان قائماً فيها يعمل للمسلمين ، ومن حرضه حين الخروج الى بدر وتخلف لعذر قبله الرسول . وكذلك قسم الفيء بالقسط فلم يشترك المقاتل وحده في الحرب والنصر، بل اشترك في الحرب والنصر كل من كان لعمله في الفوز حظ أياً كان هذا العمل، وفي ميدان القتال كان او بعيداً عنه .

ويقول بعض المؤرخين انه (صلى الله عليه وآله وسلم) قسم الفيء على المسلمين بعد اذ أخذ منه الخمس، لقوله تعالى : **﴿ واعلموا انما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير ﴾[2] .**

وفي المغازي للواقدي : قدّم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) زيد بن حارثة وعبد الله ابن رواحة من الاثيل - يبشران اهل المدينة

---

(١) سورة الانفال، آية ١ .
(٢) سورة الانفال، آية ٤١ .

بنصر الله ـ فجاؤوا يوم الاحد شد الضحى[1] وفارق عبد الله زيداً بالعقيق .

فجعل عبد الله ينادي على راحلته : يا معشر الانصار ابشروا بسلامة رسول الله ، وقتل المشركين واسرهم ، قتل ابنا ربيعة، وابنا الحجاج ، وابو جهل ، وقتل زمعة بن الاسود، وأمية بن خلف، واسر سهيل بن عمرو ذو الانياب في اسرى كثيرة .

قال عاصم بن عدي : فقمت اليه فنحوته فقلت : أحقاً ما تقول يا بن رواحة ؟ قال : اي والله، وغداً يقدم رسول الله انشاء الله ومعه الاسرى مقرنين . ثم اتبع دور الانصار بالعالية[2] فبشرهم داراً دارا .

وقدم زيد بن حارثة على ناقة النبي القصواء يبشر أهل المدينة ، فلما جاء المصلى صاح على راحلته : قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة الى آخره فجعل الناس لا يصدقون زيد بن حارثة ويقولون : ما جاء زيد إلا فلاًّ[3] ! حتى غاظ المسلمين ذلك وخافوا . وقدم زيد حين سووا على رقية بنت رسول الله التراب بالبقيع .

قال رجل من المنافقين لاسامة بن زيد : قتل صاحبكم ومن معه .

وقال رجل من المنافقين ـ ايضاً ـ لابي لبابة : قد تفرق اصحابكم تفرقا لا يجتمعون منه ابدا، وقد قتل محمد وعليَّة اصحابه ، هذه ناقته نعرفها ، وهذا زيد لا يدري ما يقول من الرعب ، وجاء فلاًّ . قال ابو

---

(١) شد الضحى، ارتفاعه .

(٢) العالية هي منازل لبني عمرو بن عوف، وخطمة، ووائل، .

(٣) الفل : القوم المنهزمون، ويقع على الواحد والاثنين والجمع .

لبابة : يكذب الله قولك ، وقالت يهود: ما جاء زيد الا فلا .

وقدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالاسرى ، واسُتعمل عليهم شقران غلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكان عددهم يتراوح بين السبعين ـ والاربعة والسبعين ، وفي رواية انهم تسعة واربعون اسيراً ، وقيل غير ذلك .

ولقي الناس الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالروحاء يهنئونه بفتح الله . فلقيه وجوه الخزرج ـ فقال سلمة بن سلامة : ما الذي تهنؤ وننا به ؟ فوالله ما قتلنا الا عجائز صلعا ! .

فتبسم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال : يا ابن اخي ، اولئك الملأ[1] لو رأيتهم لهبتهم ، ولو أمروك لاطعتهم ، ولو رأيت فعالك مع فعالهم لاحتقرته ، وبئس القوم كانوا على ذلك لنبيهم . واما ما قلت في القوم فانك عمدت الى نعمة من نعم الله تزهدها ، فقال سلمة اعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله واعتذر الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقبل منه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) معذرته .

قال الواقدي : ولقيه اسيد بن حضير فقال : يا رسول الله ، الحمد لله الذي ظفرك واقر عينك ، والله يا رسول الله ، ما كان تخلفي عن بدر وانا اظن انك تلقى عدوا ، ولكني ظننت انها العير ، ولو ظننت انه عدو ما تخلفت . فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صدقت ـ الى غير من ذكرنا من المهنئين ـ [2]

---

(١) الملأ: الاشراف والرؤساء.

(٢) المغازي، للواقدي، ج ١، ص ١١٤، ١١٥.



اسرى بدر

ما ان آذنت شمس يوم الفرقان للغروب ، يوم التقى الجمعان في ذلك اليوم المشهود الذي نصر الله به الحق على الباطل ، والايمان على الكفر ، وانزل النصر من عنده على نبيه واتباعه المؤمنين وايدهم بالملائكة المسومين ، ودارت الدائرة على المشركين الذين أتوا جميعا بالقوة والعدة والعدد ، والكبرياء والخيلاء ، فما هي إلا كَرَّة وفَرَّه حتى انهزم الجمع وولوا الدبر ، وما أمسى المساء الا وهم ما بين قتيل . . . او أسير .

اجل ، لما انتهت معركة بدر ومنَّ الله سبحانه على المسلمين بالفوز والظفر ، قفل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعه اصحابه عائدين الى المدينة ، مؤيدين بنصر الله ، مثقلين بالغنائم ، مصحوبين بالعقيدة الراسخة ، والمعنويات العالية التي جعلتهم اقوياء البصيرة واليقين تطبيقاً لقوله تعالى : ﴿ **ان يكن منكّم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون** ﴾[1] فاصبح المجاهد المسلم يرى القتل في سبيل الله سعادة والكرامة من الله الشهادة .

---

(١) سورة الانفال، آية ٦٥.

قفل النبي الأعظم والمسلمون قد عـادوا الى المدينـة ومعهم الأسرى من المشركين السبعين ـ أو الأقل او الاكثر على اختلاف الروايات .

اسـرى بدر : هـم صنـاديد قـريش الذين كـانوا قـد عتـوا عن امـر ربهم ، وتمـادوا في طغيـانهم ، واذاقـوا المسلمـين اقسى انـواع العـذاب والاضطهاد .

اسرى بدر : هم طواغيت قريش الذين اخرجـوا الرسـول الاعظم من داره قبـل حوالي عـامين وعـذبوا من اتبعـه وآمن بـه بمنتهى القسـاوة والتنكيل .

اسرى بدر : هم رؤسـاء مكة من المتجبـرين الذين حملهم كفـرهم وطغيـانهم على محـاربة محمـد (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) واصحـابـه والقضاء على رسالته المقدسة .

اسرى بدر : الجبابرة الطغاة ، أهل العنفوان والخيـلاء . . . ها هم في الاغلال يرسفون ، اسارى بايدي المسلمين ، في غاية الحقارة والـذل وقد اخزاهم الله ، والبسهم لباس الذل والخوف بما كانوا يفعلون .

ذكـر المؤرخون واصحـاب السير في رجـوع النبي (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) من بـدر الى المـدينـة ، ومـا جـرى من الامـور في مسيـره اليها ، وقد تقدم ان وقعة بدر كانت يوم الجمعة السـابع عشـر من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة .

ويذكر أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان اذا ظهر على قوم اقـام بالعرصة ثلاثة ايام ، وقد اقام (صلى الله عليه وآله وسلم) بعرصة بدر ثلاثة ايام .

وكان رحيله (صلى الله عليه وآله وسلم) منها ليلة الاثنين ، فركب ناقته ووقف على قليب بدر ، فقرع اولئك الذين سحبوا اليه كما اسلفنا . ثم سار (صلى الله عليه وآله وسلم) معه الاسارى والغنائم الكثيرة ، وقد بعث (صلى الله عليه وآله وسلم) بين يديه بشيرين الى المدينة بالفتح والنصر والظفر على من اشرك بالله وجحده وبه كفر .

وكان البشيران احدهما عبد الله بن رواحة الى اعالي المدينة - العالية - والثاني زيد بن حارثة الى السافلة

ووصل البشيران الى المدينة يوم وفاة رقية بنت رسول الله على ما تقول بعض الروايات كما اسلفنا .

عن ابن اسحاق : ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ارتحل من بدر حتى اذا كان بالصفراء قتل النضر بن الحارث ، قتله علي بن ابي طالب .

ثم خرج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى اذا كان بعرق الظبية قتل عقبة بن ابي معيط فقال عقبة حين امر رسول الله بقتله : فمن للصبية يا محمد ؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : النار .

وقيل لما امر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بقتل عقبة قال : اتقتلني يا محمد من بين قريش ؟ . قال (صلى الله عليه وآله وسلم) نعم . . . أتدرون ما صنع هذا بي ؟! جاء وانا ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنقي وغمزه فما رفعها حتى ظننت أن عيني ستندران ، وجاء مرة اخرى بسلا شاة فالقاه على رأسي وانا ساجد ، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسي .

وكـان قد تـولى قتل عقبـة بن ابي معيط علي بن ابي طـالب (عليـه السلام) كما عن ابن هشام والزهري وابن كثير وغيرهم .

وعن ابن كثـير وغيره : كـان هذان الـرجلان : النضـر بن الحارث وعقبـة بن ابي معيط ، من شـر عبـاد الله واكثـرهم كفـرا وعنـاداً وبغيـاً وحسداً وهجاء للاسلام واهله .

وذكـر المؤرخون : ان قتيلة بنت الحـارث اخت النضر بن الحـارث قالت في مقتل اخيها :

يـا راكبـاً ان الاشيـل مـظنـة ... من صبـح خـامسـة وان مـوفق
ابـلغ بهـا ميـتـا بـان تحيـة ... مـا ان تـزال بهـا النجـائب تخفق
مني اليـك وعبـرة مسفـوحـة ... جـادت بـوابلهـا واخـرى تخنق
هـل يسمعنّ النضـر ان نـاديتـه ... أم كيف يسمـع ميت لا ينـطق
أمحمـد يـا خـير ضنيء كـريمـة ... من قـومها والفحـل فحل معـرق
مـا كـان ضـرك لـو مننت وربمـا ... منَّ الفـتى وهـو المغيظ المحنق
أو كنت قـابـل فـديـة فلينفقن ... بـاعـز مـا يغلو بـه مـا ينفـق
والنضـر اقرب من اسـرت قرابـة ... واحـقهـم ان كـان عتـق يعتـق
ظلت سيـوف بني ابيـه تنـوشـه ... لله ارحـام هـنـاك تشقـق
صبـراً يقـاد الى المنيـة متعبـاً ... رسف المقيـد وهـو عـانٍ مـوثق

ويقـال والله اعلم ان رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) لما بلغه هذا الشعر قال : « لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه »[1] .

اقول ليس من المعقول ان الرسول الاعظم يأمر بقتل النضر إلا وهو

---

(١) البداية والنهاية، لابن كثير، ج ٣ ص ٣٠٦.

مستحق ، وليس من المعقول ان تكون ابيات من الشعر فيها استعطاف مغيِّرة ؟ لحكم مشروع . والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) معصوم لا يأمر الا بما فيه المصلحة ولا ينهى الا عما فيه المفسدة .

هذا ما كان من امر القتيلين الاسيرين ـ عقبة ،والنضر ـ ولم يقتلا الا لانهما كانا مستحقين للقتل لعدواتهما الشديدة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وللاسلام كما اسلفنا .

ومن الغريب اننا نرى بعض اعداء الاسلام الذين يضمرون له كل شر يدسون آراءهم الفاسدة اللامعقولة التي ينكرها العقل والوجدان ، والتاريخ والبرهان ، يتقولون على الرسول الاعظم بانه بنى دعوته على الدم ، وعلى الأخذ بالثأر .

ويأتي بعد مدة من الزمن اناس من المستشرقين ، حاملين لواء الحرب والكيد للاسلام ، يلصقون به ما ليس فيه باسم العدالة التي يتشدقون بها ، وباسم العفو عند المقدرة والحلم والتسامح . . .

لكن هؤلاء المستشرقين نسوا أو تناسوا ما كان يدور في بلادهم من المخازي والظلم والجور والفتك بالانسان البرىء ، والحروب الدامية ، والقتل الشنيع . . . كحرب الطوائف في اوربا والحروب الصليبية وغيرها من الحروب إلتي يضيق المجال عن سردها .

يقول الدكتور هيكل في كتابه حياة محمد : « يقف غير واحد من المستشرقين عند اسرى بدر هؤلاء وعند مقتل النضر وعقبة ويتساءلون : أليس في ذلك ما يدل على ظمأ هذا الدين الجديد الى الدم ، ظمأ لولاه لما قتل الرجلان ، ولكان اكرم للمسلمين بعد ان كسبوا الموقعة أن يردوا

الاسرى وأن يكتفوا بالفيء الذي غنموا ؟!

وذلك التساؤل الذي يريد أن يثير في النفوس عوامل اشفاق لم يكن له يومئذ موضع ، ليكون له بعد الف سنة من هذه الغزوة ، وما تلاها من غزوات ، وسيلة للنيل من الدين ومن صاحب الدين .

على ان هذا التساؤل لم يلبث أن ينهار ويتداعى اذا نحن وازنا بين مقتل النضر وعقبة ، وما يجري اليوم وما سيجري دائما ما دامت الحضارة الغربية ، التي تتشح بوشاح المسيحية ، متحكمة في الارض .

فهل تراه يوازي شيئاً الى جنب ما يقع باسم قمع الثورات في بلاد يحكمها الاستعمار على كره من اهلها ؟!

وهل تراه يوازي شيئاً الى جانب ما وقع من مجازر الحرب الكبرى ؟!

ثم هل يوازي شيئاً مما حدث اثناء الثورة الفرنسية الكبرى ، واثناء الثورات المختلفة التي وقعت وتقع في امم اوربا المختلفة ؟ »

اقول : اذا قارنا بين معركة بدر وبين غيرها من المعارك الكثيرة والمجازر التي تحصل في الثورات ، والتي يقع فيها الغدر والاغتيال والتعذيب والتنكيل والقتل الجماعي . . . نجد ان الذي صنعه المسلمون في اسرى بدر الكثيرين كان آية في الرحمة ، وغاية في الاحسان .

فاذا قتل المسلمون اثنين من اسرى بدر السبعين لانهما كانا قساة على المسلمين مدى الاعوام الثلاثة عشر التي احتمل المسلمون فيها صنوف

الاذى وانـواع العذاب من قـريش وطواغيتهـا بمكـة ، نـرى ان معـاملة المسلمـين وهـو العفـو عن بقيـة الاسـرى الكثـرين هي من الاخـلاق الاسلامية العالية .



وصول خبر وقعة بدر الى مكة

جاء في كتب السيرة عن ابن اسحاق قوله : كان اول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبد الله الخزاعي فقالوا له : ما وراءك ؟ قال : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وابو الحكم بن هشام ، وأمية بن خلف ، وزمعة بن الاسود ونبيه ومنبه ، وابو البختري بن هشام .

فلما جعل يعدد اشراف قريش قال صفوان بن أمية : والله لن يعقل هذا ، فسلوه عني ، فقالوا : ما فعل صفوان بن امية ؟ قال : هو ذاك جالساً في الحجر ، قد والله رأيت اباه واخاه حين قتلا .

قال موسى بن عقبة : ولما وصل الخبر الى اهل مكة وتحققوه قطعت النساء شعورهن وعُقرت خيول كثيرة ورواحل .

وعن ابن اسحاق ايضاً عن ابي رافع مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب وكان الإسلام قد دخلنا اهل البيت ، فاسلم العباس واسلمت ام الفضل واسلمت .

وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم ، وكان يكتم اسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه . وكان ابو لهب قد تخلف عن بدر

فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ـ وكذلك كانوا صنعوا لم يتخلف منهم رجل الا بعث مكانه رجلا ـ فلما جاءه الخبر عن مصاب اصحاب بدر من قريش كبته الله واخزاه ووجدنا في انفسنا قوة وعزا .

قال : وكنت رجلا ضعيفا ، كنت اعمل الاقداح انحتها في حجرة زمزم ، فوالله اني لجالس فيها انحت اقداحي وعندي ام الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر ، اذ اقبل ابو لهب يجر رجليه بشر حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره الى ظهري ، فبينا هو جالس اذ قال الناس هذا ابو سفيان ـ واسمه المغيرة ـ ابن المحارث بن عبد المطلب قد قدم .

قال : ـ ابو رافع ـ فقال ابو لهب هلم الي فعندك لعمري الخبر ، فجلس اليه والناس قيام عليه فقال : يا ابن اخي اخبرني كيف كان امر الناس ؟ قال : والله ما هو الا ان لقينا القوم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف شاؤوا . . ويأسروننا كيف شاؤوا . . وايم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض ، والله ما تليق[1] شيئاً ولا يقوم لها شيء.

قال ابو رابع : فرفعت طنب الحجرة بيدي، ثم قلت : تلك والله الملائكة . قال : فرفع ابو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة ، قال : وساورته[2] فاحتملني وضرب بي الارض ثم برك علي يضربني ـ وكنت رجلا ضعيفاً ـ فقامت ام الفضل الى عمود من عمد الحجرة

---

(١) أي ما تبقي.
(٢) ساورته : وثبت اليه ، بادرته .

فـاخذتـه وضربتـه به ضـربة بلغت في رأسـه شجـة منكـرة ، وقـالت : استضعفته ان غاب عنه سيده ؟ ! فقام موليا ذليلا . فوالله ما عـاش الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة[1] فقتلته . وقد تركه ابناه بعد موته ثلاثا ما دفناه حتى انتن .

وكانت قريش تتقي هذه العدسـة كما تتقي الـطاعون حتى قـال لهم رجـل من قريش : ويحكـما ألا تستحيـان ان ابـاكـما قـد انتن في بيتـه لا تدفنانه ؟ فقالا : انا نخشى عدوة هذه القرحة ، فقال انطلقا فانا اعينكما عليه ، فوالله ما غسلوه الا قذفاً في الماء عليه من بعيد مـا يدنـون منه ثم احتملوه الى اعلى مكةْ فاسندوه الى جدار ثم رضموا عليه بالحجارة[2].

وفي السيرة الهشامية عن ابن اسحاق قال : « ناحت قريش على قتلاهم ثم قالوا : لا تفعلوا فيبلغ محمدا واصحابه، فيشمتوا بكم ، ولا تبعثوا في اسراكم حتى تستـأنوا[3]بهم لا يأرب[4]عليكم محمد واصحابه في الفداء .

قال : وكان الاسود بن المطلب قد اصيب له ثلاثة من ولده، زمعة بن الاسود، وعقيل بن الاسود، والحارث بن زمعة ، وكان يحب ان يبكي على بنيه ، فبينما هو كذلك اذ سمع نائحة من الليل، فقال لغلام له : وقد ذهب بصره : انظر هل احل النحب، هل بكت قريش على

---

(١) العدسة : قرحة قاتلة كالطاعون .
(٢) راجع البداية والنهاية لابن كثير، بن كثير، ج ٣، ص ٣٠٨، ٣٠٩، وابن هشام، وغيره.
(٣) حتى تستأنوا بهم، اي تؤخروا فداءهم.
(٤) لا يأرب، اي لا يشتد.

قتلاها ؟ لعلي ابكي على ابي حكيمة - يعني زمعة - فان جوفي قد احترق . قال : فلما رجع اليه الغلام قال: انما هي امرأة تبكي على بعير لها اضلته فقال الاسود :

اتبكي ان يضل لها بعير ويمنعها من النوم السهود
فلا تبكي على بكر[1] ولكن على بدر تقاصرت الجدود

الى ان يقول بعد ان عدد من قتل في بدر من صناديد قريش اخذ يعرِّض بابي سفيان الاموي .

الا قد ساد بعدهم رجال ولولا يوم بدر لم يسودوا

---

(١) البكر، الفتى من الابل.

اسرى قريش في المدينة

جاء في السيرة النبوية لابن هشام عن ابن اسحاق انه قال: ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين اقبل بالاسارى فرقهم بين اصحابه وقال: استوصوا بالاسارى خيرا . ثم مضى (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى قدم المدينة قبل الاسارى بيوم وعن اسعد بن زرارة انه قال : قُدم بالاسارى حين قُدم بهم ، وسودة بنت زمعة زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عند آل عفراء، في مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفراء، وذلك قبل ان يضرب عليهن الحجاب .

قال: تقول سودة : والله اني لعندهم اذ أُتينا فقيل : هؤلاء الاسارى قد أُتي بهم ، قالت : فرجعت الى بيتي، ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيه ، واذا ابو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحجرة مجموعة يداه الى عنقه بحبل .

قالت : فلا والله ما ملكت نفسي حين رأيت ابا يزيد كذلك ان قلت : اي ابا يزيد، اعطيتم بايديكم ! ألاَّ متم كراما ! فوالله ما انبهني الا قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من البيت: يا سودة . . أعلى الله ورسوله تحرضين ؟ قالت : قلت : يا رسول الله، والذي بعثك بالحق، ما ملكت نفسي حين رأيت ابا يزيد مجموعة يداه الى عنقه . .

أن قلت ما قلت[1].

ذكر المؤرخون واصحاب السير: ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اطلق جماعة من الاسارى مجانا بلا فداء، منهم ابو العاص بن الربيع الاموي، والمطلب بن حنطب المخزومي، وصيفي بن ابي رفاعة، وابـو عزة الشاعر، ووهب بن عمير الجمحي .

وعن ابن عباس ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جعل فداء اهل الجاهلية يوم بدر اربعمائة ، وهذا كان اقل ما فودي به احد منهم من المال، واكثر ما فودي به من الرجل منهم اربعة آلاف درهم . وقد وعد الله من آمن منهم بالخلف عما اخذ منه في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿ **يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم** ﴾[2].

وفي مجمع البيان للطبرسي انه : روي عن العباس بن عبد المطلب انه قال : نزلت هذه الآية فيَّ وفي اصحابي، كان معي عشرون أوقية ذهبا فاخذت مني فاعطاني الله مكانها عشرين عبدا كل منهم يضرب بمال كثير، وادناهم يضرب بعشرين الف درهم مكان العشرين اوقية ، واعطاني زمزم وما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ج ٢، ص ٢٩٩.
(٢) سورة الانفال، آية ٧٠.

وفي البداية والنهـاية لابن كثـير: فادى النبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) بقية الاسرى حتى عمه العباس اخذ منه اكثر مما اخذ من سائـر الاسـرى لئلا يحـابيه لكـونه عمـه ، مع انـه قد سـأله الـذين اسروه من الانصـار ان يتركـوا له فـداءه فابى عليهم ذلـك ، وقال: لا تتـركوا منـه درهما .

وقد كان فداؤهم متفاوتا فاقل ما اخذ اربعمائة ، ومنهم من أخذ منه اربعون اوقية من ذهب . واخذ من العباس مائة اوقية من ذهب .

ومنهم استؤجر على عمل بمقدار فدائه .

وعن ابن عباس قال : كان ناس من الاسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل رسول الله فداءهم ان يعلّموا اولاد الانصار الكتابة والقراءة[١] .

وفي السيرة النبوية لابن دحلان : « كان من جملة الاسرى عمرو بن ابي سفيان بن حرب اخو معاوية ، اسره علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، فقيل لابي سفيان افد عمراً ابنك . . فقال : ايجمع علي دمي ومالي ! قتلوا حنظلة ـ يعني ابنه وهو شقيق ام حبيبة زوج الرسول ـ وافدي عمراً . . . دعوه في ايديهم يمسكونه ما بدا لهم .

فبينما ابو سفيان بمكة ، اذ وجد سعد بن النعمان اخا بني عمرو بن عوف قد وفد من المدينة معتمراً، فعدا عليه ابو سفيان فحبسه بابنه عمرو .

---

(١) البداية والنهاية، لابن كثير، ج ٣ ص ٣٢٨.

عندها مضى بنو عمرو بن عوف الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاخبروه خبر سعد بن النعمان، وسألوه ان يعطيهم عمرو بن ابي سفيان فيكون به صاحبهم . ففعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فبعثوا به الى ابي سفيان ، فخلى سبيل سعد . ولم يذكر عمرو هذا فيمن اسلم من الاسرى، والظاهر انه مات على شركه .

اقول: مما لا جدال فيه انا ابا سفيان حرب هو وابوه وجده ، حرب للهاشميين وللرسول وآل الرسول، ولم يكن يوماً من الايام ممن يلتزم باتفاق أو يرعى عهداً، شأن كبار الرؤساء او العظماء أو اهل المروءة والفضيلة ، بل كان ماكرا خداعا ، يضمر غير ما يظهر . ومما يدل على خبث سريرته وان الاسلام لم يلامس قلبه ، ما تقوله المرويات من انه حينما ولي الخلافة عثمان بن عفان الاموي، كان ابو سفيان يومذاك رجلا عجوزاً اعمى ، طلب من قائده ان يذهب به الى قبر الحمزة بن عبد المطلب باحد .

وعندما وقف على قبر الحمزة قال له مخاطبا بكل حقد : يا ابا عمارة ان الامر الذي تجالدنا عليه لهو الآن في ايدينا وبين صبياننا يتلاعبون به . وهذه الرواية وما شابهها مما يذكره المؤرخون اكبر دليل على ان أبا سفيان لم يكن يوما من الايام مسلما حقيقياً بل ان الكفر والحقد وعداوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) واهل بيته هذه الامور كامنة في قرارة نفسه .

نراه عدا على سعد بن النعمان وكان سعد شيخاً كبيراً مسلماً خرج معتمراً الى مكة ، بعدما عهدت قريش أن لا تعترض لاحد حاجاً او معتمراً الا بخير، فعدا عليه ابو سفيان فحبسه بمكة بابنه عمرو .

واما قول ابن دحلان « والظاهر ان عمراً لم يسلم بل مات على شركه » فجوابه واضح : فمتى كان ابوه - ابو سفيان - قد اسلم اسلاما حقيقيا حتى يكون ابنه عمرو الذي ربي في حجر الكفر والضلال والبعد عن الحق قد اسلم ؟!.

ومعلوم باتفاق المؤرخين ان ابا سفيان لم يظهر الاسلام الا بعد فتح مكة ، وانما سلم ظاهراً خوفا من القتل هو وزوجته هند آكلة الاكباد .

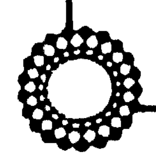
ومن المعلوم ايضاً ان القرآن الكريم ذكر المؤلفة قلوبهم والمعني بهم هم ابو سفيان وامثاله .





الفَصْل

الثاني والثلاثون





زينب بنت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

في السيرة الهشامية عن ابن اسحاق: كان في الاسارى ابو العاص بن الربيع ختن[1]رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، زوج ابنته زينب .

وكان ابو العاص من رجال مكة المعدودين ، مالاً، وامانة ، وتجارة ، وكان لهالة بنت خويلد، كانت خديجة خالته . فسألت خديجة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يزوجه ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يخالفها، وذلك قبل أن ينزل عليه الوحي ـ فزوجه زينب ـ وكانت تعده بمنزلة ولدها .

فلما اكرم الله رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) بنبوته آمنت خديجة وبناته ، فصدّقنه ، وشهدن ان ما جاء به الحق ، ودِنّ بدينه ، وثبت ابو العاص على شركه .

وكان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قد زوج عتبة بن ابي

---

(١) الختن ، ابو امرأة الرجل واخو امرأته ، وكل من كان من قبل امرأته . والجمع اختان .

وفي الحديث: علي ختن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أي زوج ابنته ـ لسان العرب لابن منظور.

لهب رقية ، أو أم كلثوم[1] فلما بادى قريشاً بامر الله تعالى وبالعداوة ، قالوا : انكم قد فرغتم محمداً من همه ، فردوا عليه بناته فاشغلوه بهن .

فمشوا الى ابي العاص فقالوا له : فارق صاحبتك ونحن نزوجك اي امرأة من قريش شئت . قال : لا والله ، اني لا افارق صاحبتي ، وما احب لي بامرأتي امرأة من قريش . وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يثني عليه في صهره خيرا .

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يُحِلُّ بمكة ولا يُحَرِّم ، مغلوباً على امره ، وكان الاسلام قد فرق بين زينب بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين اسلمت وبين ابي العاص بن الربيع ، إلا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان لا يقدر أن يفرق بينهما فاقامت معه على اسلامها وهو على شركه ، حتى هاجر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . فلما سارت قريش الى بدر سار فيهم ابو العاص بن الربيع ، فاصيب في الاسارى يوم بدر. فكان بالمدينة عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فلما بعث اهل مكة في فداء أُسرائهم ، بعثت زينب بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في فداء أبي العاص بن الربيع بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة ادخلتها على ابي العاص حين بنى عليها .

---

(١) قال السهيلي: كانت رقية بنت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) تحت عتبة بن ابي لهب، وام كلثوم تحت عتيبة ، فطلقاهما بعزم ابيهما عليهما وامهما حين نزلت ﴿ تبت يدا ابي لهب ﴾ فاما عتيبة فدعا عليه النبي ان يسلط الله عليه كلبا من كلابه، فافترسه الاسد ، واما عتبة ومعتب فاسلما ، بعد ذلك .

فلما رآها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ القلادة ـ رق لها رقة شديدة وقال : ان رأيتم ان تطلقوا لها اسيرها ، وتردوا عليها مالها ، فافعلوا . فقالوا : نعم يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . فاطلقوه وردوا عليها الذي لها .

وقيل : كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد اخذ على ابي العاص، او شرط عليه في اطلاقه ان يخلي سبيل زينب ويرسلها اليه الى المدينة .

فلما خرج ابو العاص الى مكة وخُلي سبيله بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) زيد بن حارثة ورجلا من الانصار فقال لهما : كونا ببطن يأجج[1]حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى تأتياني بها . فلما قدم ابو العاص مكة امرها باللحوق بابيها ، فخرجت تجهَّز ـ وذلك بعد بدر بشهر او قريب منه ـ .

قال ابن اسحاق : حُدِّثت عن زينب انها قالت : بينا انا اتجهز بمكة للحوق بابي لقيتني هند بنت عتبة فقالت : يا بنت محمد ، ألم يبلغني انك تريدين اللحوق بابيك ؟ قالت : فقلت : ما اردت ذلك ، فقالت : اي ابنة عمي ، لا تفعلي، ان كانت لك حاجة بمتاع مما يرفق بك في سفرك او بمال تتبلغين به الى ابيك فلا تخجلي مني، فانه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال قالت : زينب ولكني خفتها ، فانكرت ان اكون اريد ذلك وتجهّزت .

أقول : لقد خافت زينب بنت الرسول (صلى الله عليه وآله

(١) يأجج : موضع على ثمانية اميال من مكة .

وسلم) من هند بنت عتبة آكلة الاكباد . . وحقها ان تخاف من هذه العدوة الخبيثة الماكرة التي اتت بكل خداع تعرض عليها المساعدة بعد ان تقنعت بعاطفة مزيفة .

لكن زينب وكل المسلمين يعلمون من هي هند . . . واروِمتها . . وانها كانت تفعل المستحيل، ولا تألو جهداً في اذية محمد وحربه . فكيف تمد يعد العون والمساعدة لابنته زينت ؟ ! .

أليست هند هذه هي التي حرضت زوجها ابا سفيان مع نفر من قريش بارجاع زينب الى مكة وترويعها ، عداوة وحقدا وبغضا لابيها كما سيأتي .

عن ابن اسحاق: لما فرغت بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من جهازها ، قدَّم لها حموها كنانة بن الربيع ، اخو زوجها ، بعيرا ، فركبته ، واخذ قوسه وكنانته ، ثم خرج بها نهاراً يقود بها ، وهي في هودج لها . وتحدث بذلك رجال من قريش، فخرجوا في طلبها حتى ادركوها بذي طوى، فكان اول من سبق اليها هبَّار بن الاسود، فروعها هبَّار بالرمح وهي في هودجها .

عند ذلك برك حموها كنانة ، ونثر كنانته ، ثم قال : والله لا يدنو مني رجل الا وضعت فيه سهما فتكركر[1]الناس عنه ، واتى ابو سفيان في جلة من قريش فقال : ايها الرجل كف عنا نبلك حتى نكلمك ، فكف . . فاقبل ابو سفيان حتى وقف عليه فقال : انك لم تصب خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية ، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا ، وما

(١) تكركر الناس عنه : رجعوا، وانصرفوا .

دخل علينا من محمد، فيظن الناس اذ خرجت بابنته اليه علانية من بين اظهرنا أنَّ ذلك عن ذل أصابنا ، وان ذلك منا ضعف ووهن . ولكن ارجع بالمرأة حتى اذا هدأت الاصوات وتحدث الناس ان قد رددناها فسُلَّها سراً والحقها بابيها .

عند ذلك ارجعها كنانة واقامت ليالي، حتى اذا هدأت الاصوات خرج بها ليلا، حتى أسلمها لزيد بن حارثة وصاحبه ، فقدما بها على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ولما رجع الذين خرجوا الى زينب لارجاعها لقيتهم هند بنت عتبة تقرعهم بقولها :

أفي السلم أعيار جفاء وغلظة   وفي الحرب اشباه النساء العوارك

وقال كنانة بن الربيع في الذين لحقوه لارجاع زينب :

عجبت لهبار وأوباش قومه   يريدون اخفاري ببنت محمد
ولست ابالي ما حييت عديدهم   وما استجمعت قبضا يدي بالمهند[1]

(١) العديد : الكثرة والجماعة ، وفي سائر الاصول : فديدهم ، والفديد: الصراخ .



اسلام ابي العاص

عن ابن اسحاق اقام ابو العاص بمكة ، واقامت زينب عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمدينة، حين فرق بينهما الاسلام، حتى اذا كان قبيل الفتح ، خرج ابو العاص تاجراً الى الشام، وكان رجلا مأمونا، بمال له واموال لرجال من قريش، ابضعوها معه ، فلما فرغ من تجارته واقبل قافلا، لقيته سرية لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاصابوا ما معه واعجزهم هاربا .

فلما قدمت السرية بما اصابوا من ماله،اقبل ابو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاستجار بها ، فاجارته وجاء في طلب ما له فلما خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى الصبح كبّر وكبّر الناس، معه ، صرخت زينب من صفّة[1] النساء: ايها الناس، اني قد اجرت ابا العاص بن الربيع . فلما سلم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الصلاة أقبل على الناس فقال: أيها الناس، هل سمعتم ما سمعت ؟

قالوا : نعم . قال : اما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم . . انه يجير على المسلمين ادناهم.

---

(١) الصفة : السقيفة ، مكان مصلى النساء.

ثم انصرف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فدخل على ابنته فقال : أي بُنية ، أكرمي مثواه ، ولا يخلصن اليك ، فانك لا تحلين له .

ثم ان رسول الله بعث الى السرية الذين اصابوا مال ابي العاص فقال لهم : ان هذا الرجل منا حيث قد علمتم ، وقد اصبتم له مالاً ، فان تحسنوا فتردوا عليه الذي له فانا نحب ذلك، وان ابيتم فهو فيء الله الذي افاء عليكم ، فانتم احق به .

فقالوا : يا رسول الله، بل نرده عليه، فردوه عليه حتى ان الرجل ليأتي بالدلو ، ويأتي بالشنة[1] وبالاداوة[2] حتى ان احدهم ليأتي بالشظاظ[3] ، حتى ردوا عليه ماله باسره لا يفقد منه شيئاً .

ثم احتمل الى مكة، فادى الى كل ذي مال من قريش ماله ، ومن كان ابضع معه ، ثم قال :

يا معشر قريش ، هل بقي لأحد عندي مال لم يأخذه ، قالوا لا . . فجزاك الله خيرا ! فقد وجدناك وفيا كريماً .

قال: فانا اشهد ان لا اله الا الله، وان محمداً عبده ورسوله ، والله ما منعني من الاسلام عنده الا تخوف ان تظنوا أني انما أردت ان آكل اموالكم ، فلما اداها الله اليكم وفرغت منها اسلمت[4].

---

(١) الشنة : السقاء البالي.

(٢) الاداوة : اناء صغير من جلد .

(٣) الشظاظ: خشبة عقفاء تدخل في عروتي الجوالق.

(٤) السيرة النبوية، لابن هشام، ج٢ ، ص ٣١٢، ٣١٣.

ثم خرج حتى قدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فرد عليه رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) زوجته بعـد ست سنين أو خمس على بعض الروايات .

تقـول بعض المرويـات ان الرسـول (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) ارجع زينب لزوجها ابي العاص على النكاح الاول . . ويعارض هذا مـا ورد في كتب السيرة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه ردها عليه بنكاح جديد ، وهذا هو الصحيح الذي هو عليه العمل . لأن الاسـلام كان قد فرق بينهما قال تعالى : **(لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن)**[1]

اما أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قد ردها بالنكاح الاول وبدون عقـد جديـد فذلـك مما لم يثبت ، لأن النصـوص الاسـلامية تؤكـد ان الزوجة اذا أسلمت قبل الزوج ، وبقي هو على شـركه الى ان تخـرج من عدتها ، تبين منه .

اما اذا اسلم الزوج قبل انتهاء العدة فهواحق بها .

ويستفاد من ذلك ان اثر النكاح الأول يصبح باطلا فلا بد من عقد جديد ، وهذا هو مذهب الأئمة من اهل بيت النبوة الذين استقوا العلم من النبع الصافي جدهم الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) .

والخلاصة : وبعد اسلام أبي العاص فلا بـد ان يكون النبي (صـلى الله عليـه وآله وسلم) قـد رد عليه زينب بعقـد جديـد حسبـما تقتضيـه اصول الشريعة .

---

(١) سورة الممتحنة، آية ١٠.



الخمر . . . والميسر

الخمر على ما يستفاد من اللغة واقوال المفسرين هو كل مائع معمول للسكر ، والاصل في معناه : الستر ، وسمي به لأنه يستر العقل ولا يدعه يميز الحسن من القبيح والخير من الشر .

وكانت العرب لا تعرف من اقسام الخمر الا الخمر المعمول من العنب والتمر والشعير ، ثم زاد الناس في اقسامها تدريجا فصارت اليوم انواعا ذات مراتب بحسب درجات السكر ، والجميع خمر .

والميسر في اللغة هو القمار على اختلاف انواعه . ومعنى القمار هو أن يفوز الرجل بمال صاحبه من غير كد ولا مشقة .

حينما وضعت الشريعة الاسلامية احكامها على الانسان ، الانسان الصحيح بعقله وجسمه ، امرته بالمحافظة على هاتين النعمتين ـ الصحة ، والعقل ـ وشددت بالنهي عن جميع المفاسد ، ومن جملتها الخمر وهو من اعظم الامور المبطلة لحكومة العقل وسلامة الجسم ، لان مضرته في الادراك وسلبه للحواس مما لا ينكره منكر .

ولا يخفى على ذوي العقول السليمة ان مضرات الخمر الخلقية وما ينتج عنها من المفاسد لا تعد ولا تحصى . أقلها حمل الانسان على فعل الفواحش والانحراف السلوكي والاضرار بالآخرين ، وابطال جميع

القوانين والنظم الاجتماعية والاخلاقية التي بنيت عليها سعادة بني البشر . فلا عاصم لسكران فقد ادراكه لا يدري ما يقول ولا يشعر بما يفعل ، من هتك الحرمات ، وافشاء السر ، والاعتداء على النفوس والاعراض والاموال .

مضافا الى ان مضرات الخمر الصحية وآثاره السيئة كثيرة منها ما يؤذي المعدة ـ والامعاء ـ والكبد ـ والرئة ـ وسلسلة الاعصاب ـ والشرايين ـ والقلب وجميع الحواس .

وقد صدرت مؤلفات وكتب كثيرة في اضرار الخمر من مشاهير الاطباء القدماء والمتأخرين ، ولهم في ذلك احصاءات تكشف عن كثرة المبتلين بانواع الامراض المهلكة من جراء تعاطي شرب الخمر .

ولما كان الانسان بطبيعته وغريزته الحيوانية يميل الى الشهوات ، واشباع نفسه من الملذات انجرف في تيار الفساد وعدل عن الطريق المستقيم .

لكن الله جل وعلا ، الرؤوف بعباده ، كلف الناس بالرفق واللين والامهال ولم يأخذهم اخذ عزيز مقتدر ، بل انزل الاحكام الشرعية بالتدريج حسب ما تقتضيه الحكمة ، وانزل الآيات الكريمة على الرسول الأعظم ، ومن جملتها الدالة على حرمة شرب الخمر وفعل الميسر .

ففي الوسائل للحر العاملي : « ان اول ما نزل في تحريم الخمر قوله عز وجل : ﴿ **يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع**

للنـاس واثمهما اكبـر من نفعهما ﴾[1]فلما نـزلت هذه الآيـة أحس القوم بتحـريم الخمر وعلمـوا ان الاثم مما ينبغي اجتنـابه ، ولا يحمـل الله عز وجل عليهم من كل طريق، لانه تعالى قال: ومنافع للناس .

ثم انـزل آية اخـرى: ﴿ انمـا الخمـر والميسـر والانصـاب والازلام رجس من عمـل الشيطان فـاجتنبوه لعلكم تفلحـون ﴾[2]فكـانت هـذه الآية اشد من الاولى واغلظ في التحريم .

ثم ثلث بآية اخرى فكانت اغلظ من الاولى والثانية واشد فقال عـز وجل : ﴿ انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهـل انتم منتهون ﴾[3]فـامر باجتنابها وفسر عللهـا التي لها ومن اجلهـا حرمهـا ، ثم بين الله تحـريمها وكشفه في الآية الرابعة مع ما دل عليـه في هذه الآيـات الثلاث المتقـدمة بقوله عز وجل : ﴿ قل انما حرم ربي الفواحش مـا ظهر منهـا وما بـطن والاثم والبغي بغـير الحق ﴾[4]وقال في الآيـة الاولى: ﴿ يسألـونك عن الخمـر والميسر قـل فيهما اثم كبـير ومنـافـع للنـاس ﴾ ثم قـال في الآيـة الرابعة : ﴿ قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بـطن والاثم ﴾ فخبـران الاثم في الخمر وغيـرها وانـه حرام . وذلـك ان الله اذا أراد ان يفرض فريضـة انزلهـا شيئاً بعـد شيء حتى يوطن النـاس انفسهم عليها

---

(١) سورة البقرة، آية ٢١٨.
(٢) سورة المائدة، آية ٩٠.
(٣) سورة المائدة، آية ٩١.
(٤) سورة الأعراف، آية ٣٣.

ويسكنوا الى امر الله عز وجل ونهيه فيها . وكان ذلك من فعل الله عز وجل على وجه التدبير فيهم اصوب لهم واقرب لهم الى الاخذ بها واقل لنفارهم عنها .(1).

وفي مجمع البيان للطبرسي : ان جماعة من الصحابة اتوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا : إفتنا في الخمر والميسر، فانها مذهبة للعقل، مسلبة للمال فنزلت الآية : ﴿ **يسألونك عن الخمر والميسر** . . ﴾ قال الحسن : في الآية تحريم الخمر من وجهين :

احدهما ـ قوله تعالى : ﴿**واثمهما اكبر**﴾ فانه اذا زادت مضرة الشيء على منفعته اقتضى العقل الامتناع عنه .

والثاني ـ انه بين ان فيهما الاثم، وقد حرم في آية اخرى الاثم فقال : ﴿ **قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم** ﴾ .

وقيل ان الخمر يسمى اثما في اللغة قال الشاعر :

شربت الاثم حتى ضل عقلي   كذاك الاثم يصنع بالعقول

على انه قد وصف الاثم بانه كبير والكبير محرم بلا خلاف(2) .

وجاء في لسان العرب لابن منظور: ان العرب كانت تطلق على الخمر « الاثم » قال الشاعر :

نشرب الاثم بالصواع جهاراً   ونرى المسك بيننا مستعارا

وقال آخر :

---

(1) الوسائل، للحر العاملي، ج ١٧، ص ٢٤١.
(2) مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي.

نهانا رسول الله ان نقرب الخنا وان نشرب الاثم الذي يوجب الوزرا

وعلى هذا فالاثم يطلق على الخمر وقد شدد الله سبحانه وتعالى على حرمته في اول البعثة النبوية في مكة حيث قال في سورة الاعراف : ﴿ قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم ﴾ ومن المعلوم ان الآية مكية تدل على تحريم الاثم وهو الخمر . وهكذا بقية الآيات التي جاءت في القرآن الكريم والتي ذكرت الخمر دلت دلالة واضحة على حرمته .

وعن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ان اول ما نهاني ربي جل جلاله عن عبادة الاوثان ، وشرب الخمر وملاحاة الرجال .

وعن ابي ابي عبد الله (عليه السلام) قال: ثلاثة لا يدخلون الجنة : السفاك للدم، وشارب الخمر، ومشاء بالنميمة .

ففي الميزان عن الدر المنثور عن سعد بن ابي وقاص انه قال: فيَّ نزل تحريم الخمر صنع رجل من الانصار طعاما فدعانا فاتاه ناس فاكلوا وشربوا حتى انتشوا من الخمر، فتفاخروا ، فقالت الانصار : الانصار خير . وقالت قريش: قريش خير ، فاهوى رجل بلحي جزور فضرب على انفي ففزره ـ فكان سعد مفزور الانف .

قال : فاتيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فذكرت ذلك له فنزلت هذه الآية : ﴿ يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر رجس ﴾ .

اقول ان في هذه الرواية وغيرها من الروايات الكثيرة التي لا مجال

لذكرها تؤيد كلها ان في الآيات التي نزلت الواحدة تلو الاخرى اشعاراً ودلالة على ان رهطا من المسلمين ما تركوا شرب الخمر بعد نزول آية البقرة المكية حتى نزلت آية المائدة وخاصة تشديد النهى ﴿ **فهل انتم منتهون** ﴾.

وفي الميزان ايضاً : ورد في بعض الروايات ان عليا (عليه السلام) وعثمان بن مظعون كانا قد حرما الخمر على انفسهما قبل نزول التحريم .

وفي الملل والنحل ان رجالاً من العرب حرموا الخمر على انفسهم في الجاهلية ، وقد وفق الله سبحانه بعض هؤلاء ان ادرك الاسلام ودخل فيه ، منهم عامر بن الضرب العدواني، ومنهم قيس بن عامر التميمي وقد ادرك الاسلام، ومنهم صفوان بن امية بن محرث الكناني وعفيف بن معدي كرب الكندي، والاسلوم اليامي وقد حرم الزنا والخمر معا . وهؤلاء احاد من الرجال جرى كلمة الحق على لسانهم ، واما عامتهم في الجاهلية كعامة اهل الدنيا[1].

وفي الكافي والتهذيب باسنادهما عن موسى بن جعفر (عليه السلام) قال: ان الله لم يحرم الخمر لاثمها ولكن حرمها لعاقبتها ، فما كان عاقبتها عاقبة الخمر فهو خمر وفي رواية : فما فعل فعل الخمر فهو خمر

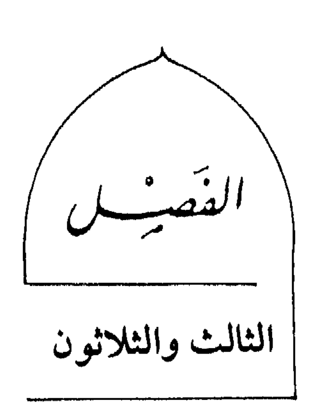
واما الميسر وهو القمار فانه يبطل في أيسر زمان مسعاة الانسان التي صرفها في اقتناء المال والثروة والوجاهة في ازمنة طويلة ، فيذهب القمار

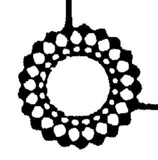
(١) الميزان في تفسير القرآن: للطباطبائي.

بالمال المجموع بالكد والتعب، وربما تبعه العرض والنفس والجاه . فان قامر الانسان وغلب غيره واحرز المال اداه ذلك الى الكسل والتواني وعدم الاشتغال بالكسب الحلال والسير المعتدل في طلب الرزق من الطرق المشروعة وعندها يسير سيراً منحرفاً نحو التوسع في الملاهي والفجور .

وان كان المقامر مغلوبا اداه فقدان المال والخيبة الى العداوة والبغضاء لمن تغلب عليه ، وربما أدى ايضاً الى اشتباك ، وجرائم من قتل وغيره ، وهذا ما يحدث في كثير من الاوقات في دور المقامرة .




الفصل
الثالث والثلاثون




Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأحداث بين بدر واحد

انتهت معركة بدر الكبرى حيث النصر لله ولرسوله وللمسلمين ، فكانت معركة لها آثارها الهامة في سير الدعوة الاسلامية ومحاربة الكفر.

لكن مشركي مكة وطواغيتها واعداء الاسلام من يهود ومنافقين ، ومن الاعراب الذين ذكرهم القرآن بانهم ﴿ **اشد كفراً ونفاقاً** ﴾ لم يستقروا ولم يهدأ لهم بال، واخذهم الحنق واشتدت بهم الكراهية لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه فاخذوا في زرع الفتن، والهجاء، واثارة الاحقاد والاستنفار للاخذ بالثأر . . .

وثارت ثائرة النفوس الشريرة فراحت تنشد الاشعار القوية الصنع في رثاء قتلى المشركين يوم بدر فمن ذلك قول ضرار بن الخطاب :

فان تك قتلى غودرت من رجالنا ... فانا رجالاً بعدهم سنغادر
فنترك صرعى تعصب الطير حولهم ... وليس لهم إلا الاماني ناصر
وتبكيهم من ارض يثرب نسوة ... لهن بها ليل عن النوم ساهر
وذلك انا لا تزال سيوفنا ... بهن دم ممن يحاربن مائر

واخذ اعداء الاسلام في الكيد للمسلمين وشن الغارات عليهم ، الى غير ذلك من التحرشات . .

ولكن الله العلي القدير اكب كيد الظالمين في نحورهم ونصر رسوله فكانت كلمة الاسلام هي العليا ، وكلمة اهل الضلال والنفاق هي السفلى وما ربك بظلام للعبيد .

قال ابن اسحاق : لما قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة لم يقم بها الا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بني سليم ، فبلغ ماء من مياههم يقال له ـ الكدر ـ فاقام عليه ثلاث ليال، ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا .

فاقام (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمدينة بقية شوال وذي القعدة، وافدى في اقامته تلك جل الاسارى من قريش.

غزوة السويق

جاء في السيرة النبوية لابن هشام : كان ابو سفيان حين رجع الى مكة ، ورجع فل[1]قريش من بدر، نذر ان لا يمس رأسه ماء حتى يغزو محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) فخرج في مئتي راكب من قريش ليبرَّ يمينه ، فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة الى جبل يقال له : ثيب[2]، ثم خرج من الليل حتى اتى بني النضير تحت الليل، فاتى حيي بن اخطب، فضرب عليه بابه ، فابى ان يفتح له بابه . . وخافه ، فانصرف عنه الى سلام بن مشكم ، وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك ، وصاحب كنزهم[3] .

فاستأذن عليه فاذن له ، فقراه[4]وسقاه ، وبطن[5]له من خبر الناس، ثم خرج في عقب ليلته حتى اتى اصحابه ، فبعث رجالا من قريش الى المدينة، فاتوا ناحية منها ، يقال لها ـ العريض ـ فحرقوا في اصوار[6] من نخل بها . ووجدوا بها رجلا من الانصار وحليفا له في

(١) الفل : القوم المنهزمون .

(٢) ثيب: ويقال جبل نيب: وهو على بريد او نحوه من المدينة.

(٣) يريد بالكنز: المال الذي كانوا يجمعونه لنوائبهم وما يعرض لهم .

(٤) فقراه : اي صنع له القرى، وهو طعام الضيف .

(٥) بطن له : أي اعلمه من سرهم : ساره .

(٦) الاصوار: جمع صور، وهو جماعة النخل.

حرث لهما ، فقتلوهما ، ثم انصرفوا راجعين ، ونذر[1] بهم الناس .

عندها خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في طلبهم ، واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر - وهو ابو لبابة - حتى بلغ قرقرة الكدر، ثم انصرف راجعاً، وقد فاته ابو سفيان واصحابه . فقال المسلمون حين رجع بهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا رسول الله : أتطمع لنا ان تكون غزوة ؟ قال: نعم .

وانما سميت غزوة السويق أنَّ اكثر ما طرح القوم من ازوادهم السويق، فهجم المسلمون على سويق كثير فسميت غزوة السويق[2].

ولما رجع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من غزوة السويق، اقام بالمدينة بقية ذي الحجة أوقريباًمنها، ثم غزا نجدا يريد غطفان ، وهي غزوة ذي أمر ، فاقام بنجد صفراً كله أو قريباً من ذلك، ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا. فلبث بها شهر ربيع الاول .

ثم غزا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يريد قريشا حتى بلغ بحران ، معدنا بالحجاز من ناحية الفرع، فاقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الاولى، ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا .

---

(١) نذر بهم الناس: علموا بهم .

(٢) السويق: هو ان تحمص الحنطة أو الشعير أو نحو ذلك ثم تطحن ثم يسافر بها، وقد تمزج باللبن، والعسل، والسمن وتلت، فان لم يكن شيء من ذلك مزجت بالماء.

قتل عصماء بنت مروان

ذكر الواقدي في مغازيه : ان عصماء بنت مروان من بني امية بن زيد، كانت تحت يزيد بن زيد بن حصن الخطمي، وكانت تؤذي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتعيب الاسلام ، وتحرض على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بقولها :

أطعتم أتاويَّ[1] من غيركم فلا من مراد ولا من مذحج[2]
ترجونه بعد قتل الرؤوس كما يرتجى مرق المنضج

قال عمير بن عدي حين بلغه قولها وتحريضها : اللهمَّ ، إنَّ لك عليَّ نذرا لأن رددت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى المدينة لاقتلنها ـ ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يومئذ ببدر ـ فلما رجع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من بدر جاءها عمير بن عدي في جوف الليل حتى دخل عليها في بيتها ووضع السيف على صدرها حتى انفذه من ظهرها . ثم خرج حتى صلى الصبح مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمدينة .

فلما انصرف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نظر الى عمير

(١) الاتاوي : الغريب.
(٢) مراد ومذحج : قبيلتان من قبائل اليمن .

فقال : اقتلت بنت مروان ؟ قال : نعم بابي انت وامي يا رسول الله .

وخشي عمير أن يكون افتات على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بقتلها فقال : هل علي في ذلك شيء يا رسول الله ؟ .

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : لا ينتطح فيها عنزان[1]فان أول ما سمعت هذه الكلمة من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

قال عمير: فالتفت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى من حوله فقال: اذا احببتم ان تنظروا الى رجل نصر الله ورسوله بالغيب، فانظروا الى عمير بن عدي .

فقال عمر بن الخطاب :انظروا الى هذا الاعمى الذي تشدد في طاعة الله .

فقال له رسول الله : لا تقل الأعمى ، ولكنه البصير ! .

فلما رجع عمير من عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وجد بنيها في جماعة يدفنونها ، فاقبلوا اليه حين رأوه مقبلا من المدينة ، فقالوا : يا عمير، أنت قتلتها ؟ فقال: نعم ، فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون ، فوالذي نفسي بيده لو قلتم باجمعكم ما قالت لضربتكم بسيفي هذا حتى اموت أو اقتلكم؟[2].

هكذا جعل الاسلام من المسلمين قوة ضاربة ، وعقيدة راسخة ،

---

(١) لا ينتطح فيها عنزان: معناه ان شأن قتلها هيّن لا يكون فيه طلب ثأر ولا اختلاف.

(٢) المغازي للواقدي: ج ١، ص ١٧٢.

تجعل المسلم لا يرى سوى الاسلام ، وخدمة الاسلام ، والتضحية في سبيله . . الموت والحياة عنده سواء . . . بل يؤثر الموت على الحياة في طاعة الله .

هذا عمير بن عدي ، كان اعمى كفيف البصر لم يستطع الذهاب الى بدر وخوض غمار الحرب .

حز بنفسه ان لا يكون مجاهدا ، وآلمه ان لا يلتحق باخوانه المسلمين المقاتلين في سبيل الله ، وخوفا من ان يفوته الأجر نراه عندما بلغه هجاء عصماء بنت مروان وتحريضها على حرب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه ، سارع الى قتلها واسكاتها عن التحريض والهجاء خدمة للاسلام ، ورجاء للثواب .

ليت شعري ، لم لا يصنع المسلمون اليوم كصنع عمير وغيره من الاسلاف في انكار المنكر واخماد انفاس الذين يريدون اطفاء نور الله ، واشعال الثورات لاغراضهم الشخصية والتفرقة بين المسلمين ، .

ولكننا نرى العكس فمن المسلمين من يرائي ، ويداجي ، مذبذبين . .

ومنهم من يقف موقف المتفرج كأنه ليس من المسلمين ، او ان امورهم لا تعنيه ، وقد غاب عن هؤلاء أن البلاء اذا وقع عمَّ .

ولو ان المسلمين حسنت نياتهم وتجمعت اشتاتهم واستنوا بسنن الماضين ونهجوا منهاج الصالحين ، الاولين وساروا على طريقهم المستقيم ، وفق التشريعات الإسلامية والتعاليم النبوية ، لما وصلت الحالة بالمسلمين الى ما نراه اليوم ، من التفكك والتناحروالتقاتل ،

والضعف والانحلال ، واستعمار الاجنبي والطامع ببلادهم نسأل الله جل شأنه ان يحفظ المسلمين ويهديهم سواء السبيل .

بنو قينقاع بعد بدر

كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل وقعة بدر الكبرى قد آخى بين المسلمين ، ووادع اليهود على ان لا يضاهروا عليه احدا ، وان يكونوا مع اهل المدينة من المسلمين مسالمين ، ولهم حقوقهم المشروعة وحريتهم الدينية .

ولكن بعد بدر ورجوع المسلمين منتصرين، تغير الحال مع اليهود واخذهم الحنق والحسد والحقد لما حصل للمسلمين من النصر المبين .

وكان بنو قينقاع[1] من أشجع يهود، وهم حلفاء عبد الله بن ابي بن سلول، وكانوا صاغة وهم من جملة من وادعهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .

لكنهم نقضوا العهد، واظهروا البغي والحسد للرسول واصحابه فانزل الله تعالى فيهم : **﴿ واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين ﴾**[2] .

ذكر المؤرخون واصحاب السير: في سبب غزوة بني قينقاع ، ان

---

(١) بنو قينقاع : اسم لشعب من اليهود الذين كانوا بالمدينة اضيفت اليهم سوق كانت بها، فيقال سوق بني قينقاع .

(٢) سورة الانفال، آية ٥٨.

رسـول الله (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) جمعهم بسـوق بني قينقـاع ثم قال: يا معشر يهود، احـذروا من الله مثل مـا نزل بقـريش من النقمة ، واسلمـوا ، فانكم قـد عرفتم اني نبي مـرسل، تجـدون ذلك في كتـابكم وعهد الله اليكم ، قالوا : يا محمد، لا يغرنـك انك لقيت قـوماً لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة ، انا والله لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس . فانـزل الله على نبيـه **﴿ قل للذين كفـروا ستغلبون وتحشـرون الى جهنم وبئس المهـاد*لقد كـان لكم آية في فئتـين التقتا فئـة تقاتـل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيـد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار ﴾**[1].

وجاء عن ابن اسحاق ان بني قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) ، وحاربـوا فيما بـين بدر واحد.

وكـان من امر بني قينقـاع ان امرأة من العـرب قدمت بجلب[2]لهـا فبـاعته بسـوقهم ، وجلست الى صائـغ ، فجعلوا يريـدونها عـلى كشف وجهها ، فابت، فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقـده الى ظهرهـا ، فلما قامت انكشفت سوأتها ، فضحكوا بها ، فصاحت . .

عندها وثب رجل من المسلمين على الصائـغ فقتله ، وكان يهـوديا ، وشدَّت اليهود على المسلم فقتلوه .

وبعـدهـا استصـرخ اهـل المسلم المسلمـين عـلى اليهــود، فغضب

(١) سورة آل عمران، آية ١٣.
(٢) الجلب ما جلب من خيل وابل ومتاع.

المسلمون ووقع الشر بينهم وبين بني قينقاع .

وسار الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اليهم ، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب، وكان اللواء ابيض، واستخلف على المدية ابا لبابة بن عبد المنذر، ثم سار اليهم فحاصرهم خمس عشرة ليلة ، النصف من شوال الى هلال ذي القعدة ، على رأس عشرين شهراً من حين الهجرة .

حاصرهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اشد الحصار، فحاربوا وتحصنوا في حصنهم ، حتى قذف الله في قلوبهم الرعب، ونزلوا على حكم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وان لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اموالهم ، وان لهم النساء والذرية ، فامر بهم فكتفوا واستعمل على كتافهم المنذر بن قدامة السلمي ، فكلم عبد الله بن أبي فيهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والح عليه . . . فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : خذهم لعنهم الله، وتركهم من القتل، وامر بهم ان يُجلوا من المدينة ، وولى اخراجهم منها عبادة بن الصامت ، فلحقوا باذرعات [1]فما كان اقل بقاءهم فيها .

---

(١) اذرعات : بلد في اطراف الشام يجاور أرض البلقاء.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقتل كعب بن الأشرف

روى المؤرخون واصحاب السير انه عندما اتى البشيران ، زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة الى المدينة ، بانتصار المسلمين يوم بدر وقتل اكثر طواغيت قريش، قال كعب بن الأشرف اليهودي(١) أحقٌ هذا ؟! أترون محمداً قتل هؤلاء الذين يسمي هذان الرجلان - يعني زيدا وعبد الله بن رواحة - فهؤلاء اشرف العرب وملوك الناس ، والله لئن كان محمد اصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها .

فلما تيقن عدو الله الخبر ، خرج حتى قدم مكة فنزل على المطلب بن ابي وداعة السهمي ، وجعل يحرض على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وينشد الاشعار ، ويبكي اصحاب القليب من قريش الذين اصيبوا ببدر - فقال :

طحنت رحى بدر لمهلك اهله ... ولمثل بدر تستهل وتدمع
قُتلت سراة الناس حول حياضهم ... لا تبعدوا ان الملوك تصّرع
كم قد اصيب به من ابيض ماجد ... ذي بهجة يأوي اليه الضيّع
ويقول اقوام أُسر بسخطهم ... ان ابن اشرف ظل كعبا يجزع
صدقوا فليت الارض ساعة قتِّلوا ... ظلت تسوخ باهلها وتصدع

---

(١) كعب بن الاشرف زعيم بني النضير كان شاعرا فارسا.

ثم رجع كعب بن الاشرف الى المدينة فشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : من لي بابن الاشرف فقد آذاني ـ وقال : اللهّم اكفني بن الأشرف بما شئت . فقال له محمد بن مسلمة : أنا لك به يا رسول الله ، انا اقتله . قال (صلى الله عليه وآله وسلم) فافعل ان قدرت على ذلك انما عليك الجهد .

قال : يا رسول الله لا بد لنا من أن نقول[1] قال : قولوا ما بدا لكم فانتم في حل من ذلك ، فاجتمع في قتله جماعة ، منهم محمد بن مسلمة ، وابو نائلة اخا كعب بن الأشرف من الرضاعة . واسمه سلكان بن سلامة بن وقش .

جاء ابو نائلة الى كعب فتحدث معه ساعة وتناشدوا شعرا ، ثم قال : ويحك يا ابن الاشرف ! إني قد جئتك لحاجة اريد ذكرها لك ، فاكتم عني ، قال : افعل ؛ قال : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاءً من البلاء ، عادتنا به العرب ، ورمتنا عن قوس واحدة ، وقطعت عنا السبل ، حتى ضاع العيال ، وجهدت الانفس ، واصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا . قالب كعب : انا ابن الاشرف ، اما والله لقد كنت اخبرك يا بن سلام ان الامر سيصير الى ما اقول . . .

فقال له ابو نائلة : اني قد اردت ان تبيعنا طعاما ونرهنك ونوثق لك ، وتحسن في ذلك . فقال : اترهنوني نساءكم ؟ قال : كيف نرهنك نساءنا ، وانت اشب اهل يثرب واعطرهم ، فقال : اترهنوني ابناءكم ؟ قال : لقد اردت ان تفضحنا وان يعير أبناؤ نا . . . فيقال : هذا رهينة

(١) معناه قولوا ما تقتضيه المصلحة .

وسق [١] ، وهـذا رهينة وسقـين ، ولكنا نـرهنك سـلاحنـا وقـد علمت حـاجتنا الى السـلاح . فقال : نعم ان في الحلقـة [٢] لوفـاء . قال : ان معي اصحـابـاً لي عـلى مثـل رأيي ، وقـد اردت ان آتيـك بهم فتبيعهم وتحسن في ذلك . ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء - واراد أبو نـائلة ان لا ينكر كعب السلاح اذا جاؤ وا بها -

فرجع ابو نائلة الى اصحـابه فـاخبرهم خبـره ، وامرهم ان يـأخذوا السلاح ثم ينطلقوا ويجتمعوا اليـه عند رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) ففعلوا .

ومشى معهم رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) الى بقيـع الغـرقد ، ثم وجههم فقـال: انطلقـوا على اسم الله، اللهمَّ أعنهم ، ثم رجع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى بيته .

واقبل ابو نائلة واصحابه حتى انتهوا الى حصن كعب، فهتف بـه ابو نـائلة، وكان حـديث عهد بعـرس، فوثب في ملحفتـه فاخـذت امرأته بناحيتها فقالت : انك امرؤ محارب، وان اصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة ، قال : انه ابو نائلة ، لو وجدني نائما لما ايقـظني، فقالت : والله اني لأعـرف في صوتـه الشر . . . فـاجابهـا كعب : لو يـدعى الفتى لطعنة لاجاب .

فنزل كعب فتحدث معهم ساعة وتحـدثوا معـه ثم قال - ابـو نائلة -

---

(١) الوسق: حمل البعير.
(٢) يريد بالحلقة: السلاح كله، وقيل: الحلقة هي الدروع خاصة.

هل لك يا ابن الاشرف ان نتماشى الى شعب العجوز[1] فنتحدث به بقية ليلتنا هذه ؟ قال: ان شئتم .

فخرجوا يتماشون ، فمشوا ساعة ، ثم ان ابا نائلة شام[2] يده في فود رأسه، ثم شم يده فقال : ما رأيت كالليلة طيبا اعطر قط، ثم مشى ساعة ، ثم عاد لمثلها حتى اطمأن كعب، ثم مشى ساعة ، ثم عاد لمثلها فاخذ في فود رأسه ، ثم قال : اضربوا عدو الله، فضربوه ، فاختلفت عليه اسيافهم فلم تغن شيئاً .

قال محمد بن مسلمة ـ وهو ممن جاء لقتل كعب ـ : فذكرت مِغولاً[3] في سيفي، حين رأيت اسيافنا لا تغني شيئاً ، فاخذته ، وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن الا وقد اوقدت عليه نار . قال : فوضعت المغول في ثنّته ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ، فوقع عدو الله. وقد اصيب الحارث بن اوس بن معاذ[4] فجرح في رأسه او في رجله اصابه بعض اسيافنا .

قال: فخرجنا حتى سلكنا على بني امية بن زيد، ثم على بني قريظة ، ثم على بعاث حتى اسندنا[5] في حرة العريض[6] وقد ابطأ علينا

---

(١) شعب العجوز: بظاهر المدينة.
(٢) شام يده: أدخلها.
(٣) المغول: السكين التي تكون في السوط.
(٤) وهو احد الجماعة التي جاءت لقتل كعب.
(٥) اسندنا : ارتفعنا ،
(٦) الحرة: ارض فيها حجارة سود. والعريض: وادي المدينة .

صاحبنا الحارث بن اوس، ونزّفه الدم فوقفنا له ساعة ، ثم اتانا يتبع آثارنا ، فاحتملناه وجئنا به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) آخر الليل، وهو قائم يصلي، فسلمنا عليه ، فخرج الينا فاخبرناه بقتل عدو الله .

وتفل على جرح صاحبنا ، فرجع ورجعنا الى اهلنا ، فاصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله فليس بالمدينة يهودي الا وهو يخاف على نفسه . قال كعب بن مالك :

فغودر منهم كعب صريعاً فذلت بعد مصرعه النضير
بامر محمد اذ دس ليلا الى كعب اخا كعب يسير



مولد الامام الحسن بن علي (عليهما السلام)

في ليلة النصف من شهر رمضان المبارك جاء البشير الى الرسول العظيم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بولادة سبطه الاول الحسن بن علي بن فاطمة (عليهم السلام) .

ولد الامام الحسن (عليه السلام) السيد المحبب، ريحانة الرسول، واول ثمرة من الزواج المبارك الذي تم بين علي وفاطمة بضعة المصطفى . هذا الاتصال الوثيق الذي امتزج به دم علي بدم النبي الزكي ليخرج من صلبه ذرية سيد البشر « محمد » بنو الزهراء ويذهب علي دون الناس جميعاً بمجد الابوة لسلالة النبي وآله الاطهار .

اختلف في تاريخ ولادة الامام الحسن (عليه السلام) فقيل : ولد بالمدينة ليلة النصف من شهر رمضان المبارك ، على ما هو الاشهر سنة ثلاث من الهجرة ، او اثنتين ـ وقيل : في شهر شعبان ، ولعله اشتباه بمولد اخيه الحسين (عليه السلام) الذي كانت ولادته سنة ثلاث من الهجرة في شهر شعبان،ولعل الاختلاف ناشيء من كون ابتداء السنة الهجرية : هل هو في ربيع الاول كما هو الصحيح والذي سار عليه المسلمون مدة من الزمن ؟ أو أن بدء السنة الهجرية هو اول شهر المحرم كما هو معروف الآن من التاريخ الهجري ، الذي وضعه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب كما يروى ؟ وقيل غير ذلك على اختلاف الروايات .

كانت ولادة الامام الحسن (عليه السلام) قبل معركة احد فلما ولد قالت امه فاطمة الزهراء لعلي (عليه السلام) سمّه ، فقال ما كنت لاسبق باسمه رسول الله .

ولما علم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جاء الى بيت علي ووجهه يطفح بشرا وسروراً، فحمل عليّ الوليد ووضعه في حجر جده (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقال الرسول : اللهمّ اني اعيذه بك وولده من الشيطان الرجيم ، وأذن في اذنه اليمنى، واقام في اليسرى، وحنكه بريقه، وسماه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حسناً، ولم يكن يعرف هذا الاسم في الجاهلية .

روى الكليني بسنده عن الصادق (عليه السلام) قال : عق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الحسن بيده ، وقال : بسم الله عقيقة عن الحسن، اللهمّ عظمها بعظمه ، ولحمها بلحمه ، ودمها بدمه ، وشعرها بشعره ، اللهمّ اجعلها وقاء لمحمد وآله .

وفي طبقات ابن سعد: ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عق عن الحسن والحسين بكبشين املحين ، واعطى القابلة فخذاً وديناراً ، وحلق رأسه وامر أن يتصدق بزنة شعره فضة ، فكان وزنه درهما وشيئا ـ وقيل : بل أمر أمه أن تفعل ذلك . وصارت العقيقة والتصديق بوزن الشعر سنة مستمرة عن العلماء بما فعله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حق الحسن وطلى رأسه بالخلوق وقال : الدم فعل الجاهلية[1]. كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يحبه حباً عظيماً

(١) الخلوق: نوع من الطيب، وكانت العرب في الجاهلية تدهن الوليد بالدم، وقد =

وسنورد ذلك عند سيرته (عليه السلام) .

وفي اسد الغابة عن ام الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب أنها جاءت للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالت له : يا رسول الله رأيت كأن عضوا من اعضائك في بيتي ، قال: خيراً رأيت تلد فاطمة غلاماً فترضعينه بلبن قثم ، فولدت الحسن فارضعته بلبن قثم[1].

وقال المفيد في الارشاد: كان الحسن اشبه الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خلقا وهيأة وهديا وسؤددا .

وفي اسد الغابة بسنده عن انس بن مالك: لم يكن احد اشبه برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الحسن بن علي (عليهما السلام) .

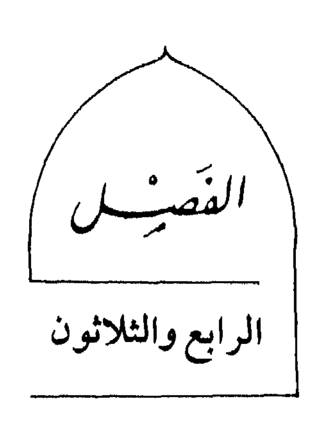
ويروى ان فاطمة الزهراء (عليها السلام) كانت ترقص ولدها الحسن وتقول :

انت شبيهاً بابي لست شبيها بعلي

= ابطل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه العادة السيئة ، لهذا نراه (صلى الله عليه وآله وسلم) عند ولادة الحسن (عليه السلام) طلا رأسه بالخلوق .

(١) جاء في كتب التاريخ ان العباس بن عبد المطلب (رضي الله عنه) كان لا يزال في مكة مع عائلته الى ما بعد وقعة احد، وهو الذي ارسل الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كتابا يخبره بما اتفقت عليه قريش من غزوة المدينة وحربه، وكان بمكة يراقب قريشاً لمصلحة الاسلام . وهذا ينافي ان الحسن رضع بلبن قثم .




الفصل
الرابع والثلاثون



وقعة احد

ان انتصار المسلمين يوم بدر ، ذلك الانتصار العظيم لم يكن ليغير من عزم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أو المضي في نشر الرسالة المقدسة وجهاد الاعداء ومتابعة الحرب والاستعداد لها ﴿ **واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** ﴾[1] .

ومن المعلوم ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو القائد المفكر يعلم ان في قريش بقية باقية من زعمائها وطواغيتها ، وان عنفوانها، وان كان قد ارتطم بالهزيمة الكبرى في معركة بدر، لكن كفرهم وطغيانهم وعداوتهم لمحمد واصحابه تحملهم على اخذ الثار. ولا يألون جهداً في سبيل غايتهم الثأرية ، لأن الثأر في نظرهم هو المنفذ الوحيد الذي يمكن اللجوء اليه في ابقاء معنوياتهم بين أنحاء البلاد العربية .

وهناك دافع آخر، وهو أنهم يرون نساءهم على مر الليالي والايام بعد معركة بدر في حالة حزن عميق ، وبكاء ونحيب على قتلاهن ، وما منهن الا وقد فقدت زوجا ، أو ولدا ، أو أخا . . . وهكذا ، فكانت هذه الامور تبعث الحماس على تشجيع الانتقام والاخذ بالثأر من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه .

---

(١) سورة الانفال ، آية ٦٠ .

وعلى هذا نرى انه بعد رجوع العير من تجارة قريش، بقيت في دار الندوة، ومشى جماعة من القرشيين الموتورين الى ابي سفيان بن حرب، واشاروا عليه في ان تكون ارباح تلك التجارة للحرب ومهاجمة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمدينة- يثرب - والاخذ بالثأر. وهكذا كان .

وذكر المؤرخون واصحاب السير : أنه لما رجع من حضر بدرا، من المشركين الى مكة ، والعير التي قدم بها ابو سفيان بن حرب من الشام موقوفة في دار الندوة ، وكذلك كانوا يصنعون ، فلم يحركها ابو سفيان ولم يفرقها لغيبة اهل العير، مشت اشراف قريش الى ابي سفيان بن حرب، منهم الاسود بن المطلب بن اسد، وجبير بن مطعم ، وصفوان بن امية، وعكرمة بن ابي جهل، والحارث بن هشام، وعبد الله بن ابي ربيعة ، وحويطب بن عبد العزى، وحجير بن ابي إهاب، فقالوا : يا ابا سفيان انظر هذه العير التي قدمت بها فاحتبستها ، فقد عرفت انها أموال اهل مكة ولطيمة قريش ، وهم طيبوا الانفس يجهزون بهذه العير جيشا الى محمد، وقد ترى من قتل من آبائنا ، وابنائنا وعشائرنا، قال ابو سفيان: وقد طابت انفس قريش في ذلك ؟ قالوا : نعم. قال : فانا اول من اجاب الى ذلك وبنو عبد مناف معي، فانا والله الموتور الثائر، قد قتل ابني حنظلة ببدر واشراف قومي .

فلم تزل العير موقوفة حتى تجهزوا للخروج الى احد، فباعوها وصارت ذهبا عينا .

ويقال انما قالوا : يا ابا سفيان ، بع العير ثم اعزل ارباحها . وكانت العير الف بعير، وكان المال خمسين الف دينار، وكانوا يربحون في

تجـارتهم للدينار دينـارا ، وكـان متجـرهم من الشـام غـزة ، لا يعـدونها الى غيرها .

وبابي سفيان واصحابه نـزل قولـه تعالى : ﴿ **ان الـذين كفروا ينفقـون امـوالهم ليصـدوا عن سبيـل الله فسينفقـونها ثم تكـون عليهم حسـرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون** ﴾[1] .

ذكر الطبـرسي في تفسيره : ان ابـا سفيان بن حـرب استأجـر يوم احـد الفـين من الاحابيش يقـاتل بهم النبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) سـوى من استجاشهم من العرب . وفيهم يقول كعب بن مالك :

فجئنـا الى موج من البحـر وسطهم ... احـابيش منهم حـاسـر ومقنـع
ثـلاثـة آلاف ونـحـن بـقـيـة ... ثـلاث مئين ان كثـرنـا فـاربـع

وذكـر المؤرخون انـه لمـا أجمعت طـواغيت قـريش عـلى المسـير لحـرب النبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) قالـوا : نسـير في العـرب فنستنصـرهم فـان عبد منـاف غير متخلفـين عنا ، هم أوصـل العـرب لارحـامنـا ، ومن اتبعنا من الاحابيش فـاجتمعوا عـلى ان يبعثوا اربعـة من قريش يسيـرون في العـرب يدعـونهم الى نصرهم ، فبعثـوا عمـرو بن العـاص ، وهبيـرة بن ابي وهب ، وابن الـزبعري ، وابـا عزة الجمحي ، فـاطاع النفـر وابى ابو عـزة أن يسـير ، وقال : منَّ عـلي محمد يـوم بدر ولم يمنَّ عـلى غيري ،وحلفت لا أظـاهـر عليـه عدوا أبـدا . فمشى صفوان بن اميـة اليه فقـال : اخرج ، فـأبى وقال : عـاهـدت محمـدا يـوم بـدر لا أظـاهـر عليـه عـدوا ابـدا ، وانـا أوفي لـه بمـا عـاهدتـه عليه ، منَّ عـليَّ ولم يمنَّ على غيـري حتى قتله او اخذ منـه الفـداء .

---

(١) سورة الانفال ، آية ٣٦ .

فقال له : صفوان اخرج معنا . فان تَسلم اعطك من المال ما شئت، وان تقتل كان عيالك مع عيالي، فابى ابو عزة ، ولم يزالوا به حتى اخرجوه ، وخرج معه النفر، فألبوا العرب وجمعوها وبلغوا ثقيفا فاوعبوا[1] .

(١) اوعبوا : جمعوا ورغبوا .

خروج قريش لقتال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

لما اتفقت طواغيت قريش واجمعت على حرب الرسول (صلى الله عيه وآله وسلم) والاخذ بالثأر، ورصدت المال الذي كان في التجارة التي سلمت مع ابي سفيان بن حرب كما اسلفنا، بقي عليهم جمع الرجال واستنفار الهمم ، اجمعوا على ان يرسلوا جماعة منهم لاستنفار العرب من غير قريش لمساعدتهم ، فارسلوا عمرو بن العاص، وهبيرة بن ابي وهب وابن الزبعري ، وابا عزة الجمحي .

خرج هؤلاء النفر الى القبائل والاحياء العربية يطلبون منهم النصرة لمساعدتهم في الحرب، حتى لا يقوى النبي ولا تنتشر دعوته أو يقوى الدين الاسلامي الجديد الذي لا يبقي من اعدائه ديّارا . وبهذا الاسلوب من الترغيب والترهيب هيجوا النفوس وتألب من كان معهم من العرب .

اختلفت قريش في الظعن[1] معها فقال صفوان بن امية : اخرجوا بالظعن فانا اول من فعل، فانه اقمن ان يحفظنكم ويذكرنكم قتلى بدر، فان العهد حديث ونحن قوم مستميتون ، لا نريد ان نرجع الى دارنا

(١) الظعن : المراد هنا النساء، واصل الظعن الهوادج فسميت النساء بها .

حتى نـدرك ثأرنـا أو نموت دونـه . فقال عكـرمة بن ابي جهـل : انـا أول من اجاب الى ما دعوت اليه . وقال عمرو بن العاص مثل ذلك .

لكن نـوفل بن معـاوية الـديلي قـال : يا معشـر قريش هـذا ليس بـرأي ان تعـرضوا حـرمكم عدوكم ، ولا آمن ان تكـون الدائـرة لهم فتفتضحوا في نسائكم ، فقال صفـوان بن امية : لا كـان غير هـذا ابدا . فجـاء نوفـل الى ابي سفيـان فقـال لـه تلك المقـالـة ، فصاحت هنـد بنت عتبـة : انـك والله سلمت يـوم بدر فـرجعت الى نسـائـك . . . نعم نخـرج فنشهـد القتـال ، فقد ردت القيان من الجحفة في سفرهم الى بدر ، فقتلت الاحبة يومئذ .

قـال ابـو سفيـان : لست اخـالف قـريشـا انـا رجـل منهـا مـا فعلت فعلت . فخرجوا بالظعن لئلا يفروا .

وكـان ابو سفيـان قائـد المشركـين ، فخرج بـزوجته هنـد بنت عتبـة ، وخـرج غيـره من رؤسـاء قـريش بنسـائهم ، خـرج عكـرمـة بن ابي جهـل بزوجته ام حكيم ، وخـرج الحرث بن المغيـرة بفاطمـة بنت الوليـد ، وخرج صفـوان بن امية بـزوجتـه بـريـرة ، وقيـل ـ بـرزة ـ بنت مسعـود ، وخـرج عمـرو بن العاص بـريطة بنت منبـه بن الحجاج ام ولـده عبـد الله ، وخـرج طلحـة بن ابي طلحـة بسـلافـة بنت سعــد وغيـرهم ، وكــان مـع النساء الدفوف يبكين على قتلى بدر يحرضن بذلك المشركين(١) .

يقـول الواقـدي في مغـازيـه : كـان ابـو عـامـر الفـاسق قـد خـرج في خمسـين رجلا من أوس الله حتى قـدم بهم مكة حـين قـدم النبي (صـلى الله عليه وآله وسلم) المدينة ، فـاقام مـع قريش . وكـان دعا قـومه فقـال لهم :

---

(١) الكامل لابن الاثير: ج، ٢، ص ١٠٤.

ان محمداً ظاهر فاخرجوا بنا الى قوم نؤازرهم فخرج الى قريش يحرّضها ويعلمها انها على الحق، وما جاء به محمد باطل، فسارت قريش الى بدر ولم يسر معها ولما خرجت قريش الى احد سار معها ، وكان يقول لقريش : اني لو قدمت على قومي لم يختلف عليكم منهم رجلان ، وهؤلاء معي نفر من قومي وهم خسمون رجلا .

ويذكر المؤرخون انه لما التقى الناس باحد كان ابو عامر اول من لقي في الاحابيش وعبدان اهل مكة ، فنادى يا معشر الأوس انا ابو عامر، فقالوا : فلا أنعم الله بك عينا يا فاسق . فقال: لقد اصاب قومي بعدي شر . ثم قاتلهم قتالا شديدا حتى راضخهم بالحجارة .

وفي شرح النهج عن الواقدي: خرجت قريش وخرج النساء معهن الدفوف يحرضن الرجال ويذكّرنهم قتلى بدر في كل منزل، وجعلت قريش تنزل كل منهل، ينحرون ما نحروا من الجزر مما كانوا جمعوا من العين، ويتقوون به في مسيرهم، ويأكلون من ازوادهم مما جمعوا من الاموال.

وكانت قريش لما مرت بالأبواء قالت : انكم قد خرجتم بالظعن معكم ونحن نخاف على نسائنا فتعالوا ننبش قبر ام محمد، فان النساء عورة، فان يصب من نسائكم احدا قلتم : هذه رمة امك . فان كان براً بامه ـ كما يزعم ـ فلعمري لنفادينّهم برمة امه ، وان لم يظفر باحد من نسائكم فلعمري ليفدين رمة امه بمال كثير. فاستشار ابو سفيان اهل الرأي من قريش فقالوا : لا تذكر من هذا شيئاً، فلو فعلنا نبشت بنو بكر وخزاعة موتانا[1] .

---

(١) شرح نهج البلاغة : لابن ابي الحديد: ج، ١٤، ص ٢١٩.

وفي تـاريخ مكـة لـلازرقي : لمـا خـرجت قـريش الى النبي (صـلى الله عليـه وآله وسلم) في غـزوة احد فنـزلوا في الابـواء ، قـالت هنـد بنت عتبـة لزوجها ابي سفيـان بن حرب : لـو بحشتم قبر آمنـة ام محمد فـانه بـالابواء ، فـان أسر احـد منكم افتديتم كـل انسان بـارب من ارابهـا[1] . لكن قـريش وان كـانت ظـالمة لم تـوافق هنـد او زوجهـا بتنفيـذ هـذه الفعلة النكـراء البشعة .

(١) تاريخ مكة : للازرقي ، ص ٤٨١ ، والارب بكسر الهمزة : العضو .

كتاب العباس الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

اجتمعت قـريش في دار النـدوة قبـل الخـروج الى حـرب النبي (صـلى الله عليه وآله وسلم) يوم احد . وكانت الالوية التي عقدوها يومذاك ثلاثاً . لواء يحمله سفيان بن عويف ، ولواء في الاحابيش[1] يحمله رجل منهم ولواء يحمله طلحة بن ابي طلحة .

ذكـر الواقـدي في مغازيـه : أنه خـرجت قريش وهم ثـلاثـة آلاف بمن ضوى[2] اليهم ، وكان فيهم من ثقيف مـائة رجـل ، وخرجـوا بعدة وسـلاح كثير، وقادوا مائتي فرس ، وكان فيهم سبعمائة دارع ، وثلاثة آلاف بعير.

فلما اجمعـوا المسـير كتـب العبـاس بن عـبـد المـطلب (رضي الله عنـه) . ـ وكان لا يـزال في مكة ـ كتـابا وختمـه ، واستـأجـر رجـلا من بني

---

(۱) الاحابيش هم الذين حالفوا قريشا ، وهم بنوا المصطلق ، وبنو الهون بن خـزيمة وغيرهم ، اجتمعوا عند حبشي وهو جبـل باسفـل مكة وتحـالفوا عـلى انهم مع قـريش يداً واحـدة على غيـرهم ما سجى ليـل ووضـح نهار ومـا صـار حبشي مكـانه ، فسمـوا احـابيش بـاسم الجبـل ، وقيـل سمـوا بـذلـك لتحبّشهم اي لتجمعهم .

(۲) ضوى : انضم .

غفار واشترط عليه ان يسير ثلاثا الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يخبره أن قريشا قد اجمعت المسير اليك فما كنت صانعا اذا حلّوا بك فاصنعه . وقد توجهوا اليك وهم ثلاثة آلاف وقادوا مائتي فرس، وفيهم سبعمائة دارع وثلاثة آلاف بعير ، واوعبوا من السلاح .

فقدم الغفاري فلم يجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمدينة ، ووجده بقباء[1] فخرج حتى يجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على باب مسجد قباء، يركب حماره ، فدفع اليه الكتاب فقرأه عليه أُبي بن كعب، واستكتم أبيا ما فيه ، فدخل منزل سعد بن الربيع فقال : في البيت أحد ؟ فقال سعد : لا ، فتكلم بحاجتك .

فاخبره بكتاب العباس بن عبد المطلب، وجعل سعد يقول: يا رسول الله ، اني لارجو أن يكون في ذلك خير، وقد ارجفت يهود المدينة والمنافقون ، وقالوا : ما جاء محمدا شيء يحبه .

فانصرف رسول الله الى المدينة واستكتم سعدا الخبر . فلما خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خرجت امرأة سعد فقالت: ما قال لك رسول الله(ص)؟فقال: ما لك ولذلك، قالت : قد كنت اسمع عليك . واخبرت سعدا الخبر، فاسترجع سعد وقال : لا اراك تستمعين علينا وانا اقول لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تكلم بحاجتك ! ثم اخذ يجمع لبتها[2] ثم خرج يعدو

(١) قباء: قرية بعوالي المدينة ـ او متصلة بها .
(٢) هكذا في الاصل .

بها حتى ادرك رسول الله بـالجسر[1]وقـد بلحت[2]فقال: يـا رسول الله ، ان امـرأتي سألتني عـما قلت،فكتمتها فقـالت : قـد سمعت قـول رسـول الله ! فجـاءت بالحـديث كله ، فخشيت يا رسـول الله ان يـظهـر من ذلـك شيء فتظن أني افشيت سرك .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خل سبيلها .

وشـاع الخبر في النـاس بمسير قـريش، وقدم عمرو بن سالم الخـزاعي في نفر من خزاعة ، ساروا من مكة اربعا ، فـوافوا قـريشا وقـد عسكروا بـذي طـوى، فـاخبـروا رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) الخبـر، ثم انصـرفوا فـوجدوا قـريشا ببـطن رابغ فنكبـوا عن قريش ـ ورابـغ على ليـال من المدينة ـ.

لما اصبح أبو سفيان بـالابواء أُخبـر ان عمرو بن سـالم واصحابـه راحوا امس ممسـين الى مكة ، فقـال ابو سفيـان : احلف بالله أنهم جـاؤ وا محمـدا وخبـروه بمسيـرنـا ، وحـذروه ، واخبـروه بعـددنـا . فهم الآن يلزمـون صياصيهم[3]فما ارانا نصيب منهم شيئاً في وجهنا .

فقـال صفـوان : ان لم يصحـروا[4]لنـا عمـدنـا الى نخـل الاوس والخـزرج فقطعنـاه ، فتركنـاهم ولا اموال لهم فـلا يجتبـرونها[5]ابـدا، وان

---

(١) لعله يريد جسر بطحان ، وهو عند اعلى بطحان بناحية الموضع المعروف بزقـاق البيض ـ راجع شرح كتاب المغازي للواقدي ـ .

(٢) بلحت : انقطعت من الاعياء فلم تقدر أن تتحرك .

(٣) صياصي : الحصن وكل ما امتنع به .

(٤) اصحر الرجل: اي خرج الى الصحراء.

(٥) فلا يجتبرونها: فلا يختارونها .

اصحروا لنا فعددنا اكثر من عددهم وسلاحنا اكثر من سلاحهم ، ولنا خيل ولا خيل معهم ، ونحن نقاتل على وتر عندهم ، ولا وتر لهم عندنا[1].

---

(١) المغازي: للواقدي، ج ١ ص ٢٠٤ .

رؤيا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وخروجه للقتال

بعد وصول كتاب العباس بن عبد المطلب لابن اخيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) واعلامه بما اجتمعت عليه قريش من حربه والأخذ بثارات بدر.

كانت قريش يوم الخميس بذي الحليفة صبيحة عشر من مخرجها من مكة ، لخمس ليال مضين من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة كما ذكر الواقدي .

وبعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عينين له ، انساً ومؤنساً ابني فضالة ليلة الخميس، فاعترضا لقريش بالعقيق وسارا معهم حتى نزلوا بالوطاء، فاتيا رسول الله فاخبراه .

ولما نزلت قريش اطلقت خيولها وابلها ترعى بساتين المدينة حتى اتلفت مزارع المسلمين .

بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الحباب بن المنذر بن الجموح الى القوم ، فدخل فيهم وحزر ونظر الى جميع ما يريد، وبعثه سراً وقال للحباب: لا تخبرني بين احد من المسلمين الا ان ترى قلة . فرجع اليه فاخبره خالياً، وقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله

وسلم) : ما رأيت؟قال: رأيت يا رسول الله عددا حزرتهم ثلاثة آلاف، يزيدون قليلا او ينقصون قليلا، والخيل مائتي فرس، ورأيت دروعا ظاهرة، حزرتها سبعمائة درع . قال: هل رأيت ظعنا ؟ قال : رأيت النساء معهن الدفاف والاكبار ـ الطبول ـ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : اردن ان يحرضن القوم ويذكرنهم قتلى بدر، هكذا جاءني خبرهم ، لا تذكر من شأنهم حرفا، حسبنا الله ونعم الوكيل، اللهمَّ بك اجول وبك اصول .

وباتت وجوه الأوس والخزرج : سعد بن معاذ، واسيد بن حضير، وسعد بن عبادة، في عدة ، ليلة الجمعة ، عليهم السلاح في المسجد بباب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خوفا من بيات[1] المشركين وحرست المدينة تلك الليلة حتى اصبحوا .

ورأى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رؤ يا ليلة الجمعة ، فلما اصبح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واجتمع المسلمون خطب فيهم فحمد الله واثنى عليه ثم قال: ايها الناس، اني رأيت في منامي رؤ يا، رأيت كأني في درع حصينة ، ورأيت كان سيفي ذو الفقار انقصم من عند ظبته[2]، ورأيت بقرا تذبح، ورأيت كأني مردف كبشا .

فقال الناس: يا رسول الله، فما أولتها ؟ قال : اما الدرع الحصينة

(١) وفي بعض الروايات من تبييت .
(٢) انقصم : تكسر : ظبة السيف : طرفه .

فالمدينة ، فامكثوا فيها ، واما انقصام سيفي من عند ظبته[1]فمصيبة في نفسي ، واما البقر المذبح فقتلى في اصحابي ، واما مردف كبشاً ، فكبش الكتيبة نقتله انشاء الله .

وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : اشيروا علي ،ورأي : رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ألا يخرج من المدينة لهذه الرؤ يا ، فرسول الله يحب أن يوافق على مثل ما رأى وعلى مثل ما عبر عليه الرؤ يا ـ كما يقول الواقدي ـ .

فقام عبد الله بن أبي فقال : يا رسول الله ، كنا نقاتل في الجاهلية فيها ، ونجعل النساء والذراري في هذه الصياصي ، ونجعل معهم الحجارة ، والله لربما مكث الولدان شهراً ينقلون الحجارة إعدادا لعدونا ، ونشبك المدينة بالبنيان فتكون كالحصن من كل ناحية وترمي المرأة والصبي من فوق الصياصي والآطام ، ونقاتل باسيافنا في السكك .

يا رسول الله ، ان مدينتنا عذراء ما فضت علينا قط ، وما خرجنا الى عدو قط الا اصاب منا ، وما دخل علينا قط الا اصبناه ، فدعهم يا رسول الله ، فانهم ان اقاموا اقاموا بشر محبس ، وان رجعوا رجعوا خائبين مغلوبين لم ينالوا خيرا .

يا رسول الله اطعني في هذا الأمر واعلم اني ورثت هذا الرأي من اكابر قومي واهل الرأي منهم ، فهم كانوا أهل الحرب والتجربة .

---

(١) وفي بعض الروايات : ورأيت في سيفي فلا فكرهته ، فهو الذي اصاب وجهه (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وكان رأي رسول الله مع رأي ابن أبي، وكان ذلك رأي الاكابر من اصحاب رسول الله من المهاجرين والانصار.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : امكثوا في المدينة ، واجعلوا النساء والذراري في الآطام ، فان دخلوا علينا قاتلناهم في الأزقة ، فنحن اعلم بها منهم ورُموا من فوق الصياصي والآطام - وكانوا قد شبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فهي كالحصن - .

فقال فتيان احداث لم يشهدوا بدرا وطلبوا من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الخروج الى عدوهم ورغبوا في الشهادة، واحبوا لقاء العدو : اخرج بنا الى عدونا !

وقال رجال من اهل السن واهل النية[1] منهم حمزة بن عبد المطلب، وسعد بن عبادة، والنعمان بن مالك بن ثعلبة، وغيرهم من الأوس والخزرج : انا نخشى يا رسول الله ان يظن عدونا انا كرهنا الخروج اليهم جبناً عن لقائهم ، فيكون هذا جرأة منهم علينا ، وقد كنت يوم بدر في ثلاثمائة رجل فظفرك الله عليهم ، ونحن اليوم بشر كثير، قد كنا نتمنى هذا اليوم وندعو لله به ، فقد ساقه الله الينا في ساحتنا هذه.

وكان رسول الله لما يرى من الحاحهم كاره ، وقد لبسوا السلاح يخطرون بسيوفهم ، يتسامون[2] كانهم الفحول .

وقال مالك بن سنان ابو ابي سعيد الخدري : يا رسول الله نحن

---

(١) النية : النبه والفطنة .

(٢) يتسامون : يتبارون .

والله بين احدى الحسنيين ـ اما يظفرنا الله بهم فهذا الذي نريـد، فيذلهم الله لنـا فتكون هـذه وقعة مـع وقعة بـدر، فلا يبقى منهم الا الشـريـد، والاخرى يا رسول الله، يرزقنا الله الشهادة. والله يا رسول الله، ما ابالي ايهما كان ، ان كلاً لفيه الخـير . ! فلم يبلغن ان النبي (صلى الله عليـه وآله وسلم) رجع اليه قولا، وسكت .

فقال حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه) : والذي انـزل عليك الكتـاب، لا اطعم اليـوم طعـامـا حتى اجـالـدهـم بسيفي خــارجـا من المدينة . وكان يقال: كان حمزة يوم الجمعة صـائماً، ويـوم السبت صائـماً فلاقاهم وهو صائم .

وقال النعمان بن مالك بن ثعلبة اخو بني سالم : يا رسـول الله، انا أشهـد ان البقر المـذبـح قتلى من اصحـابـك واني منهم ، فلم تحـرمني الجنة ؟ فوالذي لا اله الا هو لادخلنها . قال رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) بم؟ قال: اني احب الله ورسـوله ولا افـر يوم الـزحف . فقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): صدقت ! فاستشهد يومئذ.

وقال اياس بن اوس بن عتيك : يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نحن بنـو عبد الاشهـل من البقر المـذبح، نـرجـو أن نـذبـح في القوم، ويذبح فينا ، فنصـير الى الجنة، ويصيـرون الى النار، مـع اني يا رسول الله لا احب ان ترجع قريش الى قومها، فتقـول : حصرنـا محمداً في صيـاصي يثرب وآطـامها ، فيكـون هذا جـرأة لقريش، وقـد وطئـوا سعفنـا ، فاذا لم نـذب عن عرضنـا فلم نذَّرِع وقـد كنا يـا رسول الله في جاهليتنا والعرب يأتوننا ولا يطمعون بهذا منا حتى نخرج اليهم باسيـافنا

فنذبهم عنا ، فنحن اليوم احق اذ ايدنا الله بك وعرفنا مصيرنا لا نحصر انفسنا في بيوتنا .

وقام خيثمة ابو سعد بن جثمة فقال: يا رسول الله ان قريشا مكثت حولا تجمع الجموع وتستجلب العرب في بواديها ومن تبعها من احابيشها ، ثم جاؤونا قد قادوا الخيل وامتطوا الابل حتى نزلوا بساحتنا ، فيحصروننا في بيوتنا وصياصينا ، ثم يرجعون وافرين لم يكلموا ، فيجرئهم ذلك علينا حتى يشنوا الغارات علينا ويصيبوا اطرافنا ، ويضعوا العيون والارصاد علينا مع ما قد صنعوا بحروثنا ، ويجترىء علينا العرب حولنا ، حيث يطعموا فينا اذا رؤونا لم نخرج اليهم فنذبهم عن جوارنا ، وعسى الله ان يظفرنا بهم فتلك عادة الله عندنا ، أو تكون الاخرى فهي الشهادة. لقد اخطأتني وقعة بدر وقد كنت عليها حريصاً فقد بلغ من حرصي ان ساهمت ابني في الخروج فخرج سهمه فرزق الشهادة. وقد رأيت ابني البارحة في النوم في احسن صورة، يسرح في ثمار الجنة وانهارها ، وهو يقول: الحق بنا ترافقنا في الجنة ، فقد وجدت ما وعدني ربي حقا. وقد والله يا رسول الله اصبحت مشتاقا الى مرافقته في الجنة، وقد كبرت سني، ودق عظمي، واحيت لقاء ربي، فادع الله يا رسول الله ان يرزقني الشهادة ومرافقة سعد في الجنة . فدعا له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك، فقتل باحد شهيدا .

وقال انس بن قتادة: يا رسول الله، هي احدى الحسنيين، اما الشهادة واما الغنيمة والظفر في قتلهم ، فقال رسول الله (صلى الله عليه

وآله وسلم) : اني اخاف عليكم الهزيمة .[1].

فلما ابوا الا الخروج صلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الجمعة بالناس ، ثم وعظ الناس وامرهم بالجد والجهاد واخبرهم أن لهم النصر ما صبروا . ففرح الناس في ذلك حيث اعلمهم الرسول بالشخوص الى عدوهم ، وكره ذلك المخرج بشر كثير من اصحاب رسول الله ، وامرهم بالتهيؤ لعدوهم : ثم صلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) العصر بالناس ، وقد حشد الناس وحضر أهل العوالي ، ورفعوا النساء في الآطام ، فحضرت بنو عمرو بن عوف ولفها والنبيت ولفها وتلبسوا السلاح .

فدخل رسول الله بيته وصف الناس له ما بين حجرته الى منبره ، ينتظرون خروجه ، فجاءهم سعد بن معاذ واسيد بن حضير فقالا : قلتم لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما قلتم ! واستكرهتموه على الخروج ! والامر ينزل عليه من السماء ، فردوا الامر اليه ، فما أمركم به فافعلوه ، وما رأيتم له فيه هوى او رأيا فاطيعوه .

فبينا القوم على ذلك من الامر ، وبعض القوم يقول : القول ما قال سعد - وبعضهم على البصيرة على الشخوص ، وبعضهم للخروج كاره ، اذ خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد لبس لأمته ، وقد لبس الدرع فاظهرها ، وحزم وسطها بمنطقة من حمائل سيف من ادم ، واعتم وتقلد السيف .

فلما خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ندموا جميعاً على

---

(١) المغازي : للواقدي ، ج ١ ، ص ٢١١ ، ٢١٢ .

مـا صنعوا ، وقـال الذين يلحـون على رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) : مـا كان لنـا أن نلح على رسـول الله في أمر يهـوى خـلافـه . وندّمهم اهل الرأي الذين كانوا يشيرون بالمقام ، فقالوا : يا رسـول الله ما كان لنا ان نخالفك فاصنع ما بدا لك ، وما كان لنا ان نستكرهك ، والامر الى الله ثم اليك.

فقال: قد دعوتكم الى هذا الحديث فأبيتم، ولا ينبغي لنبي اذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين اعدائه.

وكـانت الانبياء قبله اذا لبس النبي لأمتـه لم يضعهـا حتى يحكم الله بينه وبين اعدائه .

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : انظروا ما امرتكم به فاتبعوه ، امضوا على اسم الله فلكم النصر ما صبرتم .

نظرة . . وتأمل

ذكر المؤرخون واصحاب السير ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يرغب بالبقاء في المدينة والتحصن بها ، وذلك حين ورد عليه كتاب عمه العباس بن عبد المطلب (رضي الله عنه) ، يخبره فيه بأن قريشاً ومن لف لفها تريد مهاجمته وحربه في المدينة وقد اعدت العدة والعدد لذلك .

جمع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اهل الرأي والمشورة من المسلمين، والمتظاهرين بالاسلام ـ المنافقين ـ واخبرهم خبر المشركين ، وكيف يكون لقاؤهم لعدوهم في هذه المعركة التي اعدت لها قريش اعظم عدة واكثر ذخيرة .

دار الحوار وجعلوا يتشاورون بينهم كل يدلي برأيه ، وكثر الاخذ والرد، وهز حديث الشجاعة نفوس الابطال، وحركت كلمات الاستشهاد قلوب المؤمنين . وازداد النقاش بين الجمع الماثل بحضرة الرسول الكريم . منهم من رجَّح البقاء في المدينة والتحصن بها كعبد الله بن ابي بن سلول الذي قال : « يا رسول الله ان مدينتنا عذراء ما فضت علينا قط، وما خرجنا الى عدو قط الا أصاب منا ، وما دخل علينا قط الا اصبناه . . .الى آخره » وغيره ممن انفصل عن المسلمين ورجع عن الحرب .

ومنهم من رجّح الخروج ، كحمزة بن عبد المطلب، وسعد بن عبادة والنعمان بن مالك وغيرهم الذين قالوا : يا رسول الله انا نخشى ان يظن عدونا أنا كرهنا الخروج اليهم جُبناً عن لقائهم فيكون هذا جرأة منهم علينا . . .الى آخره .

ثم قالوا : يا رسول الله اخرج بنا لمحاربة العدو والظفر به ، فاما النصر، واما الاستشهاد ودخول الجنة التي اعدت للمتقين والذين قتلوا في سبيل الله فيها ما تشتهي الانفس، وتلذ العين، وفيها نلقى الاحبة الذين شهدوا بدراً واستشهدوا فيها .

هذا الحوار كان يدور في حضرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو ساكت يسمع ويستطلع آراء المسلمين، ويستشف نواياهم وما تنطوي عليه نفوسهم ومدى رغبتهم بالجهاد. واخيرا قال كلمته المشهورة « لكم النصر ما صبرتم » ودخل بيته بعد صلاة العصر من يوم الجمعة كما تقول الروايات ، وخرج وقد لبس لأمة حربه ، وعزم على الخروج لملاقاة العدو وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : انظروا ما امرتكم به فاتبعوه ، امضوا على اسم الله ». وكان خروجه (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس بتأثير أحد كما يزعم بعض المؤرخين ، من ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) انما خرج للحرب تاركا للمدينة من جراء الضغط النفسي عليه من الشبان المسلمين الذين لم يحضروا بدرا وفاتهم النصر يوم ذاك وايدهم على ذلك جماعة من كبار السن المتحمسين للحرب امثال حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه) وسعد بن عبادة والنعمان بن مالك وغيرهم .

وعلى أي حال أقول: ان كل من اطلع على احوال النبي (صلى الله

عليه وآله وسلم) وآرائه الصائبة ، وحكمته في الحرب، وحنكته وترويه بالامور، ومن تخطيطه للمعركة يوم احد ووضع الحامية المؤلفة من خمسين من المسلمين في جبل احد لتحمي المسلمين من التفاف عدوهم عليهم . . . يعلم انه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن كارها للحرب او خرج بتأثير أحد عليه او خاف من تغلب قريش .

كلا ثم كلا . ان افتراء بعض الرّواة من ان النبي (صلى الله عليه آله وسلم) كان على رأي عبد الله بن أبي من البقاء في المدينة والتحصن بها ، وانه قد خرج للحرب مكرها فهذا الافتراء او هذا الزعم باطل لا يقبله العقل ولا يقره المنطق لانه يكون تشويشا على قدسية صاحب الرسالة (صلى الله عليه وآله وسلم) لانه معصوم من الزلل لا يتأثر برأي احد ولا يفعل الا بما يأمره الله به ويكون مصلحة للمسلمين .

مضافا الى انه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان في العقد السادس من عمره الشريف ، يسمع ويعلم من سير الحوادث والحروب التي كانت قبل الإسلام بين القبائل اوبين الدول ، من ان كل محاصر غالباً مأخوذ ، والمحاصر لديه وقاية آنية ، فاذا نفدت منه الامدادات انهار وضعفت قوته واخيرا القى سلاحه ، وهذه الامور لا تغيب عن بال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .

زيادة على هذا لو قلنا ان البقاء في المدينة والتحصن بها ربما يكون اجدى نفعا من الخروج للحرب وأسلم عاقبة . لكن هذا انما يكون في بلد كل اهله أو جلهم مسالمون له ومطيعون ، لا مثل حال المدينة في ذلك الحين الذي كان يكثر فيها المنافقون ، ومن لم يسلم بعد، واليهود

المناوؤن للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ودعوته ، فهؤلاء وان ابدوا المسالمة ظاهرا ، لكن قلوبهم منطوية على الحقد والغدر والوقيعة بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه ، وقد ظهر هذا من حالهم بعد معركة احد، وانكشفت حقيقة نواياهم اذ اخذوا يناوؤن المسلمين ويظهرون الشماتة ، وينقضون العهد ويحرضون الناس على مهاجمة الاسلام والنيل منه والانتقام من اتباعه .

ولو قبل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يومذاك في البقاء في المدينة والتحصن بها ، لثارت عليه حين مهاجمة قريش له ، ثائرة المنافقين ، واعدائه من اليهود وغيرهم من العرب اصحاب الاطماع والاغراض، وكانوا جميعا على المسلمين. . .

وعلى هذا لا يستقيم الحرب الا ساعات معدودة ويكون انهزام المسلمين لأنهم قلة قليلة امراً محتوماً لولا الالطاف الآلهية .

مسير الرسول الاعظم الى احد

لما خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بجماعة المسلمين متوجها الى احد لقتال المشركين دعا بثلاثة ارماح ، فعقد ثلاثة الوية ، ودفع لواء الأوس الى اسيد بن حضير، ودفع لواء الخزرج الى الحباب بن المنذر بن الجموح ـ ويقال الى سعد بن عبادة ـ ودفع لواء المهاجرين الى علي بن ابي طالب (عليه السلام) ويقال الى مصعب بن عمير .

ثم دعا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بفرسه فركبه ، واخذ[1] النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) القوس واخذ قناة بيده ، زج الرمح يومئذ من شبه [2] والمسلمون متلبسون السلاح ، قد اظهروا الدروع فيهم مائة دارع .

فلما ركب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج السعدان امامه يعدوان ـ سعد بن عبادة ، وسعد بن معاذ ـ كل واحد منهما دارع ، والناس عن يمينه وعن شماله حتى سلك على البدائع[3] ثم زقاق

---

(١) وفي بعض النسخ : وتقلد القوس .

(٢) الشبه : ضرب من النحاس .

(٣) البدائع : موضع من ديار خثعم .

الحسى حتى الشيخين[1]ولما انتهى الى رأس الثنية ، التفت فنظر الى كتيبة خشناء لها زجل خلفه[2]فقال: ما هذه ؟ قالوا : يا رسول الله، هؤلاء حلفاء ابن أبيّ من يهود. فقال رسول الله (صلى الله عيه وآله وسلم) لا يستنصر باهل الشرك على اهل الشرك، ومضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى اتى الشيخين فعسكر به . وعرض عليه غلمان من المسلمين قد رغبوا بالجهاد فاجاز بعضهم ورد الكثير منهم لصغر سنهم على ما هو مروي.

واقبل ابن أبي فنزل ناحية من العسكر، وجعل حلفاؤه ومن معه من المنافقين يقولون له : اشرت عليه بالرأي ونصحته واخبرته ان هذا رأي من مضى من آبائك، فابى ان يقبله واطاع هؤلاء الغلمان الذين معه فصادفوا من عبد الله نفاقاً وغشا.

وبات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالشيخين ، وبات ابن ابي في اصحابه، ولما فرغ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من عرض اصحابه ، وغابت الشمس اذن بلال بالمغرب فصلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) باصحابه ، ثم اذن بالعشاء فصلى باصحابه ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نازلاً في بني النجار.

واستعمل (صلى الله عليه وآله وسلم) على الحرس محمد بن

---

(١) الشيخان : موضع بين المدينة وجبل احد على الطريق الشرقية مع الحرة الى احد .

(٢) الزجل : الصوت الرفيع العالي .

مسلمـة في خمسين رجـلا يطوفـون بالعسكـر حتى ادلـج رسـول الله (صـلى الله عليه وآله وسلم) .

وكـان المشـركـون قـد رأوا رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) حيث ادلـج ، ونزل بـالشيخـين ، فجمعـوا خيلهم وظهـرهم[1]واستعملوا عـلى حرسهم عكـرمة بن ابي جهـل في خيل من المشـركين ، وبـاتت صاهلة خيلهم لا تهـدأ ، وتدنـو طـلائعهم حتى تلصق بـالحـرة ، فـلا تصعـد فيهـا حتى تـرجع خيلهم ، يهـابون مـوضـع الحـرة ومحمـد بن مسلمـة كـما يقـول الواقدي .

وقد كان رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) حـين صلى العشـاء ، قـال : من يحفـظنـا الليلة ؟ فقـام رجـل فقـال : انا يارسـول الله . فقـال الـرسول : من انت ؟ قـال : ذكـوان بن عبـد قيس ، قـال (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) : اذهـب . . حفظك الله ، فلبس درعـه واخذ درقتـه ، وكـان يـطوف بالعسكـر تلك الليلة . ويقال : كـان يحرس رسـول الله (صـلى الله عليه وآله وسلم) ولم يفارقه .

ونـام رسول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) حتى ادلـج[2]فلما كـان في السحـر قـال (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم : اين الادلاء ؟ من رجـل يـدلنـا عـلى الـطريق ويخـرجنـا عـلى القـوم من كثب ؟ فقـام ابـو حتمـة الحارثي[3] فقال : انا يا رسول الله .

فخـرج رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) وركـب فرسـه فسلك

---

(١) الظهر : الابل .

(٢) ادلج القوم : ساروا الليل كله أو في آخره ـ الدلجة : الساعة من آخر الليل .

(٣) ويقال : اوس بن قيظي : ويقال محيصة .

به في بني حارثة حتى مر بحائط مربع بن قيظي الاعمى الذي قام يحثو التراب في وجوه المسلمين كما اسلفنا .

فلما انتهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى احد وقد حانت الصلاة ، وهو يرى المشركين، امر بلالاً فاذن واقام وصلى باصحابه الصبح صفوفا وارتحل ابن ابي من ذلك المكان في كتيبة كأنه هيق[1] يقدمهم ، فاتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام فقال : اذكركم الله ودينكم ونبيكم ، وما شرطتم له ان تمنعوه مما تمنعون منه انفسكم واولادكم ونسائكم .

فقال ابن ابي : ما أرى يكون بينهم قتال، ولئن اطعتني يا ابا جابر لترجعن ، فان اهل الرأي والحجى قد رجعوا ، ونحن ناصروه في مدينتنا ، وقد خالفنا واشرت عليه بالرأي ، فابى الا طواعية الغلمان .

فلما أبى ابن ابي على عبد الله بن حرام ان يرجع ودخلوا ازقة المدينة ، قال لهم ابو جابر : أبعدكم الله ، ان الله سيغني النبي والمؤمنين عن نصركم .

فانصرف ابن ابي وهو يقول : ايعصيني ويطيع الولدان ؟ ! وانصرف عبد الله بن عمرو بن حرام يعدو حتى لحق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يسوي الصفوف .

فلما اصيب اصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سُر ابن ابيٍّ ، واظهر الشماتة وقال : عصاني واطاع من لا رأي له !

---

(١) الهيق : الظليم ، وهو الذكر من النعام ، والانثى هيقة ـ وهو يريد سرعة ذهابه .

وجعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يصف اصحابه، وجعل الرماة خمسين رجلا على عينين - جبل باحد - وعليهم عبد الله بن جبير .

وجعل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) احدا خلف ظهره واستقبل المدينة وجعل عينين عن يساره ، واقبل المشركون فاستقبلوا أُحدا واستدبروا المدينة في الوادي .

ذكر الحلبي في سيرته : كان الفرسان يوم احد خمسين رجلا وامر عليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عبد الله بن جبير وقال له : إنضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا ، واثبت مكانك ان كانت لنا أو علينا ، وفي رواية] : ان رأيتمونا تتخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى ارسل اليكم ، وان رأيتمونا ظهرنا على القوم واوطأناهم فلا تبرحوا حتى ارسل اليكم . وان رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا ، وقال للرماة : الزموا مكانكم ، لا تبرحوا منه فاذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل في عسكرهم ، فلا تفارقوا مكانكم ؟ وان رأيتمونا نقتل فلا تغيثونا ، ولا تدفعوا عنا ، وارشقوهم بالنبل فان الخيل لا تقدم على النبل ، إنا لن نزال غالبين ما مكثتم مكانكم . ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : اللهم اني أشهدك عليهم .



التعبئة للقتال

لما جاءت قريش بعدتها وعديدها، من حلفائها وعبيدها ، وأنزلت جموعها في منطقة احد، واخذت تصول وتجول، هناك لم يكن بد من القتال بين المسلمين والمشركين، حيث ان المشركين غرتهم كثرتهم وزادتهم حماساً ولم يعلموا أن العاقبة للمتقين . لقد غاب عن بالهم ان الكثرة لا تغني عن الحق شيئاً وسيجزي الله المجاهدين والصابرين .

رأى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تصميم المشركين وعزمهم على الحرب، ورأى خيلاءهم وجبروتهم وعلى رأسهم ابو سفيان يحرضهم للقتال وزوجته هند امام النساء اللواتي كن يضربن بالدفوف وينشدن الاناشيد الحماسية التي تذكرهم بقتلى بدر وما كان من جرائها .

جاء في شرح النهج عن الواقدي قوله : « اقبل المشركون وقد صفوا صفوفهم، واستعملوا على الميمنة خالد بن الوليد، وعلى الميسرة عكرمة بن ابي جهل، ولهم مجنبتان مائتا فرس، وجعلوا على الخيل صفوان بن امية - ويقال عمرو بن العاص - وعلى الرماة عبد الله بن ابي ربيعة ، وكانوا مائة رام ، ودفعوا اللواء الى طلحة بن ابي طلحة[1] صاح ابو

---

(١) ان اسم ابي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي - المغازي للواقدي .

سفيان يومئذٍ : يا بني عبد الدار ، نحن نعرف انكم احق باللواء منا ، وانّا إنما أُتينا يوم بدر من اللواء، وانما يؤتى القوم من قبل لوائهم ، فالزموا لواءكم ، وحافظوا عليه ، او خلوا بيننا وبينه ، فانا قوم مستميتون موتورون ، نطلب ثأرا حديث العهد.

وجعل ابو سفيان يقول: اذا زالت الألوية فما قوام الناس وبقاؤهم بعدها ! فغضبت بنو عبد الدار وقالوا : نحن نسلم لواءنا ! لا كان هذا ابدا. . . ! واما المحافظة عليه فسترى .

ثم اسندوا الرماح اليه ، واحدقت به بنوعبد الدار ، واغلظوا لابي سفيان بعض الاغلاظ ، فقال ابو سفيان: فنجعل لواء آخر ؟ قالوا : نعم ، ولا يحمله الا رجل من بني عبد الدار، لا كان غير ذلك ابدا ! .

قال الواقدي : وجعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يمشي على رجليه ، يسوي تلك الصفوف ـ صفوف المسلمين ـ ويبوىء اصحابه مقاعد للقتال، يقول : تقدم يا فلان ، وتأخر يا فلان ، حتى انه ليرى منكب الرجل خارجا فيؤخره ، فهو يقومهم ، كأنما يقوم القداح ، حتى اذا استوت الصفوف، سأل : من يحمل لواء المشركين ؟ قيل : عبد الدار قال : نحن احق بالوفاء منهم ، اين مصعب بن عمير؟ قال : ها أنذا يا رسول الله، قال : خذ اللواء . فاخذه مصعب فتقدم به بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) [1].

قال البلاذري : اخذه من علي (عليه السلام) ، فدفعه الى مصعب بن عمير ، لأنه من بنى عبد الدار[2].

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد، ج ١٤ ، ص ١٣١ .
(٢) انساب الاشراف للبلاذري ، ج ١ ، ص ٣١٧.

خطبة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم احد

ذكر الواقدي في مغازيه : قام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم احد فخطب الناس ـ بعد ان صف اصحابه للقتال ـ فقال : يا ايها الناس، اوصيكم بما اوصاني الله في كتابه من العمل بطاعته والتناهي عن محارمه .

ثم انكم اليوم بمنزل اجر وذخر لمن ذكر الذي عليه ثم وطن نفسه له على الصبر واليقين والجد و النشاط ، فان جهاد العدو شديد، شديد كربه[1]، قليل من يصبر[2]عليه الا من عزم الله رشده ، فان الله مع من اطاعه ، وان الشيطان مع من عصاه ، فافتتحوا[3]اعمالكم بالصبر على الجهاد، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله، وعليكم بالذي امركم به ، فاني حريص على رشدكم ، فان الاختلاف والتثبيط من امر العجز والضعف مما لا يحب الله، ولا يعطى عليه النصر ولا الظفر.

يا ايها الناس، جدد في صدري[4]ان من كان على حرام فرق الله

---

(١) وقيل: كريه .

(٢) وقيل: يصير.

(٣) وقيل: فاستفتحوا .

(٤) جدد في صدري: قذف في قلبي.

بينه وبينه ، ومن رغب له عنه غفر الله ذنبه ، ومن صلى علي صلى الله عليه وملائكته عشرا ، ومن احسن من مسلم او كافر وقع اجره على الله في عاجل دنياه أو آجل آخرته ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة الا صبيا أو امرأة او مريضا او عبدا مملوكا ، ومن استغنى عنها استغنى الله عنه ، والله غني حميد .

ما اعلم من عمل يقربكم الى الله الا وقد امرتكم به ، ولا اعلم من عمل يقربكم الى النار الا وقد نهيتكم عنه .

وانه قد نفث[1] في روعي الروح الأمين ، انه لن تموت نفس حتى تستوفي اقصى رزقها ، لا ينقص منه شيء وان ابطأ عنها . فاتقوا الله ربكم واجملوا في طلب الرزق، ولا يحملنكم استبطاؤه ان تطلبوه بمعصية ربكم ، فانه لا يقدر على ما عنده الا بطاعته . قد بين لكم الحلال والحرام ، غير أن بينهما شبهاً من الأمر لم يعلمها كثير من الناس الا من عصم ، فمن تركها حفظ عرضه ودينه ، ومن وقع فيها كان كالراعي الى جنب الحمى اوشك ان يقع فيه .

وليس ملك الا وله حمى ، ألا وان حمى الله محارمه . والمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد، اذا اشتكى تداعى عليه سائر الجسد . والسلام عليكم .[2].

---

(١) وقيل : بعث.

(٢) المغازي : للواقدي - ج ١ ص ٢٢٢.

بدء القتال

تهيأ المسلمون للقتال والدفاع عن الاسلام والعقيدة، ومعقل المسلمين ـ المدينة المنورة ـ وذلك عندما شاهدوا مشركي قريش ومن ساندهم من العرب واشياعهم من الاحابيش والموالي ورأوا الحماس الشديد لاخذ الثأر واستئصال شأفة المسلمين وابادتهم ، كان لا بد للرسول العظيم من قتال المشركين والمواجهة الحتمية .

ولما التقى الفريقان ارسل ابو سفيان الى الانصار يقول : خلوا بيننا وبين ابن عمنا ، فننصرف عنكم فلا حاجة لنا الى قتالكم . فردوا عليه بما يكره .

تعبى المشركون ، وجعلوا على ميمنتهم خالد بن الوليد، وعلى ميسرتهم عكرمة بن ابي جهل، وكان لواؤ هم مع بني عبد الدار.

واستقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة وترك أحدا خلف ظهره ، وجعل وراءه الرماة ، وامر عليهم عبد الله بن جبير، وقال له : انضح عنا الخيل بالنبل، لا يأتونا من خلفنا ان كانت لنا أو علينا، وأثبت مكانك لا نؤتين من قبلك . كما تقول الروايات واسلفنا ذلك .

اعطى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اللواء مصعب بن عمير وامر الزبير على الخيل، ومعه المقداد، وخرج حمزة بين يديه .

واقبل خالد وعكرمة ، فلقيهما الزبير والمقداد، فهزما المشركين وحمل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه فهزموا ابا سفيان .

خرج طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين وقال: يا معشر اصحاب محمد انكم تزعمون ان الله يعجلنا بسيوفكم الى النار، ويعجلكم بسيوفنا الى الجنة، فهل أحد منكم يعجله سيفي الى الجنة. . . او يعجلني سيفه الى النار ؟ .

فبرز اليه علي بن ابي طالب (عليه السلام) فضربه علي فقطع رجله فسقط وانكشفت عورته ، فناشده الله والرحم فتركه . عندها كبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال لعلي : ما منعك ان تجهز عليه ؟ قال : انه ناشدني الله والرحم فاستحييت منه .[1]

وروى ابن كثير انه : لما اشتد القتال يوم احد جلس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تحت راية الانصار، وارسل الى علي أن قدِّم الراية . . . فقدم علي وهو يقول: انا ابو القصم[2].

فناداه ابو سعد بن ابي طلحة وهو صاحب لواء المشركين . هل لك يا ابا القصم في البراز من حاجة ؟ قال : نعم . . فبرزا بين الصفين ، فاختلفا ضربتين ، فضربه علي فصرعه ، ثم انصرف عنه ولم يجهز عليه . فقال له بعض اصحابه : افلا اجهزت عليه ؟ فقال انه استقبلني بعورته فعطفتني عليه الرحم وعرفت ان الله قد قتله .

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الاثير، ج ٢ ص ١٠٦ .

(٢) القصم : الكسر. يقال: قصم الله ظهر الظالم اي انزل به البلية . وقصم الله عمر الكافر أي اذهبه ويقال: نزلت بهم قاصمة الظهر ـ اي اصابهم الهلاك ، والقصم ـ بضم القاف وفتح الصاد : من يحطم كل من يلقاه .

وقد فعل ذلك علي (رضي الله عنه) يوم صفين مع بسر بن ابي ارطأة لما حمل عليه ليقتله ابدى له عورته فرجع عنه .

وكذلك فعل عمرو بن العاص حين حمل عليه علي بن ابي طالب في بعض ايام صفين ابدى عن عورته فرجع علي ايضا . ففي ذلك يقول الحارث بن النظير :

اتى كل يوم فارس غير منته وعورته وسط العجاجة باديه
يكف لها عنه علي سنانه ويضحك منها في الخلاء معاوية[1]

روى ابن الاثير أنه كان بيد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سيف فقال: من يأخذه بحقه؟ فقام اليه رجال فامسكه عنهم حتى قام ابو دجانه فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال : تضرب به العدو حتى ينحني . قال : انا آخذه ، فاعطاه اياه . وكان منقوشا على السيف :

في الجبن عار وفي الاقدام مكرمة والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

كان ابو دجانة شجاعاً، وكان اذا اعلم بعصابة له حمراء[2]علم الناس انه يقاتل . فعصب رأسه بها واخذ السيف من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وجعل يتبختر بين الصفين ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انها مشية يبغضها الله الا في هذا الموطن . فجعل

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ج ٤، ص ٢٠ .

(٢) في السيرة الحلبية : عن الزبير اخرج ابو دجانة عصابة حمراء كان مكتوبا على احد طرفيها نصر من الله وفتح قريب . وفي طرفها الآخر . الجبانة في الحرب عار ومن فر لم ينج من النار فعصب بها رأسه فقالت الانصار: اخرج ابو دجانة عصابة الموت .

لا يرتفع له شيء الا حطمه حتى انتهى الى نسوة في سفح الجبل معهن دفوف لهن فيهن امرأة تقول :

نحن بنات طارق نمشي على النمارق[1]
مشي القطا البوارق والمسك في المفارق
والدر في المخانق ان تقبلوا نعانق
او تدبروا نفارق فراق غير وامق[2]

وتقول ايضا :

ويها بني عبد الدار ويها حماة الادبار
خربا بكل بتار

فرفع السيف ليضربها ثم اكرم سيف رسول الله ان يضرب به امرأة ، وكانت المرأة هند بنت عتبة ـ زوج ابي سفيان ـ والنساء معها يضربن بالدفوف خلف الرجال يحرضن .

واقتتل الناس اقتتالا شديداً، وامعن في الناس حمزة وعلي وابو دجانة في رجال من المسلمين وانزل الله نصره على المسلمين وكانت الهزيمة على المشركين . فهرب النساء مصعدات في الجبل، ودخل المسلمون عسكرهم ينهبون . فلما نظر بعض الرماة الى العسكر حين انكشف الكفار عنه اقبلوا يريدون النهب، وثبتت طائفة ، وقالوا : نطيع رسول الله ونثبت مكاننا فانزل الله تعالى : ﴿ **منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة** ﴾[3] .

---

(١) النمارق: جمع نمرقة وهي الطنفسة فوق الرحل .

(٢) الوامق: المحب .

(٣) سورة آل عمران، آية ١٥٢ .

فلما فارق بعض الرماة مكانه ، رأى خالد بن الوليد قلة من بقي من الرماة ، حمل عليهم فقتلهم وحمل على اصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من خلفهم .

ولما رأى المشركون خيلهم تقاتل تبادروا فشدوا على المسلمين وقتلوهم ، وقد كان المسلمون قتلوا اصحاب اللواء فبقي مطروحاً لا يدنو منه احد، فاخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته، عندها اجتمعت قريش حوله واخذه صواب فقتل عليه : .

وقد عير حسان بن ثابت قريشا بقوله في عمرة الحارثية :

فلولا لواء الحارثية اصبحوا يباعون في الاسواق بيع الجلائب

وبقوله في صواب العبد .

فخرتم باللواء وشرٌّ فخرٍ لواء حين رد الى « صواب »
جعلتم فخركم فيه بعبدٍ والأم من يطأ عفر التراب[1]

روى الطبري في تاريخه ، عن ابي رافع ، عن ابيه، عن جده قال: لما قتل علي بن ابي طالب اصحاب الألوية ، ابصر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جماعة من مشركي قريش، فقال لعلي: احمل عليهم، فحمل عليهم، ففرق جمعهم، وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي .

قال: ثم ابصر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جماعة من مشركي قريش، فقال لعلي: احمل عليهم ، فحمل عليهم وفرق جماعتهم ، وقتل شيبة بن مالك احد بني عامر بن لؤي، فقال جبريل:

---

(١) الكامل في التاريخ، لابن الاثير، ج٢، ص ١٠٧ .

يا رسول الله ، ان هذه للمواساة ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : انه مني وانا منه ، فقال جبريل : وانا منكما ، قال : فسمعوا صوتا .

لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي

فلما اتي المسلمون من خلفهم انكشفوا واصاب منهم المشركون ، وكان المسلمون لما اصابهم ما اصابهم من البلاء أثلاثا : ثلث قتيل ، وثلث جريح ، وثلث منهزم وقد جهدته الحرب حتى ما يدري ما يصنع ، واصيبت رباعية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) السفلى، وشقت شفته ، وكلم في وجنتيه وجبهته في اصول شعره ، وعلاه ابن قميئة بالسيف على شقه الايمن وكان الذي اصابه عتبة بن ابي وقاص[1] .

---

(١) تاريخ الطبري - ج-٢-ص ٥١٤ .

وقد ذكر ابن الاثير في تاريخه وغيره لما كسرت رباعية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلاه ابن قميئة بالسيف وكان هو الذي اصابه . وقيل اصابه عتبة بن ابي وقاص. وقيل عبد الله بن شهاب الزهري. وقيل ان عتبة بن ابي وقاص وابن قميئة الليثي، وابي بن خلف الجمحي، وعبد الله بن حميد الاسدي، اسد قريش تعاقدوا على قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فاما ابن شهاب فاصاب جبهته ، واما عتبة فرماه باربعة احجار فكسر رباعتيه اليمنى وشق شفته . واما ابن قميئة فكلم وجنته ودخل من حلق المغفر فيها وعلاه بالسيف فلم يطق ان يقطع فسقط رسول الله فجحشت ركبته - اي خدشت - واما ابي بن خلف فشد عليه بحربة فاخذها رسول الله منه وقتله بها . وقيل غير ذلك على اختلاف الروايات والله العالم .

ما لقيه الرسول الأعظم يوم احد

جـاء في السيرة الهشـامية عن ابن اسحـاق قال: لمـا كان يـوم احـد وانكشف المسلمون ، فاصـاب فيهم العدو، وكـان يوم بـلاء وتمحيص، اكـرم الله فيه من اكـرم من المسلمين بـالشهادة، حتى خلص العـدو الى رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) . فـدث[1] بالحجـارة حتى وقـع لشقـه ـ لجنبه ـ فـاصيبت رباعيتـه ، وشج في وجهـه ، وكلمت شفتـه ، وكان الذي اصابه عتبة بن ابي وقاص.

وعن انس بن مالك قال: كسرت رباعية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم احد، وشج في وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه ، وجعل يمسح الدم وهو يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم، وهويدعوهم الى ربهم ؟ فانزل الله عـز وجل في ذلـك ﴿ **ليس لك من الامـر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون**﴾[2] .

وعن ابي سعيـد الخدري : ان عتبـة بن ابي وقاص رمى رسـول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى، وجرح شفته السفلى، وأن عبـد الله بن شهاب الـزهري شجـه في جبهته ، وان ابن قمئـة جرح وجنتـه فدخلت حلقتـان من حلق المغفـر[3]في وجنتـه ،

---

(١) الدث: الضرب المؤلم ، والدث ايضا الرمي بالحجارة : ودثه بالعصا والحجـر رماه رميا متقاربا .

(٢) سورة آل عمران، آية ١٢٨ .

(٣) المغفر: شبيه بحلق الدرع يجعل على الرأس يتقي به في الحرب.

ووقع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حفرة من الحفر التي عمل ابو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون فاخذ علي بن ابي طالب بيد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما ، ومصَّ مالك بن سنان ابو ابي سعيد الخدري الدم عن وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

روى ابن هشام في سيرته : عن نسيبة بنت كعب المازنية - ام عمارة - التي قاتلت يوم احد انها قالت : خرجت اول النهار وانا انظر ما يصنع الناس، ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهو في اصحابه والدولة والريح للمسلمين. فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم ، فقمت اباشر القتال واذب عنه بالسيف، وارمي عن القوس حتى، خلصت الجراح إلي.

الى ان قالت ولما ولى الناس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اقبل ابن قمئة اذله الله يقول: دلوني على محمد فلا نجوت ان نجا ، فاعترضت له انا ومصعب بن عمير واناس ممن ثبت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فضربني على عاتقي فجرحت جرحا اجوف له غور ولكن ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كانت عليه درعان .

قال ابن اسحاق: ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رمى عن قوسه حتى اندقت سيتها[1] فاخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده،

---

(١) السية : طرف القوس.

واصيبت يومئذٍ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته ، ثم ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ردها بيده، فكانت احسن واحدَّهما .

وفي السيرة الهشامية عن ابن اسحاق ايضا انه قال: انتهى انس بن النضر، عم انس بن مالك الى عمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، في رجال من المهاجرين والانصار، وقد القوا بايديهم فقال: ما يجلسكم ؟ ! قالوا: قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : فماذا تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم استقبل القوم ، فقاتل حتى قتل[1] .

وفي الارشاد عن زيد بن وهب قال: قلت لابن مسعود: انهزم الناس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى لم يبق معه الا علي بن ابي طالب (عليه السلام) وابو دجانة ، وسهل بن حنيف ، فقال: ولحقهم طلحة بن عبيد الله ، فقلت له : واين كان ابو بكر وعمر ؟ قال: كانا ممن تنحى ، قلت : واين كان عثمان ؟ قال : جاء بعد ثلاثة من الوقعة، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : لقد ذهبت فيها عريضة . .

وروى سلام بن مسكين عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال : لو رأيت مقام علي (عليه السلام) يوم احد لوجدته قائماً على ميمنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يذب عنه بالسيف وقد ولى غيره الادبار[2] .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ج ٢ ص ٨٨ .

(٢) الارشاد: للشيخ المفيد، ص ٤٨ .

ويـذكـر المفيـد في ارشـاده انـه لمـا انهزم النـاس عن النبي (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) في يـوم احـد وثبت امـير المؤمنـين عـلي قـال لـه النبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) : مالـك لا تذهب مـع القـوم ؟ قـال عـلي : اذهب وادعـك يـا رسـول الله ! والله لا بـرحت حتى اقتـل او ينجـز الله مـا وعـدك من النصر، فقـال له النبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) : أبشر يـا علي . . . فان الله منجز وعده ولن ينالوا منا مثلها ابدا .

ثم نـظر رسول الله الى كتيبـة قد اقبلت اليـه فقال لـه : احمل عـلى هذه يـا عـلي، فحمـل عليهـا ، وقتـل منهـا هشـام بن امية المخـزومي وانهزم القـوم ، ثم اقبلت كتيبـة اخـرى فقـال لـه النبي (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) : احمـل على هـذه . . . . فحمل عليهـا ، فقتل منهـا عمرو بن عبد الله الجمحي وانهزمت .

ثم اقبلت كتيبـة اخرى، فقـال لـه النبي (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) ، احمل على هذه ايضاً يـا علي . . . فحمـل عليها ، وقتـل منها بشـر بن مالـك العـامـري ، وانهزمت الكتيبـة ، ولم يعـد بعـدهـا احـد .

وتـراجـع المنهـزمـون من المسلمـين الى النبي (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم)[1] .

روى ابن هشـام في سيرتـه عن ابن اسحاق قـال : كـان اول من عـرف رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) بعـد الهزيمـة ، وقول النـاس قتـل رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم)، كعب بن مـالـك قـال : عـرفت عينيه تزهران[2] من تحت المغفر، فنـاديت باعـلى صوتي : يـا معشر المسلمـين

(١) الارشاد للشيخ المفيد، ص ٤٧ .

(٢) تزهران : تضيئان .

ابشـروا ، هـذا رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) . . فـاشـار الي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : أن انصت .

فلما عـرف المسلمون رسـول الله (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) نهضـوا بـه ، ونهض معهم نحو الشعب، معـه ابو بكـر، وعمر بن الخـطاب، وعلي بن ابي طـالب، وطلحة بن عبيـد الله، والـزبـير بن العـوام ، والحـارث بن الصمة، ورهط من المسلمين .

فلما اسنـد رسول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) في الشعب ادركـه ابي بن خلف وهـو يقول: اي محمـد لا نجوت ان نجوت[1] فقـال القـوم : يـا رسول الله، ايعـطف عليه رجـل منا ؟ فقـال رسول الله (صـلى الله عليه وآلــه وسلم) دعـوه . فلما دنى تنـاول رسـول الله (صــلى الله عليـه وآلــه وسلم) الحـربـة من الحـارث بن الصمـة . فلما اخـذهـا رسـول الله (صـلى الله عليــه وآلـه وسلم) انتفض بهــا انتفـاضــة تـطايــرنـا عنــه تــطايــر الشعـراء[2] عن ظهر البعـير اذا انتفض بها ثم استقبله فـطعنه في عنقـه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا .

وكـان ابي بن خلف، يلقى رسول الله (صـلى الله عليه وآله وسلم) ، بمكـة، فيقـول: يـا محمـد، ان عنـدي العـوذ، فـرسـاً اعلفـه كـل يـوم فـرقـا[3] من ذره ، اقتلك عليـه، فيقـول رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) : بل انا اقتلك ان شاء الله .

فلما رجـع الى قريش وقـد خدشه في عنقـه خدشـا غـير كبـير، فاحتقن

(١) وقيل ان ابي قال: اين محمد ؟

(٢) الشعراء: ذباب له لدغ.

(٣) الفرق: بفتح الراء، مكيال يسع ستة عشر منا : وقيل: اثني عشر رطلاً.

الدم، قال: قتلني والله محمد! . . قالوا له: ذهب والله فؤادك! والله إن بك من بأس ـ اي ما بك من بأس ـ قال: انه قد كان قال لي بمكة: انا اقتلك، فوالله لو بصق علي لقتلني. فمات عدو الله بسرف[1] وهم قافلون به الى مكة. فقال حسان بن ثابت في ذلك:

الا من مبلغ عني ابيا ... لقد القيت في سحق السعير
فقد لاقتك طعنة ذي حفاظ ... كريم البيت ليس بذي فجور
له فضل على الاحياء طرا ... اذا نابت ملمات الامور

ولما انتهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى فم الشعب خرج علي ابن ابي طالب، حتى ملأ درقته ماء من المهراس[2]، فجاء به الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليشرب منه، فوجد له ريحا، فعافه، ولم يشرب منه، وغسل عن وجهه الدم، صب على رأسه وهو يقول: اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه[3].

روى المفيد في ارشاده: انه لما تراجع المنهزمون من المسلمين الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وانصرف المشركون الى مكة، وانصرف المسلمون مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى المدينة، استقبلته فاطمة (عليها السلام) ومعها اناء فيه ماء، فغسل به وجهه الشريف، ولحقه علي (عليه السلام) وقد خضب الدم يده الى كتفه

---

(١) سرف: موضع على ستة اميال من مكة. وقيل سبعة.
(٢) المهراس: ماء باحد: وقيل: حجر ينقر ويجعل الى جانب البئر ويصب فيه الماء.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ج، ٢، ص ٨٩، ٩٠.

ومعـه ذو الفقار، فنـاوله لفاطمة (عليهـا السلام) وقـال لها : خـذي هـذا السيف فقد صدقني اليوم . . . وانشأ يقول :

افــاطم هــاك السيف غــير ذمـيم　　فـلسـت بــرعــديــد ولا بمليـم
لعمري لقد اعـذرت في نصر احمـد　　وطــاعــة رب بــالـعبــاد عـليـم
اميــطى دمـاء القــوم عنـه فــانـه　　سقى آل عبــد الـدار كــأس حميم

وقـال رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) : خذيـه يا فـاطمـة ، فقد أدى بعلك ما عليه ، وقد قتل الله بسيفه صناديد قريش .



مقتل حمزة بن عبد المطلب

حمزة بن عبد المطلب عم الرسول الاعظم ، ومن خيرة المسلمين وعظماء الصحابة ، كان رضوان الله عليه بطلا شجاعا مقداما لا يهاب الموت ، قتل يوم احد وهو صائم مجاهد في سبيل الله ونصرة الاسلام .

لقد اعز الله الاسلام بحمزة حينما اسلم بمكة المكرمة ، وكان من المسلمين الاول، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما قتل يوم احد : حمزة اسد الله واسد رسوله .

حزن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على حمزة حينما قُتل وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما اخذ الانصار بدفن قتلاهم - وقد وقفت النساء يندبن على القتلى ويبكونهم - : « أما لحمزة من بواكي » ، عند ذلك بكت النساء على حمزة واخذن في البكاء عليه نادبات اياه بكل مناسبة حتى بعد احد .

وذكر المؤرخون واصحاب السير أن ابا سفيان بن حرب وزوجته هند بنت عتبة كانا ، بعد وقعة بدر الكبرى ومقتل ذويهما ، لم يفكرا بشيء سوى الأخذ بالثأر من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) او علي - او حمزة ، وكانت هند لم تترك حيلة او وسيلة الا استعملتها لغايتها الانتقامية ، ووقع اختيارها على وحشي وكان غلاماً حبشياً مملوكاً لجبير بن مطعم ، فجاءته هند واغرته بالمال كما اغراه جبير بالحرية - لان حمزة

كـان قـد قتـل طعيمـة بن عـدي ـ وطلبت هنـد من وحشي قتـل احـد الثلاثة ـ محمـد (صلى الله عليـه وآله وسلم) ـ او حمـزة ، او علي ـ فقـال لها كما يروى : امـا محمد فلن اقـدر على قتله لأن اصحـابه محيـطون به . . وامـا علي فانـه اذا قاتـل كان احـذر من الغـراب . . وامـا حمـزة فـاني اطمـع ان اصيبـه لأنه اذا غضب وقـاتل لم يبصـر ما بـين يديـه ، وكانت هنـد في اثنـاء معركة احد كلما مرت بوحشي تقول له : ايه ابا دسمة[1] اشف واشتف .

وفي البداية والنهـاية لابن كثـير عن ابن اسحاق قـوله : قـاتل حمـزة بن عبـد المطلب حتى قتـل ارطأة بن عبد شـرحبيـل بن هـاشم بن عبـد منـاف ابن عبـد الدار وكـان احد النفـر الذين يحملون اللواء ، وكـذلك قتـل عثمان بن ابي طلحة وهو حامل اللواء وهو يقول :

ان عـلى اهـل الـلواء حـقـا ان يخضبـوا الصعـدة أو تنـدقـا

فحمـل عليه حمـزة فقتله ، ثم مر بـه سبـاع بن عبـد العـزى الغبشـاني وكـان يكنى بابي نيـار فقال حمـزة : هلم الي يا ابن مقـطعة البـظور ـ وكـانت امـه ام انمار مـولاة شريق بن عمـرو ختانـة بمكة ـ فلما التقيـا ضـربـه حمـزة فقتله ، فقـال وحشي غـلام جبـير بن مـطعم : والله اني لأنـظر لحمـزة يهـد النـاس بسيفه . . مـا يليق شيئـاً يمـر بـه مثـل الجمـل الاورق[2] ، وهـززت حـربتي حتى اذا رضيت منها دفعتهـا عليـه فـوقعت في ثنتـه ، حتى خـرجت من بـين رجليـه فـاقبـل نحـوي فغلب فـوقـع وامهلتـه حتى اذا مـات جئت فاخذت حربتي ثم تنحيت الى العسكر ولم يكن لي بشيء حاجة غيره .

---

(١) ابا دسمة هي كنية ولقب ، لوحشي العبد الحبشي .
(٢) الاورق ـ الجمل الذي لونه لون الرماد وهنا كناية عن شدة الغضب .

ما كان من امر حمزة (رضي الله عنه) بعد مقتله

جاء في البداية والنهاية عن ابن اسحاق قوله : « وقعت هند بنت عتبة والنسوة اللائي معها يمثلن بالقتلى من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يجدعن الآذان والانوف، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وانوفهم خدما[1] وقلائد ، واعطت خدمها ، وقلائدها، وقرطها وحشياً[2] .

وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت باعلى صوتها وقالت :

نحن جزيناكم بيوم بدر — والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان لي عن عتبة من صبر — ولا اخي وعمه وبكر
شفيت نفسي وقضيت نذري — شفيت وحشي غليل صدري
فشكر وحشي علي عمري — حتى ترمّ أعظمي في قبري

فاجابتها هند بنت اثاثة بن عباد بن المطلب فقالت :

خزيت في بدر وبعد بدر — يا بنت غدار عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر — بالهاشميين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفري — حمزة ليثي وعلي صقري

(١) الخدمة : الخلخال .

(٢) لقد اعطت هند بنت عتبة حليها وجميع ما عليها من ذهب وغيره لوحشي جزاءً له عندما نفذَ لها مؤامرتها الدنيئة التي كانت قد اتفقت معه عليها من قتل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) او حمزة او علي.

قال ابن اسحاق ومن الشعر الذي ارتجزت به هند بنت عتبة يوم احد :

شفيت من حمزة نفسي باحد   حين بقرت بطنه عن الكبد
اذهب عني ذاك ما كنت اجد   من لوعة الحزن الشديد المعتمد

وعن ابن اسحاق ايضاً : كان الحليس بن زيان اخو بني الحارث بن عبد مناة ـ وهو يومئذ سيد الاحابيش ـ قد مرَّ بابي سفيان وهو يضرب في شدق حمزة بن عبد المطلب بزج الرمح ويقول : ذق عقق . .

فقال الحليس : يا بني كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون لحما . . . !

فقال ابو سفيان : ويحك اكتمها عني فانها كانت زلة[1] .

ثم ان أبا سفيان حين اراد الانصراف اشرف على الجبل ثم صرخ باعلى صوته : انعمت ، ان الحرب سجال، يوم بيوم بدر، اعل هبل ـ اعل هبل ـ اي ظهر دينك ـ .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعمر : قم يا عمر

(١) هذا ابو سفيان بن حرب يقف على حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه) بعد مقتله وموته يفرغ ما في قلبه من حنق وغيظ يطعن شدق حمزة بزج الرمح ملذذا في ذلك مخاطبا له بكلام يكشف عن خبث ولؤم سريرة .
وزوجته هند بنت عتبة تبقر بطن حمزة لتستخرج كبده وتلوكه لعلها تشفي غليلها وقد سُميت بذلك آكلة الاكباد، وذهب بنوها على مرِّ الاجيال بلقب ـ بنو آكلة الاكباد.

فـاجبه فقـل : الله اعلى واجـل، لا سـواء، قتـلانـا في الجنـة ، وقتـلاكـم في النار .

فقـال لـه ابـو سفيـان هلمَّ الي يـا عمـر فقـال رسـول الله لعمـر : إئتـه فـانظر مـا شأنـه . فجاءه فقـال له ابـو سفيان : انشدك الله يـا عمـر اقتلنـا محمدا ؟ فقال عمر: اللهمَّ لا وانه ليسمع كلامك الآن . الى آخره .

قـال ابن اسحـاق: وخـرج رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلـم) يلتمس حمـزة بن عبد المـطلب فوجـده ببطن الـوادي قد بُقـر بطنـه عن كبده ومُثـل بـه، فجُدع انفـه واذنـاه . فقـال (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) : حينـما رأى ما رأى « لـولا ان تحزن صفيـة وتكـون سنـة من بعـدي لتـركتـه حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير . . .

فلما رأى المسلمـون حـزن رسـول الله (صـلى الله عليـــه وآلـه وسلم) وغيـظه على من فعـل بعمه مـا فعل، قـالوا : والله لئن اظفـرنا الله بهم يـوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها احد من العرب . [1] .

وفي مجمـع البيان للطبـرسي : ان المشركـين لما مثلوا بقتـلى احدوبحمزة بن عبـد المـطلب فشقـوا بـطنـــه واخـذت هنــد بنت عتبـة كبـــده وجعلت تلوكه ، وجدعوا انفه واذنه وقطعـوا مذاكيره ، قال المسلمـون : لئن امكننا الله منهم لنمثلن بـــالاحيـاء فضـــلا عن الامـوات فنـزلت الآيـــة : ﴿ **وان عـــاقبتم فعــاقبـــوا بمثـــل مـــا عُـــوقبتـم بـــه ولئن صبـــرتم لهـــو خـــير للصـــابرين** ﴾[2]فعفـا رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلـم) وصبر ونهى عن المثلة .

---

(١) البداية والنهاية، لابن كثير، ج ٤، ص ٣٧ ـ ٤٠ .

(٢) سورة النحل، آية ١٢٦ .

قـال ابن هشـام : لمـا وقف النبي (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) عـلى حمـزة قـال: « لن اصـاب بمثلك ابـدا ، مـا وقفت قط مـوقفـاً اغيظ الي من هذا » .

ثم قال (صلى الله عليـه وآله وسلم) : « جـاءني جبريـل فاخبـرني ان حمـزة مكتوب في السمـاوات السبع ـ حمـزة بن عبد المـطلب اسـد الله واسـد رسوله » .

كـان حمزة وابـو سلمة بن عبـد الاسد اخـو رسول الله (صـلى الله عليه وآله وسلم) من الرضاعة ارضعتهم ثلاثتهم ثويبة مولاة ابي لهب .

وعن ابن اسحـاق قـال: اقبلت صفيـة بنت عبـد المـطلب لتنـظر اليـه وكـان حمزة اخـاها لابيهـا وامهـا ، فقـال رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) لابنهـا الزبـير بن العوام : القهـا فـارجعهـا لا تـرى مـا بـأخيهـا ، فقـال لها : يـا امه ان رسـول الله (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) يـأمـرك ان ترجعي . قالت : ولِمَ ؟ وقـد بلغني انه مثـل باخي وذلـك في الله قليل ، فـما ارضـانا مـا كان من ذلـك ، لاحتسبن ولأصبرن انشـاء الله . فلما جاء الـزبير الى رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) واخبـره بـذلـك قـال : خـل سبيلها فاتته فنظرت اليه وصلت عليه واسترجعت واستغفرت .

الصلاة على الحمزة بن عبد المطلب

جاء في البداية والنهاية لابن كثير عن ابن اسحاق عن ابن عباس قال: امر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بحمزة فُسجي ببردة ، ثم صلى عليه ، وكبر سبع تكبيرات ، ثم أُتي بالقتلى يوضعون الى حمزة فصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه اثنتين وسبعين صلاة[1] .

وفي شرح النهج عن الواقدي قال: وكان حمزة أول من كبر عليه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اربعا ثم جمع اليه الشهداء ، فكان كلما أُتي بشهيد وضع الى جنب حمزة ، فصلى عليه وعلى الشهيد، حتى صلى عليه سبعين مرة ، لان الشهداء سبعون ، ويقال : كان يؤتى بتسعة وحمزة عاشرهم ، فيصلي عليهم ، وترفع التسعة ويترك حمزة مكانه ، ويؤتى بتسعة آخرين فيوضعون الى جنب حمزة فيصلى عليه وعليهم حتى فعل ذلك سبع مرات ، ويقال: أنه كبر عليه خمساً وسبعاً، وتسعاً، وقد اختلفت الرواية في هذا .

وكان طلحة بن عبيد الله ، وابن عباس، وجابر بن عبد الله يقولون : صلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على قتلى أحد، وقال : أنا شهيد على هؤلاء. فقال له ابو بكر: السنا اخوانهم ، اسلمنا

---

(١) البداية والنهاية: لابن كثير، ج ٤، ص ٤٠ .

كما اسلموا وجاهدنا كما جاهدوا ؟ قال: بلى . . ولكن هؤلاء لم يأكلوا من اجورهم شيئاً، ولا ادري ما تحدثون بعدي! فبكى ابو بكر وقال: انا لكائنون بعدك ! ؟[1] .

ومع اختلاف الروايات نؤيد رواية الخمسة لما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من أنه كان يكبر في صلاة الميت خمساً .

وجاء في تعليقة الحدائق الناضرة للبحراني أن مسلما ذكر ذلك - اي التكبيرات الخمس - في باب الصلاة على القبر من كتاب الجنائز . واورده البيهقي في السنن ، وابن ماجة ، والنسائي ، وابو داوود ، وعليه اجماع الشيعة كما في مفتاح الكرامة وغيره[2] .

---

(١) شرح نهج البلاغة: لابن ابي الحديد، مجلد، ٣، ج ١٤، ص ٥٩٤، ٥٩٥، ط . دار الفكر بيروت .

(٢) مفتاح الكرامة للسيد محمد جواد العاملي.

دفن شهداء احد

جاء في البداية والنهاية عن عائشة انها قالت : خرجنا من السحر مخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى احد، نستطلع الخبر حتى اذا طلع الفجر اذا رجل محتجر يشتد ويقول :

لبِّث قليلا يشهد الهيجا حمل

قالت : فنظرنا فاذا أُسيد بن حضير، ثم مكثنا بعد ذلك فاذا بعير قد اقبل، عليه امرأة بين وسقين، قالت : فدنونا منها فاذا هي امرأة عمرو بن الجموح ، فقلنا لها : ما الخبر ؟ قالت : دفع الله عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم). . . واتخذ من المؤمنين شهداء. . . ورد الله الذين كفروا بغيظهم ، لم ينالوا خيرا . . وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قويا عزيزا .

ثم قالت لبعيرها : حل ، حل ، ثم نزلت ، فقلنا لها : ما هذا ؟ قالت : اخي وزوجي .

وعن ابن اسحاق انه قال : امر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بحمزة ان يدفن فدفن ودفن معه ابن اخته عبد الله بن جحش وامه اميمة بنت عبد المطلب، وكان قد مُثِّل به غير انه لم ينقر عن كبده .

وفي شرح النهج عن الواقدي : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لاهل القتلى احفروا واوسعوا واحسنوا وادفنوا الاثنين والثلاثة في القبر الواحد ، وقدموا اكثرهم قرآناً .

وأمر (صلى الله عليه وآله وسلم) بحمزة أن تمد بردته عليه وهو في القبر ، وكانت قصيرة ، فكانوا اذا خمروا بها رأسه بدت رجلاه ، واذا خمروا بها رجليه انكشف وجهه . فبكى المسلمون يومئذ فقالوا : يا رسول الله ، عم رسول الله يقتل فلا يوجد له ثوب . . !

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : بلى ـ انكم بارض جردية ذات احجار الى آخره . . . والذي نفسي بيده ، لا تصبر نفس على لاوائها[١] وشدتها الا كنت له شفيعاً ـ او قال شهيداً يوم القيامة ـ[٢] .

ونزل في قبر حمزة علي (عليه السلام) والزبير، وابو بكر، وعمر، ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جالس على حفرته .

وفي رواية شرح النهج عن الواقدي : مرَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمصعب بن عمير وهو مقتول ، مسجى ببردة خلقة ، فقال : لقد رأيتك بمكة وما بها احد ارق حلة ولا احسن لمة منك ، ثم انت اليوم اشعث الرأس في هذه البردة . ثم امر به فقبر ونزل في قبره اخوه ابو الروم ، وعامر بن ربيعة ، وسويبطة بن عمرو .

---

(١) العسر الشديد .
(٢) قال الواقدي : وأتي عبد الرحمن بن عوف في خلافة عثمان بثياب وطعام فقال: لكن حمزة لم يوجد له كفن ، ومصعب بن عمير لم يوجد له كفن وكانا خيراً مني .

ثم ان الناس أو عامتهم حملوا قتلاهم الى المدينة ، فدفن بالبقيع منهم عدة، عند دار زيد بن ثابت ، ودفن بعضهم ببني سلمة ، فنادى منادي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ردوا القتلى الى مضاجعهم . وكان الناس قد دفنوا قتلاهم فلم يرد أحد أحداً منهم الا رجلا واحداً أدركه المنادي ولم يدفن ، وهو شماس بن عثمان المخزومي ، كان قد حمل الى المدينة وبه رمق فادخل على عائشة فقالت ام سلمة : ابن عمي يُدخل الى غيري ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) احملوه الى ام سلمة فحملوه اليها، فمات عندها فامر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يرد الى أُحد ويدفن هناك كما هو في ثيابه التي مات فيها . وكان قد مكث يوما وليلة ولم يذق شيئاً .

وفي البداية والنهاية عن ابن عباس قال: امر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم احد بالشهداء ان ينزع عنهم الحديد والجلود وقال: ادفنوهم بدمائهم وثيابهم . وفي رواية أنه قال: انا شهيد على هؤلاء أنه ما من جريح يجرح في سبيل الله الا والله يبعثه يوم القيامة يدمي جرحه ، اللون لون دم، والريح ريح مسك .

وفي البداية والنهاية ايضا عن جابر بن عبد الله الانصاري قال: لما أجرى معاوية العين عند قتلى احد، نادى مناديه : من كان له قتيل باحد فليشهد . قال جابر: فحفرنا عنهم ، فوجدت ابي في قبره كأنما هو نائم على هيئته، ووجدنا جاره في قبره عمرو بن الجموح ويده على جرحه ، فازيلت عنه فانبعث جرحه دما، ويقال انه فاح من قبورهم مثل ريح المسك رضي الله عنهم اجمعين، وذلك بعد ست واربعين سنة من يوم دفنوا .

اقـول : الـذي يـظهـر من الـروايـة التي وردت من أن منـادي النبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) نـادى : » رُدوا القتـلى الى مضـاجعهم « ومن الـروايات الكثيـرة المذكـورة في مظانها والتي سنـذكـر بعضهـا كـما عن ائمـة اهـل البيت (عليهم السلام) ان نقـل الاموات الى غـير المشاهـد المشـرفـة والمـواضع المحتـرمة مكـروه لا محرم ، ويـدل على ذلـك ان النبي (صلى الله عليـه وآله وسلم) حينـما نادى منـاديه بـان تدفن قتـلى احد في امـاكنهـا التي قتلت فيهـا ، لم يـرد احـد احـداً سـوى شمـاس بن عثمـان المخـزومي كـما اسلفنا .

ولـو كان النقـل محـرمـا لأصـر النبي (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) في نهيـه ولأرجع المسلمـون القتلى الى احـد امتثالا لأمـر النبي (صلى الله عليـه وآله وسلم) ، وسكوتـه عن ذلك قـرينة عـلى ان نقل الامـوات من اماكنهـا التي ماتت فيها مكروه لا محرم .

وقد روي استحباب دفن الشهيد حيث قتل والله العالم .

وفي كتـاب الوسـائل للحـر العامـلي عن هارون بن خـارجـة : قـال : سمعت ابـا عبـد الله (عليـه السـلام) يقـول « من دفن في الحـرم أمن من الفزع الاكبر » فقلت لـه : من بر النـاس وفاجـرهـم ؟ قال : من بـر الناس وفاجرهم .

وفي الـوسائـل ايضا عن محمـد بن الحسن في المصبـاح ، قـال : لا ينقـل الميت من بلد الى بلد ، فـان نقـل الى المشـاهـد كـان فيـه فضـل مـا لم يـدفن وقد رويت بجواز نقله ـ بعد الدفن ـ الى بعض المشاهد رواية .

وقـال في النهايـة فاذا دفن في مـوضع فـلا يجوز تحـويله من موضعـه وقد وردت رواية بجواز نقله الى بعض مشاهد الأئمة (عليهم السلام) .

وقال الشهيد في الذكرى قال المفيد في المسائل الغرية : جاء حديث يدل على رخصته في نقل الميت الى بعض مشاهد آل الرسول اذاأوصى الميت بذلك .

وفي الوسائل أيضاً عن الصادق (عليه السلام) قال : ان الله اوحى الى موسى بن عمران ان أخرج عظام يوسف من مصر . . الى ان قال فاستخرجه من شاطىء النيل في صندوق مرمر، فلما اخرجه طلع الفجر ـ أو القمر ـ فحمله الى الشام . وفي رواية : الى الارض المقدسة بالشام .

وفي منهاج الصالحين للسيد الخوئي : يكره نقل الميت من بلد موته الى بلد آخر إلا المشاهد المشرفة ، والمواضع المحترمة ، فانه يستحب ولا سيما الغري والحائر. وفي بعض الروايات أن من خواص الاول اسقاط عذاب القبر ومحاسبة منكر ونكير .



بعد معركة احد

جاء في شرح النهج عن الواقدي انه قال: لما فرغ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من دفن قتلى أُحد دعا بفرسه فركبه ، وخرج المسلمون حوله عامتهم جرحى ، ولا مثل بني سلمة ، وبني عبد الاشهل. فلما كانوا باصل الحرة قال (صلى الله عليه وآله وسلم) اصطفوا ، فاصطفت الرجال صفين ، وخلفهم النساء وعدتهن اربع عشرة امرأة فرفع (صلى الله عليه وآله وسلم) يديه فدعا وقال :

« اللهمَّ لك الحمد كله ، اللهمَّ لا قابض لما بسطت ، ولا مانع لما اعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا هادي لمن اضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا مقرب لما باعدت ، ولا مباعد لما قربت . اللهمَّ اني اسألك من بركتك ورحمتك ، وفضلك وعافيتك . اللهمَّ إني اسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول .

اللهمَّ اني اسألك الأمن يوم الخوف ، والغناء يوم الفاقة عائذاً بك .
اللهمَّ اعوذ بك من شر ما اعطيت ، ومن شر ما منعت .

اللهمَّ توفنا مسلمين .
اللهمَّ حبب الينا الايمان وزينه في قلوبنا ، وكره الينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين .

اللهمَّ عذب كفرة اهـل الكتاب الـذين يكذبـون رسلك ويصدون عن سبيلك . اللهمَّ انزل عليهم رجسك وعذابك إله الحق آمين » .

وعن الـواقدي ايضـا انه قـال : واقبل رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) حتى نـزل ببني حارثـة يميناً حتى طلع عـلى بني عبـد الاشهـل ، وهم يبكون على قتلاهم فقال : لكن حمزة لا بواكي له .

فخـرج النساء ينـظرن الى سـلامـة رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) . فخـرجت اليه ام عـامر الأشهلية وتركت النـوح . فنظرت اليـه وعليه الدرع كما هي . فقالت : كل مصيبة بعدك جلل .

وخرجت كبشة بنت عتبـة بن معاويـة بن الخزرج ، تعـدو نحو رسـول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) وهو واقف عـلى فرسـه ، وسعـد بن معـاذ آخـذ بعنان فـرسه فقـال سعد : يـا رسول الله أُمي . فقـال (صلى الله عليـه وآله وسلم) : مرحبا بها .

فـدنت حتى تأملتـه وقـالت : اذ رأيتـك سـالما فقـد اشفت المصيبـة . فعـزاها بعمـر بن معـاذ ثم قـال : يـا ام سعـد ابشـري وبشـرِّي اهليهـم ان قتـلاهـم قد تـرافقوا في الجنـة جميعا ، وهـم اثنـا عشر رجـلا ، وقد شفعـوا في اهليهم . فقالت : رضينا يا رسول الله ومن يبكي عليهم بعد هذا !

ثم قـالت : يـا رسـول الله ادع الله لمن خلفـوا . فقـال : اللهمَّ اذهب حزن قلوبهم ، واجر مصيبتهم ، واحسن الخلف على من خلفوا .

ثم قـال لسعد بن معـاذ : حل أبـا عمرو الـدابة ، فحـل الفرس وتبعـه النـاس فقال : يـا ابا عمـرو ان الجـراح في اهـل دارك فـاشيـة ، وليس منهم مجـروح الا يأتي يـوم القيامـة جرحـه كأغـرز ما كـان اللون لون دم والـريـح

ريـح مسك . فمن كـان مجروحـا فليقـر في داره وليـداو جـرحـه ، ولا تبلغ معي بيتي عـزمة مني فنـادى فيهم سعد : عـزمـة من رسـول الله (صـلى الله عليـه وآله وسلم) أن لا يتبعـه جريـح من بني عبد الأشهـل[1] فتخلف كـل مجـروح وبـاتـوا يـوقـدون النيـران ويـداوون الجـراح ، وان فيهم لثـلاثـين جريحاً .

ومضى سعـد بن معاذ مـع رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) الى بيتـه ثم رجع الى نسـائه فسـاقهن ، فلم تبق امرأة الا جـاء بها الى بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فبكين بين المغرب والعشاء. وقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين فرغ من النوم لثلث الليل، فسمع البكاء فقال : ما هذا ؟ قيل: نساء الانصار يبكين على حمزة .

فقـال (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) : رضي الله تعـالى عنكن وعن اولادكن ، وامر النساء أن يرجعن الى منازلهن .

قـالت ام سعد بن معـاذ فرجعنـا الى بيوتنـا بعد ليـل ، ومعنا رجـالنا ، فما بكت منا امرأة قط الا بدأت بحمزة الى يومنا هذا .

ذكـر الـواقـدي : أنـه كـان رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) يـزور قتلى أُحـد في كل حـول ، واذا الفوه بـالشعب رفـع صـوتـه ويقـول : « السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » .

---

(١) ان رسول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) نبي الـرحمة صـاحب القلب الكبير العطوف انما عـزم على الجرحى من اصحابـه عدم مـرافقته الى بيتـه شفقة بهم ورحمة عليهم لانهم كانوا مثخنين بالجراح . والله العالم .

وكانت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تأتيهم بين اليومين والثلاثة فتبكي عندهم وتدعو .

ومرَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على قبر مصعب بن عمير فوقف عليه ودعا وقرأ : ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا** ﴾ .

ثم قال : ان هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فآتوهم فزوروهم وسلموا عليهم ، والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم احد الى يوم القيامة الا ردوا عليه .[1] .

وعن الواقدي كما في شرح النهج : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل ان ينصرف الى المدينة ، ومن يأتينا بخبر سعد بن الربيع ؟ فاني رأيته واشار بيده الى ناحية من الوادي ـ قد شُرِّع فيه اثنا عشر سناناً ، فخرج محمد بن مسلمة نحو تلك الناحية ، قال : فانا توسطت القتلى لتعرفهم اذ مررت به صريعا في الوادي ، فناديته فلم يجب ثم قلت : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ارسلني اليك قال : فتنفس كما يتنفس الطير ثم قال : وان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لحي ؟ . قلت : نعم ، وقد اخبرنا انه شرع لك اثنا عشر سنانا . فقال : طعنت اثنتي عشرة طعنة كلها اجافتني ،[2]ابلغ قومك الانصار السلام وقل لهم الله الله وما عاهدتم عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليلة العقبة ، والله ما لكم عذر عند الله ان خلص الى

(١) راجع كتاب المغازي للواقدي وكتاب شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ، والبداية والنهاية لابن كثير وقد ذكر ما ذكرناه اهل التاريخ واصحاب السير.

(٢) اجافه الطعن : وصل الى جوفه .

نبيكم ومنكم عين تطرف. فلم ارم[1] من عنده حتى مات . فرجعت الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاخبرته فرأيته استقبل القبلة رافعاً يديه يقول: اللهمَّ الق سعد بن الربيع وانت عنه راض .

وخرجت السمداء بنت قيس احدى نساء بني دينار وقد اصيب ابناها مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) باحد، النعمان بن عبد عمرو وسليم بن الحارث ـ فلما نعيا لها قالت : فما فعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قالوا : بخير هو بحمد الله صالح على ما تحبين ، فقالت: أرونيه انظر اليه ؟ فاشاراوا لها اليه ، فقالت: كل مصيبة بعدك يا رسول الله جلل .

وخرجت تسوق بابنيها بعيرا، فلقيتها عائشة فقالت : ما وراءك ؟ فاخبرتها . قالت : فمن هؤلاء معك ؟ قالت : ابناي . . حل حل ـ تخاطب البعير ـ ومشت تحملها الى القبر .

(١) في الاصل : « فلم امر » .



سبب غزوة حمراء الاسد

بعد انتهاء معركة احد، وبعد ما دفن المسلمون القتلى، وبعدما طارت قريش بنصرها سرورا ، وحسبت نفسها انها انتقمت لقتلاها في بدر اشد الانتقام، حتى صاح ابو سفيان : يوم بيوم بدر والموعد العام المقبل. وانصرف المسلمون الى المدينة يحيطون برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مخلفين وراءهم سبعين قتيلا من المسلمين الابطال، من مهاجرين وانصار.

توجه المسلمون الى المدينة يحز في نفوسهم الألم لما اصابهم من انتكاسة في المعركة . . هزيمة بعد نصر . . خسارة بعد ظفر لا ظفر مثله . . وما كان المسلمون المجاهدون المملوؤ ن بالشجاعة والايمان ليهزمون امام قريش لولا عصيان اكثر الرماة الذين كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد وضعهم فوق جبل احد حامية لظهور المسلمين، وشدد عليهم الأمر أن لا يتركوا مواقعهم كما اسلفنا .

نظر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نظرته الحكيمة واخذ يفكر بفكره الثاقب، فتراءى له سلطان الاسلام الذي كان قد استقر بيثرب ولم يبق لاحد أن ينازع فيه . . وهذا السلطان يوشك أن يتزعزع بعد معركة احد، ولا بد للمنافقين والمشركين واليهود من اهل يثرب من اظهار الشماتة والسرور بهزيمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

واصحابه . وهكذا كان فقد جعل المنافقون يشمتون ويسرون بما اصاب المسلمين ، ويظهرون اقبح القول واظهرت اليهود القول السيء وقالوا : ما محمد الا طالب ملك ، ما أُصيب هكذا نبي قط في بدنه وأُصيب في اصحابه . وجعل المنافقون يخذلون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه ويأمرونهم بالتفرق عنه ويقولون لهم : لو كان من قتل منكم عندنا ما قتل . وثارت ثائرة المنافقين واعداء الاسلام كعبد الله بن ابي بن سلول الذي كان قد خرج على الجماعة وعاد من احد ولم يشترك في القتال بعد ان تذرع بحجة واهية ، وهي أن محمداً (صلى الله عليه وآله)لم يسمع رأيه عندما اشار عليه بالتحصن بالمدينة .

لكن محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) القائد الرسول والمفكر العظيم ، والملتفت للامور لا يرضى ان تكون معركة احد العامل الاكبر في توهين عزيمة المسلمين وتركهم لليأس والاحزان ، وتتكون في نفوسهم أنها المعركة الاخيرة بينهم وبين قريش .

فلو بقيت هزيمة احد الكلمة الاخيرة بين المسلمين وقريش لهان امر محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه على العرب ، ولتضعضع سلطان الاسلام بيثرب ، واصبح المسلمون عرضة لاستخفاف الاعداء بهم ، واتخذ اعداؤهم من هزيمتهم دعاية كبرى للسخرية والاستهزاء ونفث سمومهم ضد رسالة الاسلام المقدسة .

ولئن لم يستدرك محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) ـ وهو الرسول الالهي الموعود بالنصر من الباري سبحانه ـ الموقف والاسراع في مطاردة العدو لجاءت النتيجة عكس مصلحة الاسلام باجتراء المشركين وعباد الاوثان على دين الله وعلى الرسول .

وعلى هذا لا بد لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من أن يقوم بضربة جريئة تبعث الطمأنينة والعزم في نفوس المسلمين ، وتحسن معنوياتهم ، وترد كيد الكائدين ، وتدخل الرعب والرهبة في قلوب المنافقين ، والمشركين وتعيد سلطان الإسلام بيثرب كما كان عزيزاً قوياً .

ولاجل هذا كله ، نرى ان الرسول الاعظم أمر مؤذنه ثاني يوم احد ـ وهو يوم الاحد لست عشرة ليلة مضت من شوال السنة الثالثة الهجرية ـ ان يؤذن بالمسلمين ، يستنفرهم لمطاردة العدو، على أن لا يخرج للقتال الا من حضر المعركة يوم احد .

وخرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمون على ما بهم من جراح يطلبون العدو حتى بلغوا حمراء الاسد. وكان ابو سفيان واصحابه بالروحاء، فوقع في روعهم من ان المسلمين جاؤوا من المدينة بمدد جديد فخافوا لقاءهم .

عن ابن اسحاق قوله : « وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عيبة[1]رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عليه شيئاً كان بها ـ ومعبد يومئذ مشرك ـ وقد مر برسول الله . فقال : يا محمد، اما والله لقد عز علينا ما اصابك في اصحابك ، ولوددنا ان الله كان أعفاك فيهم ! ثم خرج من عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بحمراء الاسد[2]حتى لقي ابا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء، وقد أجمعوا على الرجعة الى رسول الله (صلى الله عليه وآله

---

(١) عيبة الرجل: موضع سره.

(٢) حمراء الاسد: وهي من المدينة على ثمانية اميال .

وسلم) واصحابه ، وقالوا : اصبنا حدَّ اصحابه وقادتهم ، واشرافهم ثم رجعنا قبل ان نستأصلهم ، لنكرن على بقيتهم ، فلنفرغن منهم . فلما رأى ابو سفيان معبداً قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في اصحابه يطلبكم في جمع لم ار مثله قط ، يتحرقون عليكم تحرقا ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم ، وندموا على ما صنعوا فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط .

قال ابو سفيان : ويلك ما تقول ؟ قال : والله ما اراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل .

قال - ابو سفيان - : فوالله لقد اجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم ، قال معبد : فاني انهاك عن ذلك فوالله لقد حملني ما رأيت على ان قلت فيه ابياتاً من شعر ، قال : وماذا قلت ؟ فانشده ابياتا منها :

كادت تهد من الاصوات راحلتي   اذ سالت الارض بالجرد الابابيل

قال : فثنى ذلك ابا سفيان ومن معه .

خلفيات احد

عندما رجع المشركون من احد الى مكة وقد اسكرتهم نشوة النصر وملأت نفوسهم غبطة وسرورا ، راحوا يتيهون بخيلائهم مرددين : لقد زال عن قريش العار الذي لحقها بعد هزيمة بدر .

عاد المشركون الى مكة يتقدمهم رأس الشرك والضلال ابو سفيان بن حرب الذي لم يلبث حين بلغ مكة أن قصد الكعبة ليؤدي الى صنمه الكبير ـ هبل ـ الشكر والثناء على ما احرزه من النصر . وقبل ان يدخل الى بيته حلق رأسه وتطيب لأنه كان قد نذر أن لا يمس النساء الا بعد ان يثأر من محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لطواغيت قريش الذين قتلوا يوم بدر .

اما المسلمون ففد وصلوا الى المدينة ، فوجدوا المنافقين والمشركين واليهود قد انتهزوا فرصة هزيمة المسلمين باحد ، وهبُّوا لاثارة الفتن ونجحوا في نفث سمومهم باستمالة ضعفاء الايمان فتنكر للمسلمين ناس كثير، وان بقي سلطان الأسلام في المدينة هو الاعلى .

وخلاصة القول : إن هزيمة احد فتحت ابوابا كثيرة للاعداء عند قبائل العرب وغيرهم من المشركين الذين كان الرعب قد دخل نفوسهم من هيبة محمد واصحابه ويسرت لهم طرق التجمع والانطلاق للدعاية ضد المسلمين ومناوأتهم .



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سرية ابي سلمة

يـذكر المؤ رخـون واصحاب السـير انه بعـد مضي شهرين من معـركـة احـد تسربت الاخبـار الى الرسـول الكريم (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) من أن طليحـة ، وسلمة ابني خـويلد، وكانـا على رأس بني اسـد، يريـدان مهـاجمة المـدينة وحـرب محمد (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم)في عقـر داره، لـلانتقام منـه ، ولجمع الغنـائم من اموال المسلمـين من ماشيـة وغيرهـا ممـا يقـدرون على تحصيله، ظنـا منهم أن محمداً واصحـابه قـد اصـابهم الاعيـاء والوهن من اثر هزيمة احد.

فلما بلغـه (صلى الله عليـه وآله وسلم) الخبـر دعـا اليـه ابـا سلمـة بن عبد الاسد، وعقد له لواء سرية عدتها مائة وخمسون .

جاء في البدايـة والنهايـة عن الواقـدي أن ابا سلمـة شهد أحـدا فجرح جرحا على عضده، فاقام شهرا يـداوى، فلما كان المحـرم على رأس خمسـة وثلاثين شهـراً من الهجرة ، دعـاه رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) فقـال: اخرج في هـذه السـريـة، فقـد استعملتـك عليهـا وعقـد لـه لـواءاً وقـال: سـر حتى تـأتي ارض بني اسـد فـأغـر عليهم ، واوصـاه بتقـوى الله وبمن معه من المسلمين خيـرا . وخرج معـه في تلك السريـة خمسون ومـائة، فـانتهى الى أدنى قطن وهـو مـاء لبني اسـد، وكـان هنـاك طليحـة الاسـدي

واخـوه سلمة ابنـا خويلد، وقـد جمعا حلفـاء من بني اسـد ليقصـدوا حـرب النبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلـم) فجاء رجـل منهم الى النبي (صـلى الله عليـه وآله وسلـم) فـاخبره بمـا تمالأوا عليـه فبعث معه ابـا سلمة في سـريتـه هذه .

فلما انتهـوا الى ارضهم تفـرقـوا وتـركـوا نعـما كثيـرا لهم من الابـل والغنم ، فـاخذ ذلـك كله ابو سلمـة ، واسر منهم ثـلاثة ممـاليـك ، واقبـل راجعاً الى المدينـة ، فاعـطى ذلك الـرجل الاسـدي الذي دلهم نصيبـا وافراً من المغنم ، واخـرج صفي[1]النبي (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) عبـدا وخمس الغنيمة وقسمها بين اصحابه ثم قدم المدينة .[2] .

---

(١) الصفي ، والصفية من الغنيمة : ما اختاره الرئيس لنفسه .

(٢) البداية والنهاية ، لابن كثير ، ج ٤ ، ص ٦١ ، ٦٢ .

غزوة بئر معونة

ذكر الواقدي في مغازيه :

أنـه في صفر عـلى رأس ستـة وثـلاثـين شهـراً من الهجـرة كانت غـزوة بئـر معـونة وأنـه كان من امـرها : أن قـدم عامـر بن مالـك ـ ابو البـراء ملاعب الاسنة ـ[1] على رسـول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فـاهدى لـرسول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) فـرسـين وراحلتـين ، فقـال رسـول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : لا أقبل هدية مشرك .

فعـرض رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) عليه الاسـلام ، فلم يسلم ولم يبعـد وقال : يـا محمد ، اني ارى امـرك هذا امـراً حسنـا شريفاً ، وقـومي خلفي ، فلو انك بعثت نفـرا من اصحابـك معي لرجـوت ان يجيبوا دعوتك ويتبعوا امرك ، فان هم اتبعوك فما اعز امرك .

فقـال رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) : اني اخـاف عليهم اهـل نجد . فقـال عامـر لا تخف عليهم ، انا لهم جـار أن يعرض لهم احـد من اهل نجد .

---

(١) ملاعب الاسنة ، سمي يوم سوبان وهو يوم كانت فيه وقيعة في ايام العرب بين قيس وتميم ، وقد فرعنه اخوه يومئذ فقال شاعرهم :

فـررت واسلمت ابن امـك عـامـرا يـلاعب اطراف الـوشيـج المـزعـزع

كان من الانصار سبعـون رجلا شببة يسمون القـراء[1] فبعثهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فخرجوا فاصيبوا في بئر معونة ـ ويقال كانوا اربعين ـ فكتب رسول الله معهم كتابا ، وأمَّر على اصحابه المنذر بن عمرو الساعدي فخرجوا حتى كانـوا على بئـر معونـة[2]. فلما نزلـوا عليها عسكـروا بها وسـرحوا ظهـرهم ، وقدمـوا حرام بن ملحـان بكتاب رسـول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) الى عـامـر بن الـطفيـل في رجـال من بني عـامر. فلما انتهى حـرام اليهـم لم يقرأوا الكتـاب ووثب عـامـر بن الـطفيـل على حرام فقتله ، واستصرخ عليهم بني عامر فابوا .

وقـد كان عـامر بن مـالك ابـو براء خـرج قبل القـوم الى نـاحيـة نجـد فـاخبرهم أنـه قد اجـار اصحاب محمـد ، فلا يعـرضوا لهم ، فقـالـوا : لن يخفر جوار ابي براء .

وابت عـامر أن تنفـر مع عـامر بن الـطفيل ، فلما ابت عليـه بنـو عـامـر استصـرخ عليهم قبائـل من سُلَيم ـ عصية ورعـلا ـ فنفروا معـه ورأسـوه ، فقـال عامـر بن الطفيـل : احلف بالله مـا أقبل هـذا وحـده ، فـاتَّبعـوا اثـره حتى وجـدوا القوم قـد استبـطؤا صـاحبهم فـاقبلوا في إثـره ، فلقيهم القـوم والمنذر معهم ، فاحاطت بنو عـامر بـالقوم وكـاثروهم ، فقـاتل القـوم حتى قُتـل اصحـاب رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) وبقي المنـذر بن

---

(١) كان هؤلاء القراء اذ أمسوا أتوا ناحية من المدينة فتدارسوا وصلوا حتى اذا كان وجه الصبح استعذبوا من الماء وحطبوا من الحطب فجاؤوا به الى حجـر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بيوته .

(٢) بئر معونة : وهو مـاء من مياه بني سليم ، وهـو بين ارض عـامر وبني سليم ، وكلا البلدين يعد منه .

عمـرو فقالـوا له : ان شئت آمنّـاك فقال : لن اعـطي بيـدي ولن اقبـل لكم امانا حتى آتي مقتل حرام ، ثم بريء مني جواركم .

فـآمنوه حتى اتى مصـرع حرام ثم بـرئـوا إليـه من جـوارهم ثم قـاتلهم حتى قتل[1] .

وذكر الطبري في تاريخـه انه كـان في سرح اصحـاب رسول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) ، عمـرو بن أُمية الضمـري ، ورجـل من الانصـار احـد بني عمرو بن عـوف ، فلم ينبئهـما بمصـاب اصحـابهـما الا الـطيرُ تحـوم عـلى العسكر ، فقـالا : والله ان لهذه الـطير لشأنـا ؟ ! فاقبـلا لينـظرا إليـه ، فـاذا القوم في دمـائهم ، واذا الخيل التي اصـابتهم واقفة . فقـال الانصاري لعمـرو بن أمية : مـاذا ترى؟ قـال : أرى ان نلحق برسـول الله (صـلى الله عليـه وآله وسلم) فنخبره الخبر ، فقـال الانصـاري : لكني مـا كنت لأرغب بنفسي عن مـوطن قتـل فيـه المنـذر بن عمـرو ومـا كنت لتخبـرني عنـه الـرجال . ثم قـاتل القـوم حتى قتـل ، واخـذوا عمـرو بن أميـة اسيـرا ، فلما اخبرهم انه من مضر ، اطلقه عـامر بن الـطفيل وجـزَّ ناصيتـه ، واعتقه عن رقبة زعم انها كانت على أُمه .

فخـرج عمرو بن أُميـة حتى اذا كان بـالقـرقـرة من صـدر قنـاة ، اقبـل رجلان من بني عامر في ظل هـو فيه ـ وكـان مع العـامريَّـينّ عقد من رسـول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) وجـوار لم يعلم بـه عمـرو بن اميـة ـ وقـد سـألهما حـين نزلا : ممن انتـما ؟ فقالا : من بني عـامر ، فـامهلهما حتى اذا نـاما

---

(١) المغازي للواقدي : ج ١ ، ص ٣٤٦ .

عدا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثؤرة[1] من بني عامر بما اصابوا من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فلما قدم عمرو بن أُمية على رسول الله (صلى الله عليه آله وسلم) اخبره الخبر فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : لقد قتلت قتيلين لأدِينّهما . ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : هذا عمل ابي براء، قد كنت لهذا كارها متخوفا . فبلغ ذلك ابا براء فشق عليه اخفار عامر اياه ، وما اصاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بسببه وجواره[2] .

(١) الثؤرة : اي اخذ الثأر.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٢ ، ص ٥٤٧ .

سرية عبد الله بن أنَيس

بعـد هزيمـة المسلمين في احـد اخذ كـل متنفذ او شيـخ قبيلة من العرب يستعـد لغزو محمـد (صلى الله عليـه وآله وسلم) واصحـابـه والاغـارة على المـدينة ليفـوز بالسمعـة والجاه وتكـون له الغنيمـة لاعتقاده ان المسلمـين لا يزالون مضعضعين من بعد معركة احد .

واخـذ الغـرور من الاعـراب وزيـن لهم الـشيـطان حـب الـذات والانتقام فقامـوا يجمعون الجمـوع للاغـارة على محمد (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) ولولم يتعرض لهم بـدعوتهم الى الاسـلام وتـرك عبـادة الاوثـان . لأن حب الفتـك والغـزو والغنيمـة ، لا تـزال هـذه الامـور متغلغلة في نفوسهم ، وهي التي جعلتهم لا يفكرون بشيء سوى الغزو والتسلط .

ذكـر هيكل وغيـره من المؤ رخين واصحـاب السير: انـه اتصل بمحمـد (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) ان خـالـد بن سفيـان بن نبيـح الهـذلي مقيم بمكـان يـدعى نخلة ـ او بعـرنـة ـ وأنـه يجمـع النـاس ويستعـد لغـزوه ومحاربته .

فـدعـا رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) عبـد الله بن أُنيس وبعثه يستطلع الخبر حتى يقف على جليته .

وسـار عبد الله حتى لقي خـالـدا وهـو في ظعن يـرتـاد لهن منـزلا . فلما

انتهى اليه سأله خالد : من الرجل ؟ فاجابه : انا رجل من العرب سمع بك وبجمعك فجاءك لذلك . فلم يُخف خالد أنه يجمع الجمع ليغزو المدينة على غرة من اهلها . ولما رآه عبد الله في عزلة من الرجال وليس معه الا اولئك النسوة استدرجه للمسير معه فسارا جنبا الى جنب حتى اذا امكنته منه الفرصة حمل عليه بالسيف فقتله ، ثم ترك ظعائنه[1] منكبات عليه يبكينه ويندبنه .

وعاد الى المدينة حتى قدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاخبره الخبر .

وهدأت بنو لحيان من هذيل بعد موت زعيمها زمنا ثم فكرت ان تحتال لتثأر له .

في هذا الحين وفد رهط من قبيلة تجاورهم الى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يقولون له : ان فينا اسلاما فابعث معنا نفراً من اصحابك يعلموننا شرائعه ويقرؤ ننا القرآن .

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يبعث من اصحابه كلما دعي الى ذلك أو طلب منه ، ليؤدوا هذه المهمة الدينية السامية . وليدعوا الناس الى الهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وليكون هؤلاء الدعاة عونا لمحمد واصحابه على خصومهم واعدائهم .

لذلك بعث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ستة من اصحابه

---

(١) الظعينة : الزوجة او المرأة ما دامت في الهودج ، او عموما يقال: هؤلاء ظعائنه ، اي نساؤه .

خـرجـوا مـع الـرهط وسـاروا معهم . فلما كـانـوا جميعـا عـلى مـاء لهـذيـل بالحجاز بناحية تـدعى الرجيـع ، غدروا بهم واستصـرخوا عليهم هـذيلا . فكانت غزوة الرجيع .



غزوة الرجيع

ذكر الواقدي في مغازيه : أنه في صفر على رأسه ستة وثلاثين شهراً من الهجرة النبوية كانت غزوة الرجيع ، وسببها أنه لما قتل سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي مشت بنو لحيان الى عضل والقارة[1] فجعلوا لهم فرائض على ان يقدموا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيكلموه ، فيخرج اليهم نفراً من اصحابه يدعوهم الى الاسلام . ثم قالوا : نقتل من قتل صاحبنا ونخرج بسائرهم الى قريش بمكة فنصيب بهم ثمناً ، فانهم ليس بشيء احب اليهم من أن يؤتوا بواحد من اصحاب محمد ، يمثلون به ويقتلونه بمن قتل منهم ببدر .

فقدم سبعة نفر من عضل والقارة ـ وهما حيان من خزيمة ـ مقرين بالاسلام ، فقالوا لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ان فينا اسلاما فاشياً ، فابعث معنا نفراً من اصحابك يقرئوننا القرآن ويفقهوننا في الاسلام ، فبعث معهم سبعة نفر : مرثد بن ابي مرثد الغنوي ، وخالد بن ابي البكير ، وعبد الله بن طارق البلوي ، واخاه لامه معتب بن عبيد ، وخبيب بن عدي ، وزيد ابن الدثنة ، وعاصم بن ثابت ، ويقال كانوا عشرة واميرهم مرثد بن ابي مرثد . ويقال اميرهم عاصم بن ثابت .

---

(١) قال ابن هشام : عضل والقارة من الهون بن خزيمة بن مدركه ، (السيرة النبوية ، ج ، ٣ ، ص ١٧٨ .

فخرجوا حتى اذا كانوا بماء لهذيل ـ يقال له الرجيع ـ خرج النفر فاستصرخوا عليهم اصحابهم الذين بعثهم اللحيانيون ، فلم يرع اصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الا بالقوم مائة رام وفي ايديهم السيوف فاخترط اصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اسيافهم ثم قاموا ، فقال العدو : ما نريد قتالكم ، وما نريد إلا نصيب منكم من اهل مكة ثمناً ، ولكم عهد الله وميثاقه لا نقتلكم .

فاما خبيب بن عدي ، وزيد بن الدثنة ، وعبد الله بن طارق ، فاستأسروا وقال خبيب : ان لي عند القوم يداً .

واما عاصم بن ثابت ، ومرثد ، وخالد ، ومعتب فابوا أن يقبلوا جوارهم ولا امانهم . وقال عاصم بن ثابت : اني نذرت ألا أقبل جوار مشرك ابدا ، وجعل يقاتلهم فرماهم بالنبل حتى فنيت نبله ، ثم طاعنهم بالرمح حتى كسر رمحه ، وبقي السيف فقال : اللهمَّ حميت دينك اول نهاري فاحم لي لحمي آخره ـ وكانوا يجردون كل من قُتل من اصحابه . فكسر غمد سيفه ثم قاتل حتى قتل ، وقد جرح رجلين وقتل واحدا .

وكانت سلافة بنت سعد بن الشُهَيد قد قتل زوجها وبنوها اربعة ، قد كان عاصم قتل منهم اثنين ، الحارث ، ومسافعا . فنذرت لئن امكنها الله منه ان تشرب في قحف[1] رأسه الخمر . وجعلت لمن جاء برأس عاصم مائة ناقة . وقد علمت ذلك العرب وعلمته بنو لحيان فارادوا أن يحتزوا رأس عاصم ليذهبوا به الى سلافة بنت سعد ليأخذوا منها مائة

(١) القحف : العظم الذي فوق الدماغ .

ناقة[1] فبعث الله تعالى عليهم الدبر فحمته فلم يدن اليه احد الا لدغت وجهه، وجاء منها شيء كثير لا طاقة لاحد به . فقالوا: دعوه الى الليل، فانه اذا جاء الليل ذهب عنه الدبر[2] فلما جاء الليل بعث الله عليه سيلا . فاحتمله فذهب به فلم يصلوا اليه .

وكان عاصم نذر ألا يمس مشركا ولا يمسه مشرك تنجساً به ، فمنعه الله عز وجل ان يمسوه بعد وفاته كما امتنع في حياته .

وقاتل معتب بن عبيد حتى قتل وخرجوا بخبيب، وعبد الله بن طارق، وزيد بن الدثنة حتى اذا كانوا بمر الظهران ، وهم موثقون باوتار قسيهم ، قال عبد الله بن طارق : هذا اول الغدر! والله لا اصاحبهم ، ان لي في هؤلاء لاسوة ـ اي القتلى من رفاقه ـ ونزع يده من رباطه ثم اخذ سيفه فانحازوا عنه فجعل يشد فيهم وينفرجون عنه ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه .

وخرجوا بخبيب بن عدي وزيد بن الدثنة حتى قدموا بهما مكة ، فاما خبيب فابتاعه حجير بن ابي اهاب بثمانين مثقال ذهب[3] ليقتله

---

(١) ان المائة ناقة هي التي حملت الاعراب على مهاجمة عاصماً واصحابه لعلهم يقتلونه ويفوزون بالجعالة . وقد اكب الله تعالى كيدهم في نحورهم ،فحمته الدبر نهاراً واخذه السيل ليلا.

(٢) الدبر: جماعة النحل والزنابير، الواحدة دبره .

(٣) ويقال اشتراه بخمسين فريضة وهي البعير المأخوذ في الزكاة وقد سمي فريضة لانه فرض واجب على رب المال ثم اتسع فيه حتى سمي البعير فريضة في غير الزكاة، شرح المغازي للواقدي ، ويقال اشترته ابنة الحارث بن عامر بن نوفل بمائة من الابل .

باخيه الحارث الذي قتل يوم بدر[١].

وفي رواية ابن هشام عن ابن اسحاق أنه قال: خرجوا بخبيب، حتى اذا جاؤوا به الى التنعيم ليصلبوه، قال لهم: ان رأيتم ان تدعوني حتى اركع ركعتين فافعلوا، قالوا: دونك فاركع. فركع ركعتين اتمهما واحسنهما، ثم اقبل على القوم فقال: أما والله لولا ان تظنوا أني طولت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة. قال: فكان خبيب بن عدي أول من سن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين.

قال: ثم رفعوه على خشبة، فلما اوثقوه، قال: اللهمَّ انا قد بلغنا رسالة رسولك، فبلغه الغداة ما يصنع بنا..

ثم قال: اللهمَّ احصهم عددا، واقتلهم بددا[٢]ولا تغادر منهم احداً. ثم قتلوه رحمه الله.

وفي رواية الواقدي ان قريشاً حينما ارادت قتل خبيب دعت ابناء من قتل ببدر، فوجدوهم اربعين غلاما، فاعطوا كل غلام رمحا ثم قالوا: هذا الذي قتل آباءكم. فطعنوه برماحهم طعنا خفيفا، فاضطرب على الخشبة فانقلب، فسار وجهه الى الكعبة فقال: الحمد لله الذي جعل وجهي نحو قبلته التي رضي لنبيه وللمؤمنين، ثم قالوا له: ارجع عن الاسلام نخلي سبيلك، قال: لا والله ما أُحب أني رجعت عن الاسلام وان لي ما في الارض جميعا، قالوا: أفتحب ان محمداً في مكانك وانت جالس في بيتك؟ قال: والله ما احب أن يشاك محمد

---

(١) كتاب المغازي: للواقدي: ج ١، ص ٣٥٧.

(٢) بددا: متفرقين.

بشـوكة وانـا جالس في بيتي . فجعلوا يقـولون : ارجـع يـا خبيب قـال: لا ارجـع ابداً قـالوا: أمـا واللات والعـزى، لئن لم تفعـل لنقتلنـك شـر قتلة، فقـال: ان قتـلي في الله لقليـل. فلما ابى عليهم، وقـد جعلوا وجهـه من حيث جـاء قال: أمـا صرفكم وجهي عن القبلة، فـان الله يقول: ﴿ فـاينـما تـولوا فثم وجـه الله ﴾[1] ثم قـال: اللهمَّ اني لا ارى الا وجـه عـدو، اللهمَّ انه ليس ها هنا احد يبلغ رسولك السلام عني فبلغه انت عني السلام .

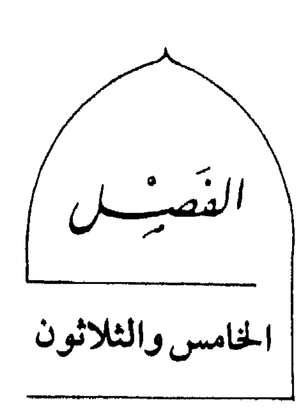
وعن ابن اسـامـة ابن زيـد عن ابيـه، ان رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) كان جـالساً مـع اصحابـه، فاخـذته غمية كما كـان يأخـذه اذا أنزل عليه الـوحي، قال: ثم سمعنـاه يقول: « وعليـه السلام ورحمـة الله » ثم قـال (صلى الله عليـه وآله وسلم) : « هـذا جبريـل يقـرئني من خبيب السلام ».

وفي السيـرة الهشاميـة عن ابن اسحاق انـه قال: وامـا زيد بن الـد ثـنة فابتاعـه صفوان بن اميـة ليقتله بابيـه امية بن خلف، وبعث بـه صفوان مـع مـولى له يقـال لـه فسـطاس، الى التنعيم[2] واخـرجـوه من الحـرم ليقتلوه . واجتمع رهط من قريش، فيهم ابو سفيان بن حرب، فقال له ابو سفيان حـين قـدم ليقتـل: انشـدك الله يـا زيـد اتحب أن محمـداً عنـدنـا الآن في مكـانـك نضـرب عنقـه ؟ قـال: والله مـا احب أن محمـداً الآن في مكـانـه الذي هو فيه تصيبه شـوكة تؤذيـه واني جالس في اهـلي . قال ابـو سفيان مـا

(١) سورة البقرة، آية ١١٥ .

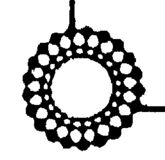
(٢) التنعيم موضع بمكة في الحل، وهو بين مكـة وسرب عـلى فرسخـين من مكة ، راجع معجم البلدان .

رأيت من النـاس احداً يحب احـداً كحب اصحـاب محمـد محمداً ! ثم قتلاه نسطاس، يرحمه الله .



الفصل

الخامس والثلاثون





غزوة بني النضير

روى الطبرسي في تفسيره: ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على ان لا يقاتلوه، ولا يقاتلوا معه، فقبل ذلك منهم .

فلما غزا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بدرا وظهر على المشركين قالوا : والله انه للنبي الذي وجدنا نعته في التوراة ، لا ترد له راية . فلما غزا (صلى الله عليه وآله وسلم) غزاة احد وهُزم المسلمون ارتاب اليهود ونقضوا العهد .

ذكر المؤرخون واصحاب السير : ان يهود بني النضير غزاهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في شهر ربيع الاول، سنة اربع ، على رأس سبعة وثلاثين شهراً من مهاجره .

وكان سبب هذه الغزوة ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج الى بني النضير يستعينهم في دية الكلابيين أو العامريين اللذين قتلهما عمر بن امية الضمري - خطأ - فقالوا : نعم يا ابا القاسم ، نعينك بما احببت . وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد جلس الى جنب جدار من بيوتهم ، وهو في نفر من اصحابه . فخلا بعض بني النضير الى بعض ، فقالوا : انكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - لقلة مرافقيه - فمن رجل يعلو هذا البيت، فيلقي عليه

صخرة فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، احدهم ، فقال : انا لذلك . . . .

فقال سلّام بن مشكم : لا تفعلوا ، والله ليخبرن بما هممتم به ، وانه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه .

وجاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الخبر من السماء بما اراد القوم، فنهض مسرعا كانه يريد الحاجة ، فتوجه الى المدينة . فلما ابطأ على اصحابه قاموا في طلبه، فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقال : رأيته قد دخل المدينة .

عندها اقبل اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى أتوه ، فقالوا : يا رسول الله، قمت ولم نشعر. قال (صلى الله عليه وآله وسلم) همت يهود بالغدر فاخبرني الله بذلك، فقمت .

ثم بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اليهم محمد بن مسلمة : « ان اخرجوا من بلدي فلا تساكنوني بها ، وقد هممتم بما هممتم به من الغدر، وقد اجلتكم عشرا من الايام، فمن رئي بعد ذلك ضربت عنقه » .

فمكثوا اياما يتجهزون ، وارسلوا الى ظهر لهم بذي الجدر[1] وتكاروا ابلا من ناس من اشجع ، فارسل اليهم عبد الله بن ابي : ان اقيموا في حصونكم ، ولا تخرجوا من دياركم ، فان معي الفين من قومي وغيرهم من العرب يدخلون معكم حصنكم فيموتون من عند آخرهم ، وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان . فوافقه على ذلك وديعة

(١) ذو جدر: مسرح على ستة ايام من المدينة بناحية قباء.

بن مالك بن ابي قوقل، وسويد، وداعس، وقالوا لهم : ان قوتلتم نصرناكم ، وان اخرجتم خرجنا معكم ، فطمع حييّ بن اخطب فيما قال ابن ابي، فارسل الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : انا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك .

فكبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكبر المسلمون بتكبيره ، وقال: حاربت يهود واستخلف على المدينة ابن ام مكتوم ، وسار في اصحابه، وعلي بن ابي طالب يحمل لواءه، فصلى العصر بفناء بني النضير.

قال تعالى: ﴿ **الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا، وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون*لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم لَيولنَّ الادبار ثم لا ينصرون*لأنتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون*لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون*كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب أليم** ﴾[1].

ولما رأى بنو النضير رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه ، قاموا على جدر حصونهم ، معهم النبل والحجارة ، واعتزلتهم قريظة فلم تعنهم بسلاح ولا رجال ولم يقربوهم . وجعلوا يرمون ذلك اليوم بالنبل والحجارة حتى اظلموا .

---

(١) سورة الحشر ـ آية ـ ١١ ـ ١٢ ـ ١٣ ـ ١٤ ـ ١٥ .

فلما صلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) العشاء رجع الى بيته في عشرة من اصحابه ، عليه الدرع وهو على فرس . وقد استعمل عليا (عليه السلام) على العسكر . وبات المسلمون يحاصرون بني النضير، يكبرون حتى اصبحوا، ثم اذن بلال بالمدينة ، فغدا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في اصحابه الذين كانوا معه ، فصلى بالناس بفضاء بني خطمة . واستخلف على المدينة ابن ام مكتوم ، وحملت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبة من ادم[1] فامر بلالا فضربها في موضع المسجد الصغير الذي بفضاء بني خطمة . ودخل رسول الله القبة .

وكان رجل من اليهود يقال له عزوك ، وكان اعسر راميا ، فرمى فبلغ نبله قبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فامر بقبته فحولت الى مسجد الفضيخ[2] وتباعدت من النبل .

وامسى اليهود فلم يقربهم ابن ابي ولا احد من حلفائه وجلس في بيته ولم يف بوعده . عند ذلك يئست بنو النضير من نجدته ومناصرته ، وجعل سلام بن مشكم وكنانة بن صويرا ، يقولان لحيّي : اين نصر ابن

---

(١) كانت القبة من غرب، وهو ضرب من الشجر عليها مسوح وهو الكساء من الشعر ارسل بها سعد بن عبادة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

(٢) مسجد الفضيخ : ويعرف اليوم بمسجد الشمس، وهو شرقي مسجد قباء على شفير الوادي مرضوم بحجارة سود، وليت الحجازيين يعتنون بهذا الاثر العظيم .

أبي كما زعمت ؟! قال حُيَيّ : فما اصنع؟ هي ملحمة كتبت علينا ، ولزم رسول الله الدرع وبات وظل محاصرهم .

فلما كان ليلة من الليالي فقد علي بن ابي طالب (عليه السلام) حين قرب العشاء، فقال الناس: ما نرى عليا يا رسول الله، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم: دعوه، فانه في بعض شأنكم . . فلم يلبث ان جاء علي برأس عزوك ، فطرحه بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا رسول الله، اني كمنت لهذا الخبيث فرأيت رجلا شجاعا، فقلت : ما اجرأه ان يخرج اذا امسينا يطلب منا غرَّة . فاقبل مصلتا سيفه في نفر من اليهود، فشددت عليه فقتلته ، واجلى اصحابه ولم يبرحوا قريبا. فان بعثت معي نفراً رجوت ان اظفر بهم. فبعث معه أبا دجانه ، وسهل بن حنيف في عشرة من اصحابه ، فادركوهم قبل ان يدخلوا حصنهم فهجموا عليهم وقتلوهم واتوا برؤ وسهم ، فامر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالرؤ وس فطرحت في بعض بئار بني خطمة[1] .

وكان سعد بن عبادة يحمل التمر الى المسلمين ، وامر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالنخل فقطعت وحرقت واستعمل على قطعها رجلين من اصحابه ابا ليلى المازني ـ وعبد الله بن سلام ، فارسل حيَيّ الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا محمد ، انك كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه ، لما تقطع النخل وتحرقها ؟ !

---

(١) كتاب المغازي للواقدي، ج ١ ص ٣٧٢.

نحن نعطيك الذي سألت ، ونخرج من بلادك . فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : لا أقبله اليوم ، ولكن اخرجوا منها ولكم ما حملت الابل الا الحلقة .

وكان الله عز وجل امر رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) بقطع النخل ، ﴿ **ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين** ﴾[1]والغاية من قطع النخيل والله العالم ارهاب اليهود لكي يستولي عليهم اليأس والرعب والجزع فيخرجوا من غير حرب وسفك دماء. ولما ارسل حُيَيّ الى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : (نحن نعطيك الذي سألت . .) قال الرسول : (لا اقبله اليوم ولكن اخرجوا منها . .) فقال سلاّم لحييّ : اقبل ويحك ، قبل ان تقبل شراً من هذا ، فقال حييّ : ما يكون شراً من هذا ؟ قال سلاّم : يسبي الذرية ويقتل المقاتلة مع الاموال فالاموال اليوم اهون علينا اذا لحمنا هذا الامر من القتل والسباء .

فابى حييّ ان يقبل يوما او يومين ، فلما رأى ذلك يامين بن عمير وابو سعد بن وهب قال احدهما لصاحبه : والله انك لتعلم انه لرسول الله ، فما تنتظر ان نسلم فنأمن على دمائنا واموالنا ؟ فنزلا من الليل فاسلما ، فاحرزا دماءهما واموالهما .

وحاصرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خمسة عشر يوما ، ثم نزلت اليهود على أن لهم ما حملت الابل الا الحلقة[2]فاجلاهم

---

(١) سورة الحشر، آية ٥ .

(٢) الحلقة : الدروع ، وقيل السلاح كله ، وهو المراد هنا .

من المدينة وولى اخراجهم محمد بن مسلمة ، فقالوا : ان لنا ديونا على الناس الى آجال ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : تعجلوا وضعوا .

وكانوا في حصارهم يخربون بيوتهم مما يليهم ، وكان المسلمون يخربون مما يليهم ويحرقون حتى وقع الصلح ، فتحملوا ، فجعلوا يحملون الخشب ونجف[1] الابواب وحملوا النساء والصبيان . فخرجوا والنساء في الهوادج عليهن الحرير والديباج ، وقد صف لهم الناس ، فجعلوا يمرون قطاراً في اثر قطار.[2] فحملوا على ستمائة بعير وانزل الله تعالى في حقهم واجلائهم عن المدينة : **﴿هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر[3] ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار*ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار*ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشآق الله فان الله شديد العقاب ﴾**[4].

كانت غزوة بني النضير واجلائهم عن المدينة العامل الفعال الذي ارجع الى المسلمين طمأنينتهم واعاد لهم هيبتهم وسلطانهم ، فانه ليس

(١) النجاف: العتبة التي بأعلى الباب.

(٢) القطار: المراد بها ان تشد الابل على نسق واحداً بعد واحد.

(٣) اول الحشر: كان اول الحشر من المدينة الى خيبر، والحشر الثاني من خيبر الى اذرعات واريحا وقيل غير ذلك والله العالم .

(٤) سورة الحشر، آية ٢ ، ٣، ٤ .

من العسـير ان يقدِّر الانسـان قيمـة النصـر وعـزه بعـد جـلاء اليهـود عن المدينة وادخال الرعب في قلوب جميع المشركين والمنافقين والاعداء .

كـان بقاء بني النضـير في المدينـة هو الملجـأ لكل من يـريد الشـر والكيد لمحمـد (صلى الله عليـه وآله وسلم) واصحـابـه ، وليس من العسـير ايضـاً ان يقِّدر الانسان مـا كان يخلقـه بقاؤ هم من تشجيـع عـوامـل الفتن وخلق البلبلة والفـوضى ودعم جميـع المنـافقـين ، لـرفـع رؤ وسهم وينفثـوا سمومهم كلما اصاب المسلمين اذى أو هزيمة ، كما جرى يوم احد .

اذن وجودهم في المدينـة كان بمثـابة آلـة هدامـة وسلاح مـاض لتهديـد المسلمـين كلما سنحت لهم الفرصـة ، واجلاؤ هم عنهـا هو مقتضى الحكمـة والسياسة ونصر عظيم .

ولادة الحسين (عليه السلام)

في السنة الرابعة من الهجرة جاء البشير الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يزف اليه بشرى ولادة سبطه الحسين (عليه السلام) ، الثمرة الثانية للشجرة المباركة من فاطمة بضعة المصطفى ، وعلي المرتضى ابن عمه واخيه وصهره .

وجاء في الروايات عن اسماء بنت عميس : ان فاطمة الزهراء (عليها السلام) وضعت طفلها الحسين بعد حول من ولادة اخيه الحسن (عليه السلام) فجاءها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال : يا اسماء هاتي ابني . . فدفعته اليه وهو ملفوف بخرقة بيضاء ، اخذه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)بين يديه ووجهه يطفح بشرا وسرورا . ثم اذن في اذنه اليمنى واقام في اليسرى ، ثم وضعه في حجره الشريف والتفت الى علي فقال : هل سميته يا ابا الحسن ؟ فاجابه : ما كنت لاسبقك في اسمه ، فقال له (صلى الله عليه وآله وسلم) : سمه حسينا .

ولما بلغ الحسين من العمر سبعة ايام عق عنه كبشا وتصدق بوزن شعره فضة ، كما فعل لاخيه الحسن عند ولادته .

وفي رواية ابن شهر اشوب : ان فاطمة بضعة الرسول مرضت بعد ولادة الحسين واصابها ضعف ، فجف لبنها ، فكان رسول الله (صلى الله

عليه وآله وسلم) يأتيه ويلقمه ابهامه ، فياخذ الحسين في مصها، وظل على هذه الحال اربعين يوماً حتى نبت لحمه من هذه الرضاعة .

وروي عن الامام الصادق (عليه السلام) أنه قال : لم يرضع جدي الحسين من ثدي فاطمة ولا من انثى ، بل كان يؤتى به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيضع ابهامه في فيه فيمتص منها ما يكفيه اليومين والثلاثة .

وقد اختلفت الروايات التي تعرضت لولادة الحسين ورضاعه ولكنها اتفقت من ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يلقمه ابهامه تارة وتارة لسانه الشريف .

وذكر الطبري في تاريخه ان الحسين بن علي (عليه السلام) ولد في السنة الرابعة من الهجرة لليال خلون من شعبان .

وذكر السيد محسن الامين في كتابه - في رحاب أئمة اهل البيت - في شعبان في الثالث او الخامس منه سنة اربع من الهجرة ولد الحسين بن علي من فاطمة الزهراء . وقيل سنة ثلاث ، فجيء به الى جده فسماه حسينا .

وفي رواية الكافي للكليني : ان الحسين ولد في السنة الثالثة للهجرة ، وقيل في السنة الخامسة وقيل غير ذلك والله العالم .

وفي الكافي ايضاً عن ابي عبد الله الصادق (عليه السلام) : ان جبريل قبيل ولادة الحسين نزل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال له : ان الله يبشرك بمولود يولد من فاطمة تقتله امتك من بعدك ، ويبشرك بانه جاعل من ذريته الامامة والوصاية . فاخبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة بذلك فحمدت الله وسلمت امرها اليه .

غزوة ذات الرقاع

بعد جلاء بني النضير عن المدينة واستعادة المسلمين هيبتهم ، بعد معركة احد كما اسلفنا ، اقام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه في منازلهم يحمدون الله على النصر الذي منحهم اياه . ولكنهم كانوا حذرين غدرة العدو الموتور . . او المتربص بهم الغوائل .

لذلك نرى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) القائد العظيم يبث عيونه في كل النواحي ساهرا حتى لا يؤخذ المسلمون على حين غرة ، فيغزوهم العدو وهم غافلون .

وروي انه فيما كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة مع اصحابه بلغه أن جماعة من غطفان ، من بني محارب ، وبني ثعلبة ، بنجد ، يعدون العدة لمحاربته . وكانت خطته (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يبادر عدوه قبل ان يبدره .

فخرج (صلى الله عليه وآله وسلم) في اربعمائة من اصحابه ، واستعمل على المدينة ابا ذر الغفاري (رضي الله عنه) وذلك في السنة الرابعة من شهر جمادى ـ وقيل في الخامسة في المحرم من الهجرة على قول الواقدي .

فعن ابن اسحاق : سار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) حتى

نزل نخلا[1]وهي غـزوة ذات الرقـاع[2]فلقي بها جمعـا عظيـما من غـطفـان فتقـارب الناس، ولم يكن بينهم حـرب، وقد خـاف الناس بعضهم بعضـا، حتى صـلى رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) بـالنـاس صـلاة الخوف .[3]ثم انصرف بالناس[4] .

وعن جـابر بن عبـد الله قال: صـلى رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) باصحابه الظهر بنخل فهمّ بـه المشركـون ، ثم قالـو : دعوهم فـان

---

(١) نخل: موضع بنجد من ارض غطفان ـ معجم البلدان .

(٢) غـزوة ذات الرقـاع : قيل لهـا غزوة ذات الـرقاع لانهم رقعـوا فيها رايـاتهم . ويقال: ذات الرقاع: شجرة بـذلك المـوضع يقـال لها ذات الـرقاع . وقيـل : لأنهم نزلوا بجبل فيه بقع سود، وحمـر، وبيض، وقيل: انمـا سميت بذلـك لما كانوا يربطون على ارجلهم من الخرق من شدة الحر.

(٣) جاء في وسائل الشيعة للحر العاملي عن محمد بن علي بن الحسين باسناده عن عبد الرحمن بن ابي عبد الله عن الصادق (عليه السلام)انـه قال : صـلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) باصحـابه في غـزوة ذات الرقـاع صلاة الخـوف، ففرق اصحابه فرقتين ، اقام فرقة بـازاء العدو وفـرقة خلفـه ، فكبر فكبـروا ، فقرأ وانصتوا ، وركع وركعوا فسجد وسجدوا ، ثم استمـر رسول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) قـائـما وصلوا لانفسهم ركعـة، ثم سلم بعضهم عـلى بعض، ثم خرجوا الى اصحابهم فاقاموا بـازاء العدو، وجـاء اصحابهم فقـاموا خلف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فكبر وكبروا وقرأ فانصتوا وركع فـركعوا وسجـد فسجدوا ، ثم جلس رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) فتشهد ثم سلم عليهم، فقامـوا ثم قضوا لانفسهم ركعـة ثم سلم بعضهم على بعض . وقـد قـال الله لنبيـه(صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) : فـاذا كنت فيهم فـاقمت لهم الصلاة فلتقم طـائفة منهم معـك . . وذكـر الآيـة . فهـذه صـلاة الخوف التي امر الله بها نبيه .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ، ج ٠٣، ص ٢١٤ .

لهم صلاة بعد هذه الصلاة وهي العصر، احب اليهم من ابنائهم ـ فاجمعوا امركم فميلوا عليهم ميلة واحدة، فنزل جبريل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاخبره كما في قوله تعالى : ﴿ **واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا*واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ودَّ الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة** . ﴾[1] .

وفي السيرة النبوية لابن هشام عن جابر بن عبد الله الانصاري : ان رجلا من بني محارب، يقال له : غورث، قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا اقتل لكم محمدا قالوا : بلى، وكيف تقتله ؟ قال : افتك به . قال ـ جابر ـ : فاقبل الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو جالس، وسيف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجره ، فقال: يا محمد، انظر الى سيفك هذا ؟ قال : نعم ـ وكان محلى بفضة ـ قال : فاخذه فاستله ، ثم جعل يهزه ويهم فيكبته الله . ثم قال: يا محمد، اما تخافني ؟ قال : لا ، وما اخاف منك ؟ قال : اما تخافني وفي يدي السيف ؟ قال : لا ، يمنعني الله منك . ثم عمد الى سيف رسول الله فرده عليه . قال جابر: فانزل الله : ﴿ **يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ همَّ قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف**

---

(١) سورة النساء: آية، ١٠١، ١٠٢.

ايديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾[1].

---

(١) سورة المائدة، آية ١١، ذكر الطبرسي في تفسيره ، مجمع البيان في تفسير القرآن، اختلف فيمن بسط اليهم الأيدي على اقوال : احدها - انهم اليهود هموا بان يفتكوا بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم بنو النضير، عندما دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع جماعة من اصحابه عليهم وكانوا قد عاهدوه على ترك القتال وعلى ان يعينوه في الديات فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) رجل من اصحابي اصاب رجلين معهما امان مني فلزمني ديتهما فاريد أن تعينوني ، فقالوا نعم اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسألنا . وهموا بالفتك بهم فآذن الله به رسول فاطلع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اصحابه على ذلك وانصرفوا . وكان ذلك احد معجزاته - وثانيها : ان قريشا بعثوا رجلا ليقتل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فدخل عليه وفي يده سيف مسلول فقال له : ارنيه فاعطاه فلما حصل في يده قال : ما الذي يمنعني من قتلك ، قال : الله يمنعك فرمى السيف واسلم واسم الرجل عمرو بن وهب الجمحي بعثه صفوان بن اميه ليغتاله .- وثالثها : ان المعني بذلك ما لطف الله المسلمين من كف اعدائهم عنهم حين هموا باستئصالهم . - ورابعها غزا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جمعا من ذبيان ومحارب بذي امر فتحصنوا برؤوس الجبال ونزل (صلى الله عليه وآله وسلم) بحيث يراهم فذهب لحاجتة فاصابه مطر فنشر ثوبه على شجرة واضطجع تحته فجاء سيدهم دعثور حتى وقف على رأسه بالسيف فقال يا محمد من يمنعك ؟ فدفع جبرائيل في صدره فوقع السيف من يده فاخذه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: من يمنعك مني قال: لا احد وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت الآية .

غزوة بدر الصغرى ـ او بدر الموعد

لما انتهت معركة احد واخذت المشركين نشوة النصر صاح ابو سفيان حين اراد أن ينصرف « يا محمد موعد بيننا وبينك موسم بدر الصغرى القابل إن شئت ـ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك بيننا وبينك » .

وجاء الموعد، واخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه يتجهزون للقاء المشركين في موعدهم . لكن خشي المشركون بعد الانتصار الذي احرزوه في احد ان تكون الدائرة عليهم لا لهم ، وخصوصا بعد الذي شاهدوه من تفاني اصحاب محمد في سبيل نصرته ونصرة الاسلام ، ومن الانتصارات التي احرزها المسلمون بعد معركة احد مع بني النضير وغيرهم . لذلك نجد ان ابا سفيان بن حرب اخذ يختلق الحجج والذرائع للتخلف عن القتال في موعده .

ذكر ابن سعد في طبقاته : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غزا غزوة بدر الموعد ـ بدر الصغرى ـ وهي غير بدر القتال وكانت لهلال ذي القعدة على رأس خمسة واربعين شهرا من الهجرة . وسببها انها لما اراد ابو سفيان بن حرب ان ينصرف يوم احد نادى الموعد بيننا وبينكم بدر الصفراء رأس الحول نلتقي بها فنقتتل . فقال رسول

الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعمر بن الخطاب : قل نعم انشاء الله . فافترق الناس على ذلك .

ثم رجعت قريش فخبَّروا مَن قِبَلَهم بالموعد وتهيؤا للخروج ، فلما دنا الموعد كره ابو سفيان الخروج ، وقدم نعيم بن مسعود الاشجعي مكة ، فقال له ابو سفيان : اني قد واعدت محمدا واصحابه ان نلتقي ببدر، وقد جاء ذلك الوقت ، وهذا عام جدب وانما يصلحنا عام خصب غيداق، واكره أن يخرج محمد ولا اخرج فيجترىء علينا . فنجعل لك عشرين فريضة - ناقة - يضمنها لك سهيل بن عمرو على أن تقدم المدينة فتخذل اصحاب محمد، قال: نعم ، ففعلوا وحملوه على بعير، فاسرع السير فقدم المدينة فاخبرهم بجمع ابي سفيان لهم وما معه من العدة والسلاح فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : والذي نفسي بيده لأخرجن وان لم يخرج معي احد. فنصر الله المسلمين واذهب عنهم الرعب . فاستخلف رسول الله على المدينة عبد الله بن رواحة ، وحمل لواءه علي بن ابي طالب، وسار في المسلمين وهم الف وخمسمائة ، وكانت الخيل عشرة افراس، خرجوا ببضائع لهم وتجارات ، وكانت بدر الصفراء مجتمعا يجتمع فيه العرب، وسوقا تقوم لهلال ذي القعدة، الى ثمان خلون منه . ثم يتفرق الناس الى بلادهم .

فانتهوا الى بدر ليلة هلال ذي القعدة، وقامت السوق صبيحة الهلال، فاقاموا بها ثمانية ايام، وباعوا ما خرجوا به من التجارات فربحوا للدرهم درهما ، وانصرفوا وقد سمع الناس بسيرهم .

وخرج ابو سفيان بن حرب من مكة في قريش وهم الفان ، ومعهم خمسون فرسا ، حتى انتهوا الى مجنة ، وهي مر الظهران ثم قال :

ارجعوا فانه لا يصلحنا الا عام خصب غيداق، نرعى فيها الشجر ونشرب فيه اللبن ، وان عامكم هذا عام جدب، فاني راجع فارجعوا . فسمى اهل مكة ذلك الجيش، جيش السويق، يقولون : خرجوا يشربون السويق .

وقدم معبد بن ابي معبد الخزاعي مكة بخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وموافاته بدرا في اصحابه ، فقال صفوان بن أمية لابي سفيان : قد نهيتك يومئذ ان تعد القوم، وقد اجترؤ وا علينا ورأوا أن قد اخلفناهم ثم اخذوا في النفقة والتهيىء لغزوة الخندق[1] .

وفي هذه الغزوة وما رافقها من كيد الكائدين ، وتثبيط المؤمنين وتفريق كلمتهم ، وما كان من النصر المعنوي الذي احرزه القائد العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) لاصحابه بارتفاع معنوياتهم النفسية التي زادتهم قوة على قوة وايمانا على ايمان جاء قوله تعالى: ﴿ **الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل*فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ، لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم** ﴾[2] .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٢ ، ص ٤٢ .
(٢) سورة آل عمران، آية ١٧٣ ، ١٧٤ .


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

غزوة دومة الجندل

ذكر الواقدي في مغازيه : في ربيع الاول على رأس تسعة واربعين شهرا ، خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لخمس ليال بقين من ربيع الاول وقدم لعشر بقين من ربيع الآخر، وقد ذكر له (صلى الله عليه وآله وسلم) ان بدومة الجندل جمعا كثيراً، وانهم يظلمون من مر بهم من الضافطة[1]وكان بها سوق عظيم وتجار، وضوى اليهم قوم من العرب كثير، وهم يريدون ان يدنوا من المدينة .

فندب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الناس، فخرج في الف من المسلمين ، فكان يسير الليل ويكمن النهار، ومعه دليل له من بني عذرة يقال له مذكور، هادخريت[2] .

فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مغذاً للسير، ونكب عن طريقهم ، ولما دنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من دومة الجندل ـ وكان بينه وبينها يوم او ليلة ـ سير الراكب المعتق[3] ـ قال له

---

(١) الضافطة : جمع ضافط، وهو الذي يجلب الميرة والمتاع الى المدن والمكاري الذي يكري الاحمال وكانوا يومئذٍ قوماً من الانباط يحملون الى المدينة الدقيق والزيت .

(٢) الخريت : الدليل الحاذق الذي يهتدي الى المفاوز وهي مضايقها وطرقها الخفية .

(٣) عتق الراكب فرسه اذا اعجلها .

الدليل : يا رسول الله ، ان سوائمهم ترعى فاقم لي حتى اطلع لك .
قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : نعم .

فخرج العذري طليعة حتى وجد آثار النعم والشاء وهم مغربون ، ثم رجع الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاخبره وقد عرف مواضعهم . فسار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى هجم على ماشيتهم ورعائهم ، فاصاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من اصاب ، وهرب من هرب في كل وجه .

وجاء الخبر اهل دومة الجندل فتفرقوا ، ونزل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بساحتهم فلم يجد بها أحدا ، فاقام بها اياما وبث السرايا وفرقها حتى غابوا عنه يوما ثم رجعوا اليه ، ولم يصادفوا منهم احداً ، وترجع السرية بالقطعة من الابل . الا أن محمد بن مسلمة اخذ رجلا منهم ، فاتى به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فسأله عن اصحابه فقال : هربوا امس حيث سمعوا بانك قد اخذت نعمهم .

فعرض عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الاسلام اياما فاسلم ، فرجع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى المدينة . وكان قد استعمل عليها سباع بن عرفطة[1] .

وفي رواية كان خروجه (صلى الله عليه وآله وسلم) الى دومة الجندل سنة خمس للهجرة . وفي هذه الغزوة توفيت ام سعد بن عبادة وابنها مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صلى عليها .

---

(١) المغازي للواقدي ، ج ١ ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ .

غزوة بني المصطلق

ذكـر الواقـدي في مغازيـه : أنه في سنـة خمس خرج رسـول الله (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) يـوم الاثنـين لليلتـين خلتـا من شعبـان ـ لغـزوة بني المصطلق[1] وقدم المدينة لهلال رمضان وغاب شهرا الا ليلتين[2] .

وسبب هـذه الغزوة ان بني المصـطلق من خزاعـة كانـوا ينزلـون ناحيـة الفـرع ، وهـم حلفاء في بني مـدلج وكـان رأسهـم وسيـدهـم الحـارث بن ابي ضـرار، وكان قـد سار في قـومه ومن قـدر عليـه من العـرب، فـدعـاهـم الى حرب رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) . فابتـاعوا خيـلا وسلاحـا وتهيؤا للمسـير الى رسـول الله (صــلى الله عليـه وآلــه وسلم) ، وجعلت الركبان تقدم من ناحيتهم .

فبلغ ذلـك رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) فبعث بـريـدة بن الحصيب الاسلمي يعلم ذلـك ـ يستطلع الخبـر ـ واستـأذن النبي ان يقــول مـا يراه منـاسبا ، فـاذن له . فخـرج حتى ورد عليهم ماءهم ، فـوجد قـوما مغرورين قد تألبوا وجمعـوا الجموع . فقـالوا : من الـرجل ؟ قـال : رجل منكم ، قـدمت لما بلغني عن جمعكم لهـذا الـرجـل ـ يعني النبي ـ فـاسـير في

---

(۱) غزوة بني المصطلق وتسمى غزوة المريسيع .

(۲) اختلف المؤرخون في تاريخ غزوة بني المصطلق فقيل سنة اربع للهجرة ، وقيل سنة ست ، وقيل سنة خمس من الهجرة على ما ذكره الواقدي ولعله الاصح .

قومي ومن اطاعني ، فتكون يدنا واحدة حتى نستأصله . قال الحارث بن ابي ضرار: فنحن على ذلك، فعجل علينا . قال بريدة : اركب الآن فآتيكم بجمع كثيف من قومي ومن اطاعني . فسُروا بذلك منه . ورجع الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاخبره خبر القوم .

ندب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الناس، واخبرهم خبر عدوهم ، فاسرع الناس للخروج ، وقادوا الخيول وهي ثلاثون فرسا ، في المهاجرين منها عشرة وفي الانصار عشرون وخرج مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بشر كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزاة قط مثلها . ليس بهم رغبة في الجهاد الا أن يصيبوا من عرض الدنيا وقرب عليهم السفر . وخرج رسول الله حتى سلك على الحلائق[1] فنزل بها ، فأتي يومئذٍ برجل من عبد القيس، فسلم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : أين اهلك ؟ قال : بالروحاء قال : اين تريد ؟ قال : اياك جئت لأؤمن بك واشهد ان ما جئت به الحق واقاتل معك عدوك .

ثم انتهى رسول الله الى المريسيع[2] وهو الماء فنزله ، وضرب لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبة من ادم ، ومعه من نسائه عائشة وام سلمة ، وقد اجتمعوا على الماء واعدوا وتهيأوا للقتال، فصف رسول الله اصحابه ودفع راية المهاجرين الى ابي بكر وراية الانصار الى سعد بن عبادة . ويقال كان مع عمار بن ياسر راية المهاجرين ـ وهو الأصح لان

---

(١) الحلائق: وهو مكان به مزارع وابار قرب المدينة .

(٢) المريسيع : ماء لخزاعة بينه وبين الفرع نحو يوم .

الراية لا تعطي عادة الا لرجل معروف بالفروسية والشجاعة والقوة ولم يعرف عن ابي بكر ذلك وكل ما عرف عنه انه كان مصاحبا للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا غير ـ وكان شعارهم يا منصور أمت أمت[١] .

وامر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مناديا فنادى في الناس : قولوا لا اله الا الله ، تمنعوا بها انفسكم واموالكم . فنادى المنادي بذلك . لكن بني المصطلق أبوا ذلك ولم ينطقوا بالشهادة . وكان اول من رمى رجل منهم بسهم . عندها رمى المسلمون ساعة بالنبل .

ثم امر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اصحابه ان يحملوا على المشركين ، فحملوا حملة رجل واحد فما افلت من بني المصطلق انسان . وقتل عشرة منهم وأُسر سائرهم . ولم يقتل من المسلمين الا رجل واحد قتله رجل من المسلمين خطأ وهو يظن انه من المشركين[٢] .

روى الطبرسي في تفسيره انه : خرج رسول الله لغزو بني المصطلق حتى لقيهم على ماء لهم يقال له المريسيع . فتزاحف الناس واقتتلوا ، وهزم الله بني المصطلق ، وقتل منهم من قتل ، ونفل[٣] رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ابناءهم ، ونساءهم واموالهم .

---

(١) المغازي للواقدي : ج ١ ، ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ .

(٢) هو هاشم بن ضبابة لقيه رجل من رهط عبادة بن الصامت يقال له اوس فقتله ظنا منه انه مشرك ، فامر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ان تخرج ديته . ويقال قتله رجل من بني عمرو بن عوف .

(٣) النافلة الغنيمة ، العطية ما تفعله مما لم يفرض ولم يجب عليك فعله نفل الرجل اعطاه مما لا يريد ثوابه منه . نفل القائد الجند : جعل لهم ما غنموه . المنجد في اللغة .

فبينـا النـاس عـلى ذلـك المـاء اذ وردت واردة النـاس ، ومـع عمـر بن الخـطاب اجـيرلـه من بني غفـار، يقـال لـه جهجـاه ابن سعيـد، يقــود لـه فـرسـه ، فـازدحم جهجـاه وسنــان الجهني من بني عـوف بن خــزرج عـلى الماء ، فاقتتـلا فصرخ الجهني . . . يـا معشر الانصـار . وصرخ الغفـاري يا معشر المهاجـرين . فاعـان الغفاري رجـل من المهاجـرين يقال لـه جعال . وكـان فقيـرا ، فقـال عبـد الله بن ابي ، لجعال : انـك لهتـاك ، فقـال : ومـا يمنعني ان افعـل ذلك ؟ ! واشتـد لسان جعـال عـلى عبـد الله ، فقـال عبـد الله : والذي يحلف به لآزرنك ويهمك غير هذا . فغضب ابن ابي وعنده رهط من قـومـه ، فيهم زيـد بن ارقم ، حـديث السن ، فقـال ابن ابي : قـدنا فـرونا ، وكاثرونـا في بـلادنـا . . امـا والله لئن رجعنـا الى المـدينـة ، ليخـرجن الاعـز منهـا الاذل، يعني بالاعـز نفسـه، وبـالاذل رسـول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ثم اقبل على من حضـره من قومـه فقال : هـذا ما فعلتم بـانفسكم ! أحللتموهم بلادكم ، وقـاسمتمـوهم امـوالكم ، امـا والله لـو امسكتم عن جعـال وذويه فضـل الطعـام ، لم يركبـوا رقابكم ، ولأوشكـوا ان يتحـولـوا من بـلادكم ، ويلحقوا بعشـائرهم ومـواليهم . فقـال زيـد بن ارقم : انت والله الـذليل، القليـل، المبغض في قومـك ، ومحمد (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) في عـز من الـرحمٰن ، ومــودة من المسلمـين ، والله لا احبــك بعـد كـلامك هـذا . فقـال عبـد الله : اسكت فـانمـا كنت ألعب . فمشى زيـد بن ارقم الى رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) وذلـك بعـد فـراغـه من الغزو ، فاخبـره الخبر . فـامر رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) بـالـرحيـل ، وارسـل الى عبـد الله فـاتـاه . فقـال : مـا هـذا الـذي بلغني عنـك ؟ فقال عبـد الله : والـذي انـزل عليـك الكتـاب مـا قلت شيئـاً من

ذلـك قط، وان زيدا لكـاذب . وقـال من حضـر من الانصـار : يـا رسـول الله شيخنـا وكبيرنـا ، لا تصـدق عليـه كـلام غـلام من غلمـان الانصـار، عسى أن يكـون هذا الغـلام وهُمَ في حـديثـه ، فعـذره رسـول الله (صـلى الله عليه وآله وسلم) .

وفشت المـلامة من الانصـار لزيـد، ولما استقـل رسول الله فسـار لقيـه اسيـد بن الحضير فحيـاه بتحية النبـوة ثم قال: يـا رسـول الله لقـد رحت في سـاعة مبكـرة ، ما كنت تـروح فيها، فقـال له رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ زعم انه ان رجع الى المدينة أخرج الاعز منها الأذل . فقال اسيد : فانت والله يـا رسول الله تخـرجه ان شئت . هو والله الذليل، وانت العزيز .

ثم قـال: يـا رسـول الله ارفق بـه فـوالله لقـد جـاء الله بـك وان قـومـه لينظمون له الخرز ليتوجوه . . وانه ليرى انك قد استلبته ملكا .

وبلغ عبـد الله بن عبـد الله بن ابي مـا كـان من امـر ابيـه فـاتى رسـول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) فقال : يـا رسول الله انـه قـد بلغني انـك تـريد قتـل ابي، فان كنت لا بـد فـاعـلا ، فمـرني بـه ، فـانـا احمـل اليـك رأسه . فوالله لقـد علمت الخزرج مـا كان بهـا رجل أبـر بوالـديه مني، واني اخشى ان تـأمـر بـه غيـري فيقتله ، فـلا تـدعني نفسي ان انـظر الى قـاتـل عبـد الله ابن ابي ان يمشي في الناس فـاقتله ، فاقتـل مؤ منا بكـافر، فـادخل النار .

فقـال رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) : بـل تـرفق بـه ، وتحسن صحبته ما بقي معنا . .

وسار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالناس يومهم ذلك ، حتى امسى ، وليلتهم حتى اصبح ، وصدر يومهم ذاك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس فلم يكن الا ان وجدوا مس الارض حتى وقعوا نياما . انما فعل ذلك (صلى الله عليه وآله وسلم) ليشغل الناس عن الحديث الذي خرج من عبد الله بن ابي . ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز ، فويق البقيع[1] يقال له بقعاء ، فهاجت ريح شديدة آذتهم وتخوفوها ، وضلت ناقة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك ليلا ، فقال : مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة ، وقيل : من هو ؟ قال : رفاعة ، فقال رجل من المنافقين : كيف يزعم انه يعلم الغيب ، ولا يعلم مكان ناقته ، ألا يخبره الذي يأتيه بالوحي ! . فاتاه جبريل فاخبره بقول المنافق ، وبمكان الناقة . واخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك اصحابه وقال : ما ازعم أني اعلم الغيب ، وما اعلمه ، ولكن الله تعالى اخبرني بقول المنافق ، وبمكان ناقتي هي في الشعب . فاذا هي كما قال فجاؤ وا بها . وآمن ذلك المنافق .

فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد في التابوت احد بني قينقاع وكان من عظماء اليهود وقد مات ذلك اليوم .

قال زيد بن ارقم : فلما وافى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة جلست في البيت لما بي من الهم والحياء ، فنزلت سورة المنافقين في تصديق زيد وتكذيب عبد الله بن ابي . ثم اخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) باذن زيد فرفعه عن الرحل ثم قال (صلى

---

(١) وقيل ، النقيع ، بالنون .

الله عليه وآله وسلم) : يا غلام ، صدق فوك ، ووعت اذناك ، ووعى قلبك ، وقد انزل الله فيما قلت قرآنا .

وكان عبد الله بن ابي بقرب المدينة ، فلما اراد ان يدخلها جاءه ابنه عبد الله بن عبد الله بن ابي حتى اناخ على مجامع طرق المدينة ، فقال له : مالك ويلك ، قال : والله لا تدخلها الا باذن رسول الله ، ولتعلمن اليوم من الاعز ، ومن الاذل. فشكى عبد الله ابنه الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . فارسل اليه ان خلِّ عنه يدخل . فقال : اما اذا جاء امر رسول الله فنعم . فدخل ولم يلبث الا اياما قلائل حتى اشتكى ومات .

وفي عبد الله بن ابي المنافق واصحابه نزل قوله تعالى: ﴿ **هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السماوات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون*يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون** ﴾[1] .

فلما نزل القرآن بذلك ، وبان كذب عبد الله قيل له : نزل فيك آي شداد، فاذهب الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يستغفر لك . فلوّى رأسه ثم قال : امرتموني أن أؤمن فقد آمنت ، وامرتموني ان اعطي زكاة مالي، فقد اعطيت ، فما بقي الا ان اسجد لمحمد . . . فنزل قوله تعالى ﴿ **واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوّوا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون*سواء عليهم استغفرت لهم**

(١) سورة المنافين ، آية ٧، ٨.

أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾[1].

(١) سورة المنافين، آية ٥، ٦.

جويرية بنت الحارث

جاء في السيرة الهشامية عن عائشة انها قالت : لما قسم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سبايا بني المصطلق ، وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت قيس بن الشماس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حلوة مُلّاحة لا يراها احد الا اخذت بنفسه .

فأتت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تستعينه في كتابتها .

قالت عائشة : فوالله ما هو إلا ان رأيتها على باب حجرتي ، فكرهتها ، وعرفت انه (صلى الله عليه وآله وسلم) سيرى منها ما رأيت .

فدخلت عليه فقالت : يا رسول الله انا جويرية بنت الحارث بن ابي ضرار، سيد قومه ، وقد اصابني من البلاء ما لم يخف عليك ، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسي ، فجئتك استعينك على كتابتي .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): فهل لكِ في خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : اقضي عنك كتابتك ، وأتزوجك ، قالت : نعم يا رسول الله . . . . قال : قد فعلت .

قالت عائشة : وخرج الخبر الى الناس ان رسول الله قد تزوج

جويرية ابنة الحارث بن ابي ضرار، فقال الناس : أصهار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وارسلوا ما بايديهم . قالت : فلقد اعتق بتزويجه اياها مئة اهل بيت من بني المصطلق . فما اعلم امرأة كانت اعظم على قومها بركة منها .

ويقال : لما انصرف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من غزوة بني المصطلق . ومعه جويرية بنت الحارث، وكان بذات الجيش، دفع جويرية الى رجل من الانصار وديعة ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة . فأقبل ابوها الحارث بن ابي ضرار بفداء ابنته . فلما كان بالعقيق نظر الى الابل التي جاء بها للفداء، فرغب في بعيرين منها ، فغيبهما في شعب من شعاب العقيق، ثم اتى الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال : يا محمد، اصبتم ابنتي ، وهذا فداؤ ها .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : فاين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق ، في شعب كذا وكذا ؟ فقال الحارث : اشهد أن لا إله الا الله ، وانك محمد رسول الله ، فوالله ما اطلع على ذلك الا الله ! . .

فأسلم الحارث، واسلم معه ابنان له، وناس من قومه، وارسل الى البعيرين فجيء بهما ، فدفع الابل الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ودفعت اليه ابنته جويرية .

واسلمت جويرية ، وحسن اسلامها ، فخطبها رسول الله (صلى الله

عليه وآله وسلم) الى ابيها فزوجه اياها . واصدقها اربعمائة درهم . [1].

وروى الواقدي عن جويرية انها قالت : رأيت قبل قدوم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بثلاث ليال، كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع في حجري . فكرهت ان اخبرها احداً من الناس، حتى قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علينا .

فلما سبينا رجوت الرؤ يا ، فلما اعتقني وتزوجني . والله ما كلمته في قومي حتى كان المسلمون هم الذين ارسلوهم ، وما شعرت الا بجارية من بنات عمي تخبرني الخبر، فحمدت الله عز وجل .

وعن الواقدي ايضا : كان السبي ـ من بيني المصطلق ـ منهم منّ عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بغير فداء، ومنهم من افتدي، وذلك بعدما صار السبي في ايدي الرجال، فافتديت المرأة والذرية بست فرائض[2] . وكانوا قدموا المدينة ببعض السبي، فقدم عليهم اهلوهم فافتدوهم فلم تبق امرأة من بني المصطلق الا رجعت الى قومها[3].

---

(١) السيرة النوية : لأبن هشام ، ج٣ ص ٣٠٧ .

(٢) الفرائض ، تطلق على الابل .

(٣) المغازي للواقدي : ج ١ ص ٤١٢ .



بنو المصطلق ـ والوليد بن عقبة

ذكر ابن هشام في سيرته عن ابن اسحاق ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث الى بني المصطلق بعد اسلامهم ، الوليد بن عقبة بن ابي معيط ـ في اخذ الصدقات ، فلما سمعوا به ركبوا اليه ، فلما سمع بهم هابهم ، فرجع الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فاخبره أن القوم قد همّوا بقتله ، ومنعوه ما قبلهم من صدقاتهم .

فاكثر المسلمون في ذكر غزوهم ، حتى همَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)بان يغزوهم . فبينا هم على ذلك قدم وفد بني المصطلق على رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)فقالوا : يا رسول الله ، سمعنا برسولك حين بعثته الينا ، فخرجنا اليه لنكرمه ، ونؤدي ما قبلنا من الصدقة ، فانشمر[1]راجعا . . فبلغنا انه زعم لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انا خرجنا اليه لنقتله .

ووالله يا رسول الله ما جئنا لذلك . . . فانزل الله تعالى فيه وفيهم : **﴿ يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين*واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه**

---

(١) انشمر: جد واسرع .

في قلوبكم وكـره اليكم الكفـر والـفسـوق والـعصيـان اولـئك هـم الراشدون﴾[1].

وروى الـطبـرسي ان سبب رجـوع الـوليـد بن عقبـة بن ابي معيط عـداوة بينـه وبـين بني المصـطلق في الجـاهليـة ، فلما رآهم ظن انهم همّـوا بقتله ، وحين عودته الى المدينـة كذب زاعـما انهم منعوا الصـدقات ، فنعتـه القـرآن الكـريم بـالفـاسق . والفـاسق هـو الخـارج عن طـاعـة الله الى معصيته[2] .

---

(١) سورة الحجرات ، آية ٦ ، ٧ .

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي .

قصة الافك

روى صاحب مجمع البيان في تفسيره ، عن عائشة انها قالت : كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اذا اراد سفراً اقرع بين نسائه ، فأيّتهن خرج سهمها خرج بها ، فاقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي ، وذلك بعدما أُنزل الحجاب .

فخرجت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى فرغ من غزوه وقفل ، وكانت هذه الغزوة غزوة بني المصطلق من خزاعة . ودنونا من المدينة ، فقمت حين آذنوا بالرحيل ، فمشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت شأني ، اقبلت الى الرحل ، فلمست صدرتي فاذا عقد من جزع ظفار[1] قد انقطع ، فرجعت والتمست عقدي ، فحبسني ابتغاؤه .

واقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني فحملوا هودجي على بعيري الذي كنت اركب ، وهم يحسبون اني فيه ، وكانت النساء اذ ذاك خفافا لم يهبلهن اللحم[2] ـ ولم يغشهن الشحم . انما ياكلن العلقة[3] من الطعام .

---

(١) الجزع : الخرز اليماني ـ وظفار قرية من قرى يمن ينسب اليها الجزع الظفاري .

(٢) لم يهبلهن : اي لم يكثر عليهن اللحم والشحم .

(٣) العلقة : القليل من الطعام .

فبعثوا الجمل وساروا ، ووجدت عقدي ، وجئت منازلهم ، وليس بها داع ، ولا مجيب . فسموت منزلي الذي كنت فيه ، وظننت ان القوم سيفقدونني ، فيرجعون اليّ فبينا انا جالسة ، اذ غلبتني عيناي فنمت .

وكان صفوان بن المعطل السلمي قد تخلف[1]من وراء الجيش ، فاصبح عند منزلي فرأى سواد انسان نائم ، فعرفني حين رآني ، فخمرت وجهي بجلبابي ، والله ما كلمني بكلمة حتى اناخ راحلته ، فركبتها ، وانطلق يقود الراحلة ، حتى اتينا الجيش ، بعدما نزلوا موغرين[2]في حر الظهيرة . فهلك من هلك فيّ وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله بن ابي سلول .

قدمنا المدينة فاشتكيت ، حين قدمتها شهرا . والناس يفيضون في قول اهل الافك ، ولا اشعر بشيء من ذلك ، وهو يرثيني في وجهي غير اني لا اعرف من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اللطف الذي كنت ارى منه حين اشتكى انما يدخل فيسلم ثم يقول : كيف تيكم ؟ فذلك يحزنني ، ولا اشعر بالسر حتى خرجت بعدما نقهت ، وخرجت معي أم مسطح ، قبل المصانع ، وهو متبرزنا ، ولا نخرج إلا ليلا الى ليل ، وذلك قبل ان نتخذ الكنف ، وامرنا أمر العرب الأول في التنزه ، وكنا نتأذى بالكنف ان نتخذها عند بيوتنا .

وانطلقت انا وأم مسطح ، وامها بنت صخرة ابن عامر خالة ابي ،

---

(١) كان صفوان على ساقة العسكر يلتقط ما يسقط من متاع المسلمين ، حتى يأتيهم به ، ولذلك تخلف . شرح سيرة ابن هشام .

(٢) الوغر : شدة الحر .

فعثـرت ام مسطح في مـرطها فقـالت : تعس مسطح . فقلت لهـا : بئس مـا قلت ، اتسبـين رجـلاً قـد شهــد بـدرا ؟ ! قــالت : اي بنتـاه . . الم تسمعي مـا قـال ؟ قلت : ومـاذا قال ؟ فـأخبـرتني بقـول اهــل الإفـك . فازددت مرضاً الى مرضي .

فلما رجعت الى بيتي ، دخـل عـليّ رســول الله (صـلى الله عليــه وآلـه وسلم) ثم قــال : كيف تيكم ؟ قـلت : تـأذن لي ان آتي ابــوي ؟ ـ قـالت : وانـا اريـد ان اتيقن الخبـر من قبله ، فـأذن لي رسـول الله (صـلى الله عليه وآله وسلم) .

فجئت ابــوي وقلت لامي : يـا أمــه . . مــاذا يتحـدث النــاس ؟ فقـالت : أي بنية هـوّني عليـك ، فـوالله لقـلّ مـا كـانت امـرأة قط وضيئـة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا اكثر عليها القول .

قلت : سبحان الله اوقد يحدث الناس بهذا ؟ ! .

قــالت : نعم ، فمكثـت تلك الـليلة حـتى اصبـحت ، لا يـرقـأ لي دمع ، ولا اكتحل بنوم ، ثم اصبحت ابكي .

ودعـا رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلـم) اسامـة بن زيد، وعـلي بن ابي طـالب (عليه السـلام) حين استلبث الـوحي ،يستشيـرهما في فـراق اهله فـاما اسـامـة فـاشـار عـلى رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) بـالـذي علم من بـراءة اهله وبـالـذي يعلم في نفسـه من الـودّ. فقـال: يـا رســول الله ، هم اهلك ولا نعلم إلا خيـراً . فــامــا عــلي بن ابي طــالب (عليـه السلام) فقـال : لم يضيق الله عليك والنسـاء سواهـا كثيـرة ، وان تسأل الجارية تصدقك .

فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بريرة، فقال: يا بريرة هل رأيت شيئاً يريبك من عائشة ؟ قالت بريرة : والذي بعثك بالحق ان رأيت عليها أمراً قط اغمضه عليها أكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها .

قالت عائشة : وانا والله اعلم أني بريئة وما كنت اظن ان ينزل في شأني وحي يتلى، ولكني كنت ارجو ان يرى رسول الله رؤ يا يبرئني الله بها . فانزل الله تعالى على نبيه واخذه ما كان يأخذه من برحاء الوحي حتى انه لينحدر عنه مثل الجمان من العرق في اليوم الثاني من ثقل القول، الذي أُنزل عليه .

فلما سري عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ابشري يا عائشة أما الله فقد برأكِ . فقالت لي امي : قومي اليه . فقلت : والله لا اقوم اليه ولا احمد إلا الله، فهو الذي انزل براءتي . فانزل الله تعالى : ﴿ **إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الأثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم*لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين*لولا جاؤوا عليه باربعة شهداء فاذا لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون*ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسّكم في ما افضتم فيه عذاب عظيم*إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم** ﴾[1].

---

(١) سورة النور: آية، ١١، ١٢، ١٣ ـ ١٤ .

لقد أكثر بعض المؤرخين واصحاب السير الحديث في تفضيل السيدة عائشة على جميع زوجات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، بل فضلوها على سائر النساء مستدلين على تفضيلها بآية الافك .

لكني اقول : على فرض نزول آية الافك بحقها ، وتنزيهها عن ارتكاب الفحش فالغاية من تنزيهها . تنزيه نفس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن أن يكون عليه مهمز او مغمز . ذلك ان المجتمع العربي في حينه كان مجتمع انساب . والانسان بطبعه يحكم على الناس من خلال رفقائهم ، ومن يتعلق بهم حتى اشتهر المثل القائل : قد يؤخذ الجار بجرم الجار .

واي تصرف شاذ من السيدة عائشة يمكن ان يسيء الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ويجعل في سمعته منقصة وغضاضة . وذلك للعلاقة الوثيقة بينه وبينها . . فهي زوجته ، وحليلته ، وجزء من داره .

ولا ريب ان أي منقصة ، وحزازة في سمعة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ستؤثر تأثيرا سلبيا في مسيرته الرسالية المقدسة ، وطاعة الناس له ،وخصوصا ان الاعداء سيستعلونها كورقة رابحة لمحاربة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) دعائيا . . واعلاميا .

بل قد وقع ذلك كما كان من عبد الله ابن ابي بن ابي سلول رأس اصحاب الافك اذ كان يجتمع الناس عنده ، ويحدثهم بحديث الافك ، ويشيع ذلك بين الناس ويقول : امرأة نبيكم باتت مع رجل ، حتى اصبحت ، ثم جاء يقودها . . والله ما نجت منه ، ولا نجا منها[1] .

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن : للطبرسي .

فكان لا بد من وثيقة تنزيه لزوجة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من الفحش، ليتمكن من الاستمرار في اداء رسالته المقدسة .

والمتفق عليه، انه ليس بين المسلمين من ينسب ام المؤمنين عائشة الى القبيح، وان من العقيدة اسلامية - ان زوجة النبي يجوز أن تكون كافرة، كامرأتي نوح ولوط . ولا يجوز ان تكون زانية. لأن ذلك يخل بمقام النبوة .

وانما يؤخذ عليها ، أنها اخطأت بخروجها على الامام العادل علي بن ابي طالب وحربها له .

وارتكبت اثماً كبيراً، لمخالفتها امر القرآن لها ان تقر في بيتها ﴿ وقرن في بيوتكن ﴾ فسافرت الى العراق تقود الجيوش لحرب علي. فكانت معركة الجمل حيث قتل بسببها الآلاف من المسلمين.

وكانت معركة الجمل اول اسفين دُق في جسم الدولة الاسلامية ولم تلتفت ام المؤمنين الى عظيم خطأتها ، وخروجها من بيت رسول الله الذي خلفها فيه، الا عندما حضرتها الوفاة، فجزعت، وندمت حيث لا ينفع الندم .

روى ابن طيفور وغيره : ان عائشة (رضي الله عنها) لما احتضرت ، جزعت ، فقيل لها : « اتجزعين يا ام المؤمنين ، وانت زوجة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وام المؤمنين . . . . وابنة ابي بكر الصديق ؟!.

فقالت متحسرة . .

ـ ان يـوم الجمـل معتـرض في حلقي . . ليتني مـت قبـله ـ اوكنـت نسيا منسيا[1] .

وقـد ذكـر بعض المفسـرين ان الآيـة نـزلت في مارية القبطية هدية المقوس للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وام ولده ابراهيم .

وذكر السيـد عبـد الله شبـر في تفسيـره قـال : ان آيـة الافـك نـزلت في مـارية القبـطية ومـا رمتها بـه عائشـة ، من انها حملت بابـراهيم من جـريـح القبطي .

وفي تفسير القمي ان آية الافـك نزلت في مـارية القبـطقة ومـا رمتها بـه عائشة .

وقـد ذكر الـطريحي في كتابـه مجمع البحـرين ـ في مادة افـك ـ ان الآيـة نزلت فيمن اتّهم مارية القبطية .

وجـاء في بعض الـروايـات عن الحسن بن عـلي (عليهما السلام) انـه قـال : لمـا هلك ابـراهيم بن رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) ، حزن عليه حزنا شديدا ، فقـالت عائشـة : ما الـذي يحزنـك عليه ؟ مـا هو الا ابن جريح . .

وفي بعض الـروايات ايضـا : قيل للنبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) ان مـارية القبطية ام ابـراهيم ، يأتيهـا ابن عم لها قبـطي ـ يدعى جـريـح ـ فـدعا رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) عـلي بن ابي طـالـب (عليـه السـلام) وقال لـه : يا اخي ، خـذ هذا السيف ، فـان وجـدتـه عنـدهـا ، فاقتله .

---

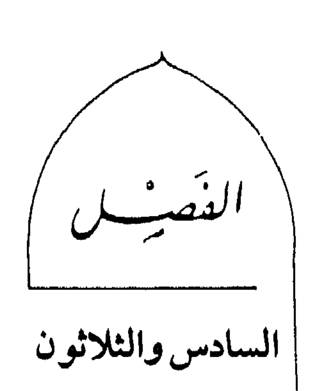
(١) بلاغات النساء : لابن طيفور .

فقـال عـلي : يـا رسـول الله ، اكـون في امـرك اذا ارسلتني كـالسكـة المحماة ، امضي لما امرتني ، أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ؟ .

فقـال (صلى الله عليـه وآله وسلم) : بـل الشـاهـد يـرى مـا لا يـرى الغائب .

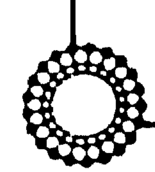
قـال علي (عليـه السلام) : فـاقبلت متـوشحـا بـالسيف ، فـوجـدتـه عنـدها ، فـاخترطت السيف ، فلما عـرف اني اريـده ، ذهب الى نخلة فـرقى اليهـا ، ثم رمى بنفسـه عـلى قفـاه ، وشغـر بـرجليـه ، فـاذا هـو أجب أمسح ، ماله مما للرجال قليل ولا كثير .

فـرجعت فاخبـرت النبي (صلى الله عليـه وآله وسلم) بـذلك فقـال : الحمد لله الذي يصرف عنا السوء ، اهل البيت . الى آخره .



الفصل

السادس والثلاثون





حكم الاسلام في تعدد الزوجات

ان كثيرين من اعداء الاسلام والحاقدين عليه الذين اعمتهم الكراهية لا يفهمون احكام الاسلام وتعاليمه السامية ، وانظمته الصحيحة . يقولون أن الاسلام هو اول دين اباح تعدد الزوجات ، وظلم المرأة ، وانقصها من حقها ، وجار في حكمه عليها وحرمها الحرية التامة . . . فهذا افتراء وتضليل وتشويش على الاسلام ونبيه العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس اول من اتى بقانون تعدد الزوجات ،وليس الاسلام اول دين اباح للرجل ان يتزوج اكثر من واحدة وسلك طريق التعدد لكنه اول دين نظم شؤون الزواج ، وروابط الاسرة، وحدد تعدد الزوجات عند الرجل، وقيدها بقيود شديدة وواجبات واحكام يتحملها ، من المحافظة على زوجته واعالتها وتمريضها ، ان احتاجت له والانفاق عليها واعطاها الحرية في التصرف بامواها ، وها ارثها الى غير ذلك مما هو محلل شرعا . واوصى بالنساء خيرا ، وان يعامل الرجل زوجاته احسن معاملة ، ويعاشرهن بالمعروف، وذلك عند وجود المبررات للتعدد، كالقدرة على الانفاق، والعدل في المعاملة ، فلا يميل الى واحدة اكثر من الاخرى على نحو ينقصها حقها ، فترى نفسها مظلومة مهضومة الحقوق وتشتعل من ذلك نار الغيرة ، وتصبح حينئذٍ حياتها لا تطاق .

ولأجل صيانة حقوق المرأة جعل الاسلام من القيود والشروط التي يتعسر في الغالب على الرجل ان يطبقها على وجهها الصحيح مهما حرص وتحتاج الى جهد ومشقة . قال تعالى : ﴿ **ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما** ﴾[1]والعدل هو العدل المطلوب من الرجل في كل الامور من جميع الوجوه ، من النفقة ، والكسوة ، والعطية ، والمسكن، والصحبة، والبر والعشرة بالمعروف، وادخال السرور. . . الى آخره .

واما الميل النفسي فلن يقدر المرء أن يسوي بين نسائه فيه لأن المحبة والمودة في القلب ولو حرص كل الحرص، لان الميل النفسي ليس بيده، ولا يملكه، فلا يكلف فيه ولا يؤاخذ عليه بشرط ان يكون عادلا في اداء واجباته الزوجية .

وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما في مجمع البيان : انه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يقسم بين نسائه ويقول : اللهم هذه قسمتي فيما املك ، فلا تلمني فيما تملك ولا املك .

وروي عن جعفر الصادق (عليه السلام) عن آبائه : ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يقسم بين نسائه في مرضه، فيطاف به بينهن .

وروي ان عليا (عليه السلام) كان له امرأتان فكان اذا كان يوم واحدة لا يتوضأ في بيت الاخرى[2] .

---

(١) سورة النساء آية ، ١٢٩ .

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي .

ان الاسلام قد اباح للرجال ان يتزوج الواحد منهم من النساء من واحدة الى اربعة، ويجمع بينهن في عصمته بشرط مراعاة العدل في الحقوق والواجبات لان الرجل قبل الاسلام قد جار على المرأة وظلمها وجعلها لا تملك من امرها شيئا، فكان يتزوج الاربع، والخمس، والست، والعشر، ويقول : ما يمنعني ان اتزوج كما يتزوج فلان وفلان . فاذا فنى ماله مال على مال اليتيم الذي في حجره فانفقه ، فنهاهم الله سبحانه وتعالى عن ان يتجاوزوا الاربع ، لئلا يحتاجوا الى اخذ مال اليتيم ، وان خافوا ذلك مع الاربع ايضا اقتصروا على واحدة كما جاء عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى ألا تعولوا** ﴾[1] .

ان العالم العادل المجرد من التعصب، المطلع على تاريخ الاديان ـ يمكنه ان يقول ان محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يأت بهذه العادة ـ وهي تعدد الزوجات ـ الى العرب وغيرهم . . . فان تعدد الزوجات كان قاعدة ، وعادة متبعة بين الشرقيين والغربيين قبل الاسلام ، وقبل عصر الرسول .

ولكي نكون منصفين للاسلام ولنبيه العظيم يجب ان نقول ان محمداً كان له الفضل في تحديد عدد الزوجات بين العرب وغير العرب من المسلمين ، فقد وجد ان تعدد الزوجات كان متبعا من غير تحديد لعددهن من قديم الزمان ، بين اليونان ـ والرومان ، والفرس،

---

(١) سورة النساء، آية ٣.

والهنود ، والعرب ، والاسرائيليين ، والمسيحيين .

وان من يطلع على تاريخ البطاركة ، والملوك قبل الاسلام يجد امثلة كثيرة تدل على اباحة تعدد الزوجات ، من غير اي قيد او شرط كما ذكر ذلك الابراشي في كتابه عظمة الرسول .

يقول الابراشي ايضا : ان من يتصفح تاريخ الابرار والصديقين ، ورجال الاصلاح الذين حملوا أسمى الرسالات الى هذا الوجود الذي نعيش فيه ، يجد ان ظاهرة تعدد الزوجات كانت تلازم حياتهم . ومع ذلك فقد كانوا المثل الاعلى في الطهارة ، والعفة ، والهداية .

فابراهيم (عليه السلام) تزوج اكثر من واحدة ، وكذلك فعل يعقوب وداود ، وموسى من انبياء بني اسرائيل .

ومن هذا يبدو لنا ان ظاهرة تعدد الزوجات في بيئات الهداة من الانبياء لم تكن غريبة ، فقد كانت اشبه بتقليد متبع ، لحكمة مقصودة . اذ ليس من المعقول بالنسبة لهؤلاء الهداة ان تكون الشهوة الجسدية هي الباعث لهم على قبول فكرة التعدد في حياتهم .

قال تعالى : ﴿ **ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنّة الله في الذين خلوا من قبل وكان امر الله قدراً مقدورا*الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله وكفى بالله حسيبا** ﴾[1] .

ذكر الطبرسي في تفسيره : ﴿ **سنة الله في الذين خلوا من قبل** ﴾

(١) سورة الاحزاب : آية ـ ٣٨ ـ ٣٩ ـ

أي كسنة الله في الانبياء الماضين ، وطريقته وشريعته فيهم ، في زوال الحرج عنهم ، وعن اممهم ، بما احل سبحانه لهم من ملاذهم في كثرة الازواج كما فعله داود، وسليمان (عليهما السلام) . وكان لداود مائة امرأة . ولسليمان ثلاثمائة امرأة ، وسبعمائة سرية .



ازواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

ان تاريخ النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يشهد أنه كان مثال الكمال الانساني في جميع اطوار حياته ، من طفولته ، الى صباه ، الى رجولته ، الى مبعثه ، الى هجرته ، حتى وفاته ، لم يفعل ما ينافي مكارم الاخلاق . ولم يخرج عن النواميس البشرية . ولم يكن في وقت من الأوقات ذلك الرجل المتسلط على الناس الذي يحب الجاه والسلطان . ولو اراد ذلك لاعطته قريش ما يريد حينما قام بنشر رسالته شرط ان يسكت عن وجود اصنامها وعبادتها كما اسلفنا .

ولم يكن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك الرجل الشهواني الذي كان يسيل لعابه حينما يرى النساء الجميلات كما يصوره اعداء الاسلام من بعض المبشرين ، والمستشرقين ، الذين يقولون انه كان خاضعا لقانون المجتمع الذي يسمح لكل عظيم بفعل ما يشاء ، يسمح للملوك والرؤساء ويجعل ذواتهم مصونة لا تمس .

ثم اقام اعداء الاسلام قصورا من الخيال في شأن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وصلته بالمرأة واستدلوا على ذلك في كثرة ازواجه . فراحوا يتشدقون حسبما يميل بهم الهوى والتعصب ، او الحقد والكراهية ، من دون روية أو تمحيص لوقائع التاريخ ، أو علم ومعرفة ،

ودراسة صحيحة لشخصية الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وتاريخ حياته .

واذا كان بعض الكتاب والمؤرخين الساذجين في بعض العصور قد اباحوا لانفسهم الكتابة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فكتبوا عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) بانه كان الرجل القوي العظيم ، كما هو الواقع ، فكتبوا عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) بانه كان يحب النساء ومن ذلك تعدد الزوجات .

وقد اخطأوا في ذلك اذ ينكره تاريخ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اشد الانكار، وتأبى دراسة حياته الشريفة ان تقره .

ولكن بعض المؤرخين السذج غاب عن بالهم انهم بعدم التفاتهم وتمحيصهم للحقائق ، كانوا يقدمون لاعداء الاسلام عن حسن نية حججا يتخذونها ذريعة للنيل من الاسلام وقائده العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) .

لقد كان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الرجل المثالي ، الذي اعطى العالم قوانين المعاملات العادلة ، ومن جميع نواحيها . ورفع المرأة من مستوى العبودية ، الى مستوى الحرية والمساواة . وانصف جميع الناس على اختلاف جنسياتهم وطبقاتهم ، اذ قال: ﴿ **لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى** ﴾ .

كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يقوم باتمام التنظيم الاجتماعي في دقة وحسن سياسة ، يوحي اليه ربه ما يوحي ، ويقر هو ما يتفق مع امر الوحي وتعاليمه السامية ، ويضع من تفاصيل ذلك ما كان موضع التقدير والتقديس من اصحابه ومحبيه . وما بقي من بعد ذلك قائماً على

مر الاجيال والدهور، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

لقد عامل (صلى الله عليه وآله وسلم) الناس احسن معاملة حتى لقبته قريش بالامين . وسلك في بيته مع عائلته احسن سلوك ، وساوى بين زوجاته احسن مساواة حتى كان مثال الزوج العادل. وتزوج من النساء ما تقتضيه الشريعة ، والحياة الزوجية ، والاخلاقية ، والمصلحة الاجتماعية .

ذكر اليعقوبي في تاريخه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أنه « تزوج احدى وعشرين امرأة ، وقيل ثلاثا وعشرين ، دخل ببعضهن وطلق بعضا ولم يدخل ببعض، واللاتي دخل بهن أولهن خديجة ابنة خويلد بن اسد، وولدت اولاده اجمعين خلا ابراهيم ، ولم يتزوج عليها حتى ماتت . ثم سودة بنت زمعة ، تزوجها بمكة ، ثم عائشة بنت ابي بكر تزوجها ودخل بها في المدينة ، ثم غزية بنت دودان وهي ام شريك التي وهبت نفسها للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) . ثم حفصة بنت عمر ، ثم زينب بنت خزيمة ، وهي ام المساكين ولم تمت من نسائه عنده غيرها وغير خديجة ، ثم ام حبيبة بنت ابي سفيان . ثم زينب بنت جحش. ثم ام سلمة بنت امية المخزومية ، ثم جويرية واسمها برة بنت الحارث بن ابي ضرار المصطلقية، ثم صفية بنت حيي بن اخطب من بني النجار[1]من سبط هارون النبي ثم ميمونة بنت الحارث، ثم مارية ـ القبطية ـ ام ولده ابراهيم .

هؤلاء اللواتي دخل بهن ، طلق منهن ام شريك » .

---

(١) هكذا وردت في الأصل : والصحيح ان صفية بنت بن أخطب من بني النضير .

يقول الابراشي في كتابه عظمة الرسول : يتساءل العقلاء عن الدافع الحقيقي الى تعدد زوجات الرسول، في فترة من حياته ، فيما بين السنة الثالثة والسابعة من الهجرة ، وهي الحقبة التي اشتد فيها القتال، والدفاع، والنضال، والكفاح في سبيل نشر الدعوة الاسلامية ، واصيب فيها المسلمون بنقص في الانفس والاموال.

قد يستطيع القارىء ان يلتمس الجواب . . بان محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) لما رأى ان عدد الارامل المحتاجات يزداد، بسبب استشهاد أزواجهن في الغزوات ، اخذ يتزوج بعضهن سدا لحاجتهن، وصونا لعفتهن ، وحماية لهن ، وهن الضعيفات .

ويتضح من ذلك ان محمدا لو كان يجري وراء اللذة، كما يتهمه اعداؤه ، لتزوج ابكاراً جميلات في سن الشباب، واكتمال الانوثة ، وتوافر الجاذبية الجنسية . ولكنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يفعل ذلك، اذ كانت زوجاته كلهن من الارامل اللاتي عدا عائشة .

وفضلا عن ذلك فقد كان للعوامل السياسية دخل في تزوجه ببعض هؤلاء الزوجات . ومنهن جويرية من بني المصطلق، فانه ما كاد يتزوجها . . . حتى اخذ بنو المصطلق يدخلون في الاسلام .

وصفية ارملة احد سادات اليهود، لم يكن زواج النبي بها إلا لغرض سياسي بحت، وهو محاولة التوفيق بين اليهود والمسلمين ، وقد كان اليهود يكثرون من تدبير الفتن والمؤامرات ، محاولين القضاء على الدولة الاسلامية الناشئة . وبعد السنة السابعة من الهجرة لم يتزوج النبي قط .

وهذا مما يدل على ان الفترة العصيبة التي اكثر فيها (صلى الله عليه

وآلـه وسلـم) من التزوج كـانت تتوافـر فيها الـدوافـع والاسبـاب التي ادت الى التعدد. فلما ذهبت تلك الدوافـع ، واخـذت الـدولـة الاسـلاميـة تشق طريقها نحو الاستقرار والانتشار، لم يتزوج النبي قط .

ومما لا شك فيـه ان طبيعة محمـد تتعـارض اشـد المعـارضـة مـع تعـدد الـزوجات ، فقـد عاش (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) زوجـا لـواحـدة الى سن الـرابعة والخمسـين . وبذلـك ضـرب المثـل لغيـره من المسلمـين بـان الاقتصار على واحدة هو الافضل في استقرار الحياة الزوجية .

ولكن اذا دعت الظروف في أحوال شاذة قاسيـة طارئـة ، فانـه لا مانـع من التعدد بشروط لما يترتب عليـه من حمايـة النساء ، وصيـانة المجتمـع من ابتـذال المرأة . وهـذا مـا حـدث للنبي (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) فيـما بين السنة الثالثة والسابعة من الهجرة .

وقـد ثبت ان تعدد زوجـات الرسـول وقـع في هـذه الفتـرة ، مما يـدل عـلى أنها حالـة طارئـة تأثـرت بالـظروف المحيطة بهـا . فلما انتهت هذه الظروف عاد الرسول الى الحالة الطبيعية . وفي هـذا دليل قاطـع على انـه لم يكن مـدفوعـاً الى الاكثار من زوجـاته بتأثير التيـارات الجنسيـة ، وانما كـان مدفـوعاً الى ذلـك بعوامـل انسانيـة شريفـة . حاشـا للرسول العفيف الطاهر ، ان يكـون شهوانيـا فقد اضـاف بهذا العمـل الانساني النبيـل عبئاً فوق اعبائه الثقال ، فهؤلاء الـزوجات كـان اكثرهن ارامـل لا عائـل لهن ، فضمهن اليه ملبياً نداء الواجب الانساني .

ومن الواضح ان الـرسول الكـريم (صلى الله عليـه وآله وسلـم) كـان يقضي نهاره في الكفـاح والجهـاد بمحـاربـة اعـداء الله واعـداء الاسـلام ، عاملا جهده في ارساء قواعد رسالته المقدسة واعلاء كلمة الله .

ويقضي ليله في العبادة، والتهجد، وتلاوة القرآن كما وصفه الله تعالى في قوله : ﴿ ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك ، والله يقدِّر الليل والنهار علم ان لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤا ما تيسر من القرآن . . ﴾[1].

روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه كان يقول بعد رجوعه من القتال وجهاد اعداء الله : « رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر . .

فقيل له : وما الجهاد الاكبر يا رسول الله ؟

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : محاربة النفس » .

---

(١) سورة المزمل، آية ٢٠، روى الطبرسي في تفسيره (وطائفة من الذين معك) اي وتقوم طائفة من الذين معك على الايمان . وروى الحاكم ابو القاسم ابراهيم الحسكاني عن ابي صالح عن ابن عباس في قوله ـ وطائفة من الذين معك ـ قال : علي . . وابو ذر.

قصة ام المؤمنين زينب بنت جحش

زينب بنت جحش الاسدية، هي بنت اميمة بن عبد المطلب عمة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

خطبها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على مولاه زيد بن حارثة[1]ورأت زينب أنه يخطبها على نفسه، فلما علمت انه يخطبها على زيد أبت وانكرت، وقالت : انا ابنة عمتك . . ! فلم اكن لافعل . وكذلك قال اخوها عبد الله بن جحش: ابنة عمة الرسول تتزوج عبداً كان مملوكا !؟ وذلك جريا على عادة العرب في التعصب للانساب، والقبائل .

---

(١) زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي، كان حكيم بن حزام بن خويلد قدم من الشام برقيق، فيهم زيد بن حارثة وصيف، فدخلت عليه عمته خديجة بنت خويلد، وهي يومئذ عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال لها : اختاري يا عمة اي هؤلاء الغلمان شئت فهو لك ، فاختارت زيدا فاخذته ، فرآه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عندها ، فاستوهبه منها ، فوهبته له فاعتقه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتبناه ، وذلك قبل أن يُوحى اليه ، ثم قدم حارثة وزيد عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فطلبه منه ، فقال (صلى الله علييه وآله وسلم) لزيد ان شئت فاقم عندي وان شئت فانطلق مع ابيك، فقال: بل اقيم عندك. فلم يزل عند رسول الله حتى بعثه الله، فصدقه، واسلم، وصلى معه .

لكن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اراد ان يتم الزواج ، بين زيد وزينب تنفيذا للامر الالهي : ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امراً ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا** ﴾[1] .

فلما نزلت الآية قالت زينب : رضيت يا رسول الله . . . وجعلت امرها بيد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . وكذلك اخوها عبد الله .

فانكحها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) زيد فدخل بها. وساق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اليها مهرا، عشرة دنانير، وستين درهما، وخمارا، وملحفة، ودرعا ، وازارا ، وخمسين مدا من طعام ، وثلاثين صاعا من تمر .

وروي عن زينب انها قالت : خطبني عدة من قريش، فبعثت اختي حمنة بنت جحش الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) استشيره، فاشار بزيد ، فغضبت اختي وقالت : تزوج بنت عمتك . . مولاك ! ؟ .

ثم اعلمتني، فغضبت اشد من غضبها ، فنزلت الآية ، فارسلت الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقلت : زوجني ممن شئت، فزوجني من زيد .

وكانت زينب في مدة زواجها من زيد ترى نفسها منقبضة غير مرتاحة لهذا الزواج الذي لم يكن موافقا لرغبتها ، وهي الحرة

(١) سورة الاحزاب، آية ٣٧ .

الشريفة . . ابنة عمة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم .

فاخذ الموقف بينها وبين زوجها يزداد سوءاً ولم يطق زيد معاشرتها لترفّعها عنه ، فشكى امره مراراً الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيجيبه (صلى الله عليه وماله وسلم) بكل لطف : امسك عليك زوجك ولا تطلقها واتق الله في مفارقتها ومضارتها . فنزلت الآية : ﴿ **واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوج واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه** ﴾[1] .

ولكن عبثا حاول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تسوية الامر بين زيد وزوجته زينب ، واستفحل الخلاف بينهما فطلقها زيد . وبعد أن طلقها اراد الرسول (صلى الله عليه وآله ان يتزوجها لان زينب كانت مؤمنة شريفة وزوّجها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من زيد مولاه بادىء الامر ولحقها بذلك بعض العار في اوساط مجتمعها ، فاراد (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يزيدها شرفا بان يتزوجها لانه كان السبب في تزويجها من زيد . فعزم ان يتزوج بها اذا فارقها .

لكنه (صلى الله عليه وآله وسلم) خشي مقالة العرب ـ وهي قولهم : ان محمدا امر ابنه زيداً بطلاق زوجته ليتزوجها ـ لان العرب كانوا ينزلون الادعياء في الحكم منزلة الابناء فاراد (صلى الله عليه وآله وسلم) ابطال احكام الجاهلية فنزلت الآية ﴿ **وتخفي في نفسك ما الله مبديه** ﴾ ـ.

وبعد ان طلقها زيد وانقضت عدتها ، جاء النداء من الله تعالى :

---

(١) سورة الاحزاب، آية ٣٧.

﴿ فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا ﴾[1] .

إن غرض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من زواجه من زينب بعد ان طلقها زيد هو اظهار الحكم الشرعي للمجتمع العربي وغيره ، أن الادعياء ليسوا كالابناء في الحقوق الشرعية كالميراث وغيره . وان الولد يلحق بابيه الذي من صلبه لقوله تعالى : **﴿ وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل*ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله ﴾**[2] .

فاذا نوى (صلى الله عليه وآله وسلم) الزواج منها بعد طلاقها باظهار الحكم الشرعي الذي ذكرناه فما المانع اذن ان يتزوجها وهي امرأة خلية لا زوج لها .

لكن دعاة السوء والتضليل وبعض المبشرين والمستشرقين الحاقدين على الاسلام ونبيه العظيم صوروا زواج النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من زينب ابنة عمته تصويراً خاطئاً . ووصفوه بانه كان ناحية غرامية وخضوعا لسلطان الحب والهوى . . . امثال موير ـ ودر منجم ـ وواشنطن ارفنج ـ ولامنس وغيرهم . اعتمادا منهم على بعض الروايات المذكورة في كتب التاريخ ملتمسين اضعف الروايات من ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان شديد الحب لزيد ، وكان اذا ابطأ عليه زيد اتى منزله فيسأل عنه ، فابطأ عليه يوما فاتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منزله ، فاذا زينب جالسة وسط حجرتها تسحق طيبا

(١) سورة الاحزاب، آية ٣٦ .
(٢) سورة الاحزاب، آية ٤ .

بفهر[1] لها . فدفع رسول الله الباب ، فلما نظر اليها قال « سبحان الله خالق النور ـ تبارك الله احسن الخالقين » ورجع .

وعلى فرض صحة الرواية . فاي مناف لقانون الشرع . . والاخلاق اذا ذهب النبي لتفقد احد اصحابه المؤمنين فوجد زوجته في ثيابها المنزلية وعندما سبق نظره اليها ادار بوجهه عنها ورجع من حيث اتى وهو يقول : سبحان الله خالق النور . . . تبارك الله احسن الخالقين .

واي مناف لقانون الشرع والاخلاق ان يتزوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) زينب بعد ان لم يطق زيد معاشرتها كما اسلفنا من ترفعها عليه . . ومن انها حرة قرشية . . ودائماً تردد هي واخوها عبد الله : انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده .

مضافا الى ان النبي كان يلح على زيد بالتمسك بزوجته والابقاء عليها ، ولو كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يهواها لتزوجها ولم يزوجها من زيد، لانها ابنة عمته عرفها في جميع اطوار حياتها ، من طفولتها . . حتى صباها ، وهي على مرأى منه ومسمع .

وخلاصة القول ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اراد من زواجه من زينب بعد ان طلقها زيد وانقضت عدتها ان يزيل ما كانت تدين به العرب من تنزيل الولد المتبنى بمنزلة الولد الحقيقي ، والصاقه بالنسب .

مضافا الى انها اصبحت بلا زوج ، وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) هو السبب بزواجها من زيد . فاراد ان يرفع من مكانتها ويزيل

---

(١) الفهر: الحجر قدر ما يدق به الجوز، او يملأ الكف .

ما كانت تجده بنفسها من ألم كما اسلفنا .

وارتفعت مكانة زينب بعد زواجها من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واصبحت ام المؤمنين ، زوجة الرسول الأعظم .

ورُوي انها كانت تفتخر على سائر نساء النبي (صلى الله عليه وآله وتقول : زوجني الله من النبي ـ وانتن انما زوجكن اولياؤ كن .

وروي ايضا : كانت زينب تقول للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : اني لأدل عليك بثلاث ، ما من نسائك امرأة تدل بهن . . جدي وجدك واحد ، واني انكحنيك الله في السماء وان السفير لي جبرائيل (عليه السلام) .

وقعة الاحزاب

ان وقعة احد كان لها من الخلفيات على سير المعارك التي دارت رحاها ضد المسلمين الشيء الكثير من جرأة العرب ، واليهود ، واهل البوادي ، ومشركي قريش ، وغيرهم .

ولكن قيادة الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) الحكيمة ، استطاعت بعد التضحيات ارجاع مكانة المسلمين ، واستعادة ثقتهم بانفسهم ، وهيبتهم لدى مناوئيهم .

وجاءت وقعة الاحزاب ـ أو الخندق ـ بعد معارك كثيرة قبلها كما اسلفنا . فقلبت الموازين اذ تحول المسلمون بعد انتهاء وقعة الاحزاب الى قوة مهابة الجانب ، يحسب لها الاعداء الف حساب .

وصار محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي اخرجته قريش من مكة قليل الاعوان قويا عزيزا . واصبح في بضع سنوات مرهوب الجانب يهدد وجوده اهل الجزيرة العربية ويقض مضاجعهم .

وصار الاسلام قوة ضاربة مهابة ، وصار المسلم يرى من نفسه أنه بفضل اعتناقه الاسلام قوة بعدما كان يخشى الاعداء على منزله واهله وامواله .

وكانت وقعة الاحزاب . . وكانت القيادة الحكيمة . . وكانت ضربة

علي بن ابي طالب (عليه السلام) يوم الخندق لأقوى رجل من المشركين ـ عمرو بن عبد ود العامري ـ التي عبر عنها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كما رُوي ـ تعدل عم الثقلين .

هذه الأمور مهدت الطريق امام المسلمين فكان من نتائجها فتح خيبر وغيرها ، ثم القضاء على المشركين بفتح مكة . ومضى المسلمون بفخر واعتزاز من نصر الى نصر لفتح بقية البلدان وانتشار الاسلام .

ذكر الطبرسي في تفسيره وغيره من اصحاب السير والمؤرخين : « كان من حديث الخندق ـ يوم الاحزاب ـ أن نفراً من اليهود ، منهم سلام بن أبي الحقيق ، وحيي بن اخطب ، في جماعة من بني النضير الذين اجلاهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة ، فدعوهم الى حرب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليهم ـ على المسلمين ـ حتى نستأصلهم . فقالت لهم قريش : يا معشر اليهود ، انكم اهل الكتاب الأول ، فديننا خير ، ام دين محمد ؟

قالوا : بل دينكم خير من دينه ، فانتم اولى بالحق منه فهم ـ اليهود ـ الذين انزل الله فيهم : **﴿ الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا ﴾** الى قوله : **﴿ وكفى بجهنم سعيرا ﴾**[1].

فسرَّ قريشاً ما قالوا ونشطوا لما دعوهم اليه ، فاجمعوا لذلك ، واستعدوا له .

---

(١) سورة النساء، آية ٥١ ، ٥٥ .

ثم خرج اولئك النفر من اليهود، حتى جاؤ وا غطفان ، فدعوهم الى حرب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، واخبروهم انهم سيكونون معهم عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) وان قريشاً قد بايعوهم على ذلك . فاجابوهم[١] .

وذكر النويري في نهايته ايضا : ان قريشا بعدما بايعوا اليهود واجابوهم ، واجتمعوا معهم : تجهزت ـ قريش ـ وجمعوا احابيشهم ومن تبعهم من العرب، وكانوا اربعة آلاف، وعقدوا اللواء في دار الندوة ، وحمله عثمان بن طلحة بن ابي طلحة ، وقادوا معهم ثلاثمائة فرس، وكان معهم الف وخمسمائة بعير، وخرجوا يقودهم ابو سفيان بن حرب. ووافتهم بنو سليم بمر الظهران ، وهم سبعمائة، يقودهم سفيان بن عبد شمس حليف حرب بن امية ، وهو ابو ابي الاعور السلمي الذي كان مع معاوية بصفين[٢].

وخرجت بنو اسد يقودهم طليحة بن خويلد الاسدي . وخرجت غطفان وفزارة ، معهما الف بعير، يقودهم عيينة بن حصن بن حذيفة ابن بدر[٣] .

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي .

(٢) سفيان بن عبد شمس السلمي خرج مع الاحزاب لحرب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمين لمحو الاسلام، فهو اذن عدو الاسلام. ابنه ابو الاعور السلمي الذي كان مع معاوية بصفين لحرب امام الحق علي بن ابي طالب وصي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .

(٣) عيينة هذا هو الذي قال فيه (صلى الله عليه وآله وسلم) : الاحمق المطاع . لانه كان يتبعه عشرة آلاف قناة . وقال فيه ايضا : ـ ان شر الناس من وادعه الناس اتقاء شره .

وخرجت بنو مرة وهم اربعمائة يقودهم الحارث بن عوف المري وخرجت الشجع وهم اربعمائة يقودهم مسعر بن رخيلة[1] وخرج معهم غيرهم .

فكان جميع من وافى الخندق عشرة آلاف، وهم الاحزاب الذي جاء ذكرهم في القرآن . وكانوا ثلاثة عساكر، ومرجع امرهم الى ابي سفيان بن حرب .

فلما بلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فصولهم - خروجهم - من مكة ندب الناس، واخبرهم خبر عدوهم ، وشاورهم في امرهم، فاشار عليه سلمان الفارسي بالخندق، فاعجب ذلك المسلمين[2] .

(١) وفي بعض النسخ : مسعود بن خيلة بن نويرة بن طريف .
(٢) نهاية الارب في فنون الادب : للنويري ـ ج ١٧ ـ ص ١٦٧ .

قصة الخندق

روى الطبرسي في تفسيره: « لما علم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بنزول الاحزاب، ضرب الخندق على المدينة وكان الذي اشار عليه سلمان الفارسي وكان اول مشهد شهده سلمان مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يومئذٍ حر. قال: يا رسول الله إنا كنا بفارس اذا حوصرنا ، خندقنا علينا ، فعمل فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمون حتى أحكموه .

فمما ظهر من دلائل النبوة في حفر الخندق ما رواه ابو عبد الله الحافظ باسناده عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني قال: حدثني ابي عن ابيه قال : خط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الخندق عام الاحزاب اربعين ذراعا بين عشرة . فاختلف المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي ، وكان رجلا قويا . فقال الانصار: سلمان منّا ، وقال المهاجرون : سلمان منا .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سلمان منا اهل البيت .

قال عمرو بن عوف: فكنت انا وسلمان ، وحذيفة بن اليمان والنعمان بن مقرن ، وستة من الانصار نقطع اربعين ذراعا . فحفرنا حتى اذا بلغنا الثرى، اخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء،

مـدورة ، فكسرت حـديدنـا ، وشقت علينـا . فقلنـا : يـا سلمـان ارق الى رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) فـاخبـره عن الصخـرة ، فـامـا أن نعدل عنها ، فـان المعدل قـريب . واما ان يـأمرنـا فيه بـامره ، فـانا لا نحب ان نجاوز خطه .

فـرقى سلمان حتى اتى رسـول الله (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) وهـو مضـروب عليـه قبـة ، قـال : يـا رسـول الله خـرجت صخـرة بيضـاء من الخندق مدورة ، فكسرت حديدنا ، وشقت علينا ، حتى ما يحك فيها قليل ولا كثير ، فمرنا فيها بامرك .

فهبط رســول الله (صــلى الله عليــه وآلــه وسلم) مــع سلمــان في الخندق ، واخذ المعول[1] وضرب بـه ضربـة ، فلمعت منها بـرقة ، اضـاءت مـا بين لابتيهـا[2] ـ يعني لابتي المدينـة ، حتى لكأن مصبـاحا في جـوف ليـل مـظلم . فكبـر رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) تكبيـرة فتـح . فكبـر المسلمون . ثم ضـرب ضـربـة اخـرى ، فلمعت بـرقـة اخـرى . ثم ضـرب به الثـالثة ، فلمعت بـرقة اخـرى ، فقال سلمـان : بـابي انت وامي يا رسول الله . . . ما هذا الذي ارى ؟

فقـال (صلى الله عليـه وآله وسلم) : امـا الاولى ، فـان الله عـز وجـل فتح عليّ بهـا اليمن . واما الثـانية ، فـان الله فتح عـليّ بها الشـام والمغرب . وامـا الثالثـة ، فان الله فتـح عليّ بهـا المشرق . فـاستبشر المسلمـون بذلـك . وقالوا : الحمد لله ، موعد صادق .

---

(١) المعول : الفأس العظيمة التي ينقر بها الصخر .

(٢) اللابة : الحرة وهي الارض ذات الحجارة السـود التي قد البستهـا لكثرتهـا ، والمدينة المنورة ما بين حرتين عظيمتين .

قـال ـ عمرو بن عـوف ـ : وطلعت الاحزاب فقـال المؤ منـون : هـذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله .

وقـال المنافقـون ألا تعجبون . . يحـدثكم ويعدكم البـاطل، ويخبـركم أنـه يبصر في يثـرب قصـور الحيـرة ، ومـدائن كسـرى، وانها تفتـح لكـم ، وانتم تحفرون الخندق، ولا تستطيعون ان تبرزوا[1] .

وفي البـدايـة والنهـايـة ان رسـول الله (صـلى الله عليــه وآلـه وسلم) عمـل في الخندق، تـرغيبـاً للمسلمـين في الاجـر، وعمـل معـه (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) المسلمـون . وتخلف طـائفــة من المنـافقــين يعتـذرون بـالضعف، ومنهم من ينسـل خفيـة بغـير اذنـه ولا علمـه (صـلى الله عليـه وآله وسلم) .

وقد انزل الله تعـالى في ذلك قـوله : ﴿ **انمـا المؤمنون الـذين آمنوا بـالله ورسوله واذا كانوا معـه على امـر جامـع لم يذهبـوا حتى يستأذنـوه ان الذين يستـأذنونـك اولئك الـذين يؤمنون بـالله ورسـولـه فـاذا استـأذنـوك لبعض شـأنهم فــاذن لمن شئت منهم واستغفــر لهم الله ان الله غـفــور رحيم*لا تجعلوا دعـاء الـرسـول بينكم كـدعـاء بعضكم بعضـا قـد يعلم الله الـذين يتسللون منكم لـو اذا فليحذر الـذين يخـالفـون عن امـره ان تصيبهم فتنـة او يصيبهم عـذاب اليم*ألا ان لله مـا في السمـاوات والارض قـد يعلم مــا انتم عليــه ويــوم يــرجعــون اليــه فينبئهم بمــا عملوا والله بـكــل شيء عليم** ﴾[2] .

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي .
(٢) سورة النور آية ـ ٦٢ ـ ٦٣ ـ ٦٤ .

وفي البداية والنهاية ايضا عن أنس قال: خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى الخندق، فاذا المهاجرون والانصار يحفرون في غداة باردة، ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم ،-فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال: « اللهمَّ ان العيش عيش الآخرة فاغفر للانصار والمهاجرة ».

وقالوا مجيبين له :

نحن الذين بايعوا محمدا　　على الجهاد ما بقينا أبدا

وعن البراء بن عازب قال: « لما كان يوم الاحزاب، وخندق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني التراب جلدة بطنه ، وكان كثير الشعر، فسمعته يرتجز بكلمات عبد الله بن رواحة وهوينقل من التراب ويقول :

اللهم لولا انت ما اهتدينا　　ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا　　وثبت الاقدام ان لاقينا
ان الألى قد بغوا علينا　　وان ارادوا فتنة ابينا

وعن سلمان الفارسي (رضي الله عنه) : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ضرب في الخندق وقال :

بسم الله وبه هدينا　　ولو عبدنا غيره شقينا
يا حبذا ربا وحبَّ دينا

وعن سهل بن سعد قال: كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الخندق، وهم يحفرون ، ونحن ننقل التراب على اكتافنا،

فقـال رسـول الله (صـلى الله عليـه والـه وسلم) : « اللهمَّ لا عيش الا عيش الآخرة، فاغفر للمهاجرين والانصار »[1].

(١) البداية والنهاية لابن كثير وج ٤، ص ٩٦.



وليمة جابر يوم الخندق

ظهر للمسلمين حين حفر الخندق امور كثيرة هي غاية في الاعجاب والتقدير من عناية الله تعالى بالنبي الكريم، ليروا من اياديه المباركة ما يجعلهم ينظرون اليه نظرة الاجلال والتقديس، ويحبونه الحب العجيب، ويعظمونه كل التعظيم .

فكانت نعم الله عليهم تترى ببركاته ، فالطعام القليل يصبح كثيرا، والصعاب تذلل امامهم ، ببركة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي اذا وضع يده على الصخر الاصم عاد كثيبا سائلا ، كما حدث « للكدية ـ او الصخرة » عند حفر الخندق .

واذا جاع المسلمون اكلوا جميعاً في كثير من الاحيان من زاد قليل ، يضع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يده على الزاد، فيكون ما كان اعد للاثنين او الثلاث يكفي للعشرات ، بل المئات . كما حدث في وليمة جابر بن عبد الله الانصاري، التي لم تقل شأنا من حيث خرقها للعادة ـ طعام قليل . . لخلق كثير ـ عن الوليمة التي صنعها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لبني هاشم وبني المطلب، حينما صدع بالرسالة في بدء الدعوة الاسلامية لاظهار نبوته ، بعدما نزل قوله تعالى: ﴿ **وانذر عشيرتك الاقربين** ﴾ .

امـا مـا كـان من وليمـة جـابـر بن عبـد الله الانصـاري فقـد ذكـرهـا المؤرخـون واصحاب السـير عن جابـر حيث قال : كنـا يـوم الخنـدق نحفـر الخنـدق فعرضت فيـه كدية [1]وهي الجبل ، فقلنـا يا رسـول الله : ان كديـة عرضت فيه ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رشوا عليها ماء . ثم قام (صلى الله عليه وآله وسلم) فـاتاهـا وبطنـه معصوب بحجـر من الجـوع . فـاخـذ المعـول ، فسمى ثـلاثـا ثم ضـرب ، فعـادت كثيبـا اهيـل[2]فقلت لـه : إئـذن لي يـا رسـول الله الى المنـزل ، ففعـل ، فجئت وقلت للمـرأة : هـل عنـدك مـن شـيء ؟ فقـالت : عنـدي صـاع من شعـير ، وعناق[3] فـطحنت الشعير وعجنتـه ، وذبحت العناق وسلختهـا ، وخليت بين المرأة وبين ذلك .

ثم اتيت الى رسـول الله (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) فجلست عنـده ساعة ، ثم قلت : إئذن لي يا رسول الله . . ففعل .

فـاتيت المرأة فـاذا العجين واللحم قـد امكنا . فـرجعت الى رسول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) فقلت لـه : ان عنـدنـا طعيـماً لنـا ، فقم يـا رسول الله انت ورجلان من اصحابك .

فقـال (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) : وكم هـو ؟ قلت : صـاع من شعير ، وعناق .

فقـال (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) : للمسلمـين جميعـا قـومـوا الى

---

(١) الكدية : قطعة من الصخر غليظة صلبة لا يعمل فيها الفأس .
(٢) كثيباً اهيل : اي رملا سائلا .
(٣) العناق : الانثى من اولاد المعز قبل استكمال الحول .

جـابـر . . فقـامـوا ، فلقيت من الحيـاء مـا لا يعلمــه الا الله . فقلت جـاء بالخلق على صاع شعير وعناق . . . !

فـــدخلت عـلى المــرأة وقلت : قـد افتضحت . . جـــاءك رســـول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) بالخلق اجمعـين . فقالت : هـل كان سـألك كم طعـامك ؟ قلت : نعم . فقـالت : الله ورسولـه اعلم قد اخبـرنـاه مـا عندنا . . فكشفت عني غما شديدا .

فـدخـل رســول الله (صـلى الله عليــه وآلـه وسلم) فقـــال : خــذي ودعيني من اللحم[1] .

فجعـل رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) يثرد ويفـرق اللحم ثم يحم هـذا ويحم هذا[2] فـما زال يقـرب الى النـاس حتى شبعوا اجمعـين . ويعـود التنور والقـدر املأ مـا كانـا ثم قال رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) كلي واهدي . فلم نزل نأكل ونهدي قومنا اجمع[3] .

---

(١) هكذا في الاصل - .

(٢) ويحم هذا ولعله يجم وفي اللغة : جم الاناء ملأه .

(٣) راجع مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي وسيرة بان هشام ، وغيرهما .



استشارة النبي بعض اصحابه . . واختبارهم

لما تألّبت العرب وتجمعت لقتال الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وجاءت جموعهم من كل حدب وصوب لحرب المسلمين .

ولما رأى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قريشا ومن تابعها من الاحابيش[1] ومن بني كنانة ، واهل تهامة جاءت بعدتها وعديدها .

ولما رأى (صلى الله عليه وآله وسلم) غطفانا القبيلة الكبيرة وغيرها ممن تابعها من اهل نجد اقبلت لقتاله .

ولما رأى المسلمين قد ارتاعوا من كثرة عدوهم ، وهالهم امرهم . ورأى (صلوات الله عليه وآله) ضعف قلوب اكثر المسلمين من الحصار المضروب عليهم ووهنهم في الحرب بعث الى عيينة بن حصن ، والحرث بن عوف ، وهما قائدا غطفان ، يدعوهم الى صلحه والكف عنه ، والرجوع بقومهما عن حربه ، على ان يعطيهم ثلث ثمار المدينة .

واستشار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ، فيما بعث به الى عيينة ، والحرث . . فقالا له : يا رسول الله

---

(١) الاحابيش : الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة .

ان كـان هـذا الأمـر لا بـد لنـا من العمـل بـه ، لأن الله امـرك فيـه بمـا صنعت ، والـوحي جاءك بـه ؟ فافعـل ما بـدا لـك . . وان كنت تختـار أن تصنعه لنا ، كان لنا فيه رأي . . .

فقـال (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) : لم يـأتني وحي بـه ، ولكني رأيت العـرب قد رمتكم عن قـوس واحدة، وجـاؤكم من كـل جـانب . . فاردت أن اكسر عنكم من شوكتهم الى امر ما .

فقـال سعد ابن معـاذ: قد كنـا نحن وهؤلاء القوم عـلى الشرك بـالله ، وعبـادة الاوثان ، لا نعـرف الله ، ولا نعبده ، ونحن لا نـطعمهم من ثمرنـا إلا قرىً، او بيعاً . . والآن حـين اكـرمنـا الله بـالاسـلام ، وهـدانـا بـه ، وأعـزنا بـك ، نعطيهم امـوالنا ! مـا بنـا الى هـذا من حـاجـة . . . والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم .

فقـال رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) : الآن قـد عـرفت مـا عنـدكم ، فكونـوا على مـا انتم عليه ، فـان الله تعالى لن يخـذل نبيـه ، ولن يسلمه حتى ينجز له ما وعده .

ثم قـام رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) في المسلمـين يـدعـوهم الى جهـاد العـدو، ويشجعهم ، ويعـدهم النصـر مـن الله تعالى . [1].

لكن المنافقين والـذين في قلوبهم مرض واصحـاب الفتن ، الموجـودين في كـل زمـان ومكـان راحـوا ينـدسـون في صفـوف المسلميـن يثبـطون عـزائمهم عن القتال، ويقـولون : انـظروا الى محمد، يعـدنـا ان يفتـح لنـا

---

(١) الارشاد: للشيخ المفيد، ص ٥٢.

مـدائن كسـرى وقيصـر . . ونحن لا نـأمن ان نـذهـب الى الخـلاء . . هـذا والله الغرور .

ثم يقولون لمن عـلى شاكلتهم من ضعفـاء الايمان : ارجعـوا الى المدينـة لان بيـوتنا عـورة وليست بحريـزة وهي مكشوفـة وغـير حصينـة ، وبيـوتنـا ايضـا خاليـة من الرجـال نخشى عليها . . وبيـوتنا ممـا يلي العـدو ولا نـأمن عـلى اهالينـا . وذهب فريق منهم يستـأذن الرسـول بـالـرجـوع الى المـدينـة والعودة الى بيوتهم .

فكـذبهم الله سبحانـه وتعـالى ونـزل قـولـه : ﴿ **واذ يقـول المنـافقـون والـذين في قلوبهم مـرض مـا وعـدنـا الله ورسـولـه الا غـرورا*واذ قـالت طـائفة منهم يـا اهـل يثـرب لا مقـام لكم فـارجعـوا ويستئـذن فـريق منهم النبي يقـولون ان بيـوتنا عـورة وما هي بعـورة ان يـريـدون الا فـرارا*ولـو دخلت عليهم من اقـطارهـا ثم سُئلوا الفتنــة لأتـوهــا ومـا تلبثــوا بهـا الا يسيرا*ولقد كـانوا عـاهدوا الله من قبـل لا يولـون الادبـار وكـان عهـد الله مسؤلا *قل لن ينفعكم الفرار أن فررتم من الموت أو القتل واذاً لا تمتعون الا قليــلا*قـل من ذا الــذي يعصمكم من الله ان اراد بكم ســوءً أو أراد بكم رحمـة ولا يجـدون لهم من دون الله وليـا ولا نصيـرا*قـد يعلـم الله المعـوقـين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا** ﴾[1]

واقبلت الاحزاب ، وجموع المشركين حتى نزلوا الى جانب احد ناحية الخندق واصبح الخندق فاصلا بينهم وبين المسلمين وضربـوا

---

(١) سورة الاحزاب، آية ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ .

حصارا هائلا دام بضعا وعشرين ليلة، لم يكن بينهم حرب الا الرمي بالنبل والحصى.

وهذا الحصار ارتاع له المسلمون كما اسلفنا ، وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف ، واتاهم عدوهم من فوقهم ومن اسفل منهم ، حتى ظن المؤمنون كل ظن . . . كما في قوله تعالى :

﴿ اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم وإذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا*هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ﴾[1].

---

(١) سورة الاحزاب، آية ١٠، ١١.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدفاع عن المدينة ـ معقل المسلمين

لما اقبلت جموع الأحزاب من المشركين واحاطوا بالمدينة ، خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع[1] في ثلاثة آلاف من المسلمين . ضرب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هناك عسكره ، والخندق بينه وبين القوم ، وامر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام[2] .

وخرج عدو الله حيي بن اخطب النضيري حتى اتى كعب بن اسد القرظي ، صاحب بني قريظة ، . وكان قد وادع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على قومه وعاهده على ذلك .

فلما سمع كعب صوت ابن اخطب اغلق دونه حصنه ، فاستأذن عليه فابى ان يفتح له . فناداه : يا كعب افتح لي . . فقال : ويحك يا حيي ، انك رجل مشؤوم ، اني قد عاهدت محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) ولست بناقض ما بيني وبينه ، ولم ار منه الا وفاء وصدقا .

---

(١) سلع : جبل بالمدينة .
(٢) الآطام : الابنية المرتفعة كالحصون .

قـال : ويحك افتـح لي اكلمك . قـال : ما انـا بفاعـل . قـال : ان اغلقت دوني الا على حشيشة[1] تكره أن آكل منها معك .

فـاحفظ الرجـل[2] ففتح لـه ، فقـال: ويحـك يـا كعب ، جئتـك بعـز الدهر، وببحر طام[3] جئتك بقريش على قادتهـا وسادتهـا . وبغطفـان على سـادتها وقـادتها ، قـد عاهـدوني ان لا يبرحـوا حتى يستـأصلوا محمـدا ومن معه .

فقال كعب: جئتني والله بذل الـدهر، بجهـام[4] قد أهـرق ماؤه يـرعد ويبـرق وليس فيه شيء، فـدعني ومحمدا، ومـا انـا عليـه، فلم ار من محمـد الا صدقا ووفاء .

فلم يـزل حيي بكعب يفتل منـه في الذروة والغـارب[5] حتى سمـح لـه عـلى ان اعطاه عهـدا وميثاقـا ، لئن رجعت قـريش وغـطفـان ، لم يصيبـوا محمـدا ان ادخـل معـك في حصنـك حتى يصيبني مـا اصـابـك . فنقض كعب عهـده وبـرىء ممـا كـان عليـه فيـما بينـه وبـين رسـول الله (صـلى الله عليه وآله وسلم) .

---

(١) حشيشـة : وفي روايـة جشيشـة : وهـو طعـام يصنـع من الجشيش وهـو البر ـ الحنطة ـ يطحن غليظا اكلة خاصة عندهم .
(٢) احفظه : بمعنى اغضبه .
(٣) طام : مرتفع ، ويريد كثرة الرجال .
(٤) الجهام : السحاب الرقيق الذي لا ماء فيه .
(٥) هذا مثل، واصله في البعير يستصعب عليك، فتاخذ القرادة من ذروته وغارب سنامه وتفتل هناك ، فيجد البعير لذة، فيأنس عند ذلك . فضرب هذا الكـلام مثلا في المراوضة والمخاتلة ـ شرح سيرة ابن هشام .

فلما انتهى الخبر الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث سعد بن معاذ وهو يومئذ سيد الأوس ، وسعد بن عبادة وهو يومئذ سيد الخزرج ، ومعهما عبد الله بن رواحة ، وخوّات بن جبير، فقال : انطلقوا حتى تنظروا احق ما بلغنا عن هؤلاء القوم ، أم لا ؟ ! فان كان حقا فالحنوا لنا لحنا نعرفه ، ولا تفتوا اعضاد الناس[1]وان كانوا على الوفاء، فاجهروا به للناس .

وخرجوا حتى اتوهم فوجدوهم على اخبث مما بلغهم عنهم . قالوا : لا عقد بيننا وبين محمد ولا عهد . فشاتمهم سعد بن عبادة، وشاتموه . وقال سعد بن معاذ: دع عنك مشاتمتهم ، فان ما بيننا وبينهم اعظم من المشاتمة .

ثم اقبلوا الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالوا : ـ لقد غدروا غدر عضل والقارة باصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الرجيع ـ.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : الله اكبر ابشروا يا معشر المسلمين ، وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وظهر النفاق من بعض المنافقين كما اسلفنا .

---

(١) لقد كان المسلمون في خوف شديد من تكالب المشركين عليهم يوم الاحزاب فاراد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والله العالم بعد نقض يهود بني قريظة العهد ان لا يعطوا قضية نقض عهد اليهود واعلان حربهم اهمية . . حتى لا يزداد المسلمون خوفا على خوفهم وتنهار معنوياتهم .

فـاقام رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) واقـام المشركـون عليه بضعا وعشرين ليلة[١] .

وفي روايـة ابن هشام عن ابن اسحـاق : ان عائشـة ام المؤمنين كانت في حصن بني حـارثـة يـوم الخنـدق، وكـان من احـرز حصـون المـدينـة . وكـانت ام سعـد بن معـاذ معهـا في الحصن، فقـالت عـائشـة : فمـر سعـد وعليـه درع له مقلصـة، قد خـرجت منهـا ذراعـه كلهـا ، وفي يـده حـربتـه يرقد بها ويقول[٢] .

لبث قليـــلا يشهـــد الهيجـــا جمـــل لا بأس بالمـوت اذا حان الاجـل[٣]

فـرمي سعد بن معـاذ بسهـم ، فقطع منـه الاكحل رمـاه به ابن العـرقة فلما اصابه ، قال : خذها مني وانا ابن العرقة .

فقـال لـه سعـــد : عـرَّق الله وجهـــك في النـار، اللهمَّ ان كنت ابقيت من حـرب قريش شيئاً فابقني لهـا ، فـانـه لا قـوم احب الي أن اجـاهـدهم من قـوم آذوا رسـولـك وكـذبـوه واخـرجـوه ، اللهمَّ وان كنت قـد وضعت الحـــرب بيننـا وبينهم فـــاجعله لي شهـادة، ولا تمتني حتى تقـــر عيني من بني قريظة .

وعن ابن اسحـاق ايضا : كـانت صفية بنت عبـد المـطلب في فـارع ، حصن حسـان بن ثابت ، قـالت : ـ صفية ـ وكـان حسـان بن ثـابت معنـا فيـه ، مـع النسـاء والصبيـان . فمـر بنـا رجـل من يهـود، فجعـــل يـطيـف

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي .

(٢) ويرقد: يسرع وفي رواية- يرقل .

(٣) جمل: اسم رجل وهذا الرجز قديم تمثل به سعد. وفي رواية حمل، بالحاء .

بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة ، وقطعت ما بينها وبين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ، ورسول الله والمسلمون في نحور عدوهم ، لا يستطيعون ان ينصرفوا عنهم الينا ان اتانا آت .

قالت : فقلت : يا حسان ان هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن ، واني والله لا آمنه ان يدل على عورتنا من ورائنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه ، فانزل اليه فاقتله .

قال حسان : يغفر الله لك يا بنة عبد المطلب ! والله لقد عرفت ما انا بصاحب هذا .

قالت صفية : فلما قال لي ذلك ، ولم ار عنده شيئاً ، احتجزت[1] ثم اخذت عمودا ، ثم نزلت من الحصن اليه ، فضربته بالعمود حتى قتلته .

قالت : فلما فرغت منه ، رجعت الى الحصن ، فقلت : يا حسان ، انزل اليه فاسلبه ، فانه لم يمنعني من سلبه الا أنه رجل .

قال حسان : ما لي بسلبه من حاجة يا ابنة عبد المطلب[2] .

---

(١) احتجزت : شددت وسطي . وفي رواية : اعتجرت .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٩ .



قتل علي (عليه السلام) لعمرو بن عبد ود العامري

اقـام رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) والمسلمـون ـ يـوم الخنـدق ـ واقـام المشـركـون بضعـا وعشـرين ليلة ، لم يكن بينهم قتـال الا الـرمي بالنبـل . الا أن فـوارس من قـريش، منهم عمـرو بن عبـد ود أخـو بني عـامر بن لؤ ي ، وعكـرمة بن ابي جهـل، وضرار بن الخـطاب، وهبيـرة بن ابي وهب، ونـوفـل بن عبـد الله ، قـد تلبسـوا للقتـال، وخـرجـوا عـلى خيـولهم حتى مـروا بمنـازل بني كنـانـة ، فقـالـوا : تهيأوا للحـرب يـا بني كنانة، فستعلمون اليوم من الفرسان .

ثم اقبلوا تعنق[١]بهم خيـولهم ، حتى وقفـوا عـلى الخنـدق فقـالـوا : والله ان هذه لمكيدة ما كانت العـرب تكيدهـا . ثم تيمموا مكـانا ضيقـا من الخندق، وضربوا خيولهم ، فـاقتحموا فجـالت بهم في السبخة بـين الخندق وسلع .

وخرج علي بن ابي طـالب (عليه السـلام) في نفر من المسلمـين حتى اخذ عليهم الثغرة[٢] التي منها اقتحموا واقبلت الفرسان نحوهم .

---

(١) اعنق به فرسه : سا ربه سيرا واسعا فسيحا مسيطرا ممتدا.
(٢) الثغرة: الثلم الذي كان في الخندق.

وكان عمرو بن عبد ود فارس قريش، وكان قد قاتل يوم بـدر حتى ارتث[1] واثبتته الجراح ، ولم يشهد أُحداً .

فلما كان يوم الخندق، خرج معلما[2] ليرى مشهده ، وكان يعد بالف فارس، وكان يُسمى فارس يليل ـ لأنه اقبل في ركب من قريش حتى اذا كانوا بيليل . . . وهو واد قريب من بدر، عرضت لهم بنو بكر في عدد، فقـال لاصحابـه : امضـوا ، فمضـوا ، فقـام في وجـوه بني بكـر، حتى منعهم من أن يصلوا اليه فعرف بذلك.

وكان اسم الموضع الذي حُفـر فيه الخنـدق المداد[3]. وكـان اول من طفره عمرو واصحابه فقيل في ذلك :

عمـرو بن عبـد كـان اول فـارس جـزع المـداد وكـان فـارس يليـل

وروى الطبرسي عن ابن اسحاق: ان عمر بن عبد ود كان ينادي : من يبارز . . فقام علي (عليه السلام) وهو مقنع في الحديد فقال: انا له يـا نبي الله فقـال لـه رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) : انـه عمرو . . اجلس .

ونادى عمرو: ألا رجل ؟ . . وهو يؤنبهم ، ويقول : أين جنتكم التي تزعمون ان من قتل منكم دخلها ؟ ! .

فقام علي (عليه السلام) فقال: انا له يا رسول الله .

---

(١) ارتث: حمل من المعركة رثيثاً الرثيث: الجريح فيه رمق.

(٢) المعلم: الذي جعل له علامة يعرف بها .

(٣) المداد: وفي رواية المذاد بضم الميم والذال.

ثم نادى ـ عمرو ـ الثالثة فقال :

ولقد بححت من الندا ء بجمعكم هل من مبارز
ووقفت اذ جبن المشجع موقف البطل المناجز
ان السماحة والشجا عة في الفتى خير الغرائز

فقام علي (عليه السلام) فقال: يا رسول الله انا له .

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) انه عمرو .

فقال ـ علي ـ وان كان عمرا . . فاستأذن رسول الله فاذن له وعن حذيفة قال : فالبسه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) درعه ذات الفضول، واعطاه سيفه ذا الفقار، وعممه عمامة السحاب على رأسه تسعة اكوار، ثم قال له تقدم . فلما ولى قال (صلى الله عليه وآله وسلم): اللهمَّ احفظه من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه ، وعن شماله، ومن فوق رأسه، ومن تحت قدميه . . .

وعن ابن اسحاق : مشى ـ علي ـ اليه وهو يقول :

لا تعجلن فقد اتا ك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة والصدق منجي كل فائز
اني لأرجو أن اقيـ ـم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز

قال له عمرو : من انت ؟ .

قال : انا علي . . .

قال: ـ عمرو ـ ابن عبد مناف ؟ .

فقـال: انا عـلي بن ابي طالب بن عبـد المطلب بن هـاشم بن عبـد مناف . .

فقـال : ـ عمرو ـ غيـرك يـا ابن اخي من اعمـامـك من هـو أسن منك ، فاني اكره أن اهرق دمك .

فقال علي (عليـه السلام) : لكني والله مـا اكره أن أهـرق دمك ، فغضب عمرو ونزل وسل سيفه كأنه شعلة نار، ثم اقبل نحو علي مغضبا فاستقبله علي بدرقته فضربه عمرو بالدرقة فقـدها ، واثبت فيهـا السيف واصاب رأسه فشجه ، وضربه علي على حبل العاتق فسقط .

وفي رواية حذيفة : وتسيف علي رجليه بالسيف من اسفـل ، فوقـع على قفاه وثارت بينهما عجاجة ، فَسُمع علي يكبر . .

فقـال رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) قتله والـذي نفسي بيده .

فكان اول من ابتدر العجاج عمر بن الخطاب فاذا علي يمسح سيفـة بدرع عمرو فكبر عمر بن الخطاب وقال: يا رسول الله قتله . فحز علي رأسه واقبل نحو رسول الله ووجهه يتهلل .

فقال عمر بن الخطاب ـ لعلي ـ : هلا استلبته درعه، فانه ليس درع للعرب خير منها .

فقـال علي: ضـربتـه فـاتقـاني بسـوأتـه ، فـاستحييت ابن عمي ان استلبه .

قال حذيفة فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : ابشر يا علي فلو وزن اليوم عملك بعمل امة محمد لرجح عملك بعملهم . وذلك انه

لم يبق بيت من بيوت المشركين الا وقد دخله وهن بقتل عمرو، ولم يبق بيت من بيوت المسلمين الا وقد دخله عز بقتل عمرو[1].

وفي الارشاد للشيخ المفيد عن جابر أن علياً قال: يا عمرو انك كنت في الجاهلية تقول : لا يدعوني احد الى ثلاث واللات والعزى الا قبلتها او واحدة منها ؟

قال عمرو : اجل .

قال علي: اني ادعوك الى شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وان تسلم لرب العالمين .

قال عمرو : يا ابن الأخ اخر هذه عني ! فقال له امير المؤمنين : اما انها خير لك لو اخذتها .

ثم قال : فها هنا اخرى: فقال: وما هي ؟

قال علي: ترجع من حيث جئت .

قال عمرو : لا تُحدث نساء قريش بهذا ابدا .

قال علي: فها هنا اخرى.

قال عمرو: وما هي ؟

قال علي: تنزل فتقاتلني . . . فضحك عمرو وقال: ان هذه الخصلة ما كنت اظن ان أحداً من العرب يرومني عليها ، اني لأكره ان اقتل الرجل الكريم مثلك . . وقد كان ابوك لي نديما .

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي .

قال علي (عليه السلام) : لكني احب ان أقتلك فانزل ان شئت .
فاسف عمرو ونزل وضرب وجه فرسه حتى رجع .

فقال جابر رحمه الله : فثارت بينهما قترة - عجاجة - فما رأيتهما ، فسمعت التكبير تحتها فعلمت ان عليا (عليه السلام) قد قتله .

فقال جابر: فما شبهت قتل علي عمروا الا بما قص الله تعالى من قصة داود (عليه السلام) وجالوت حيث يقول جل شأنه : ﴿ **فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت** ﴾[1] .

---

(١) الارشاد: للشيخ المفيد – ص ٥٤ .

انهزام اصحاب عمرو بعد مقتله

حينما اقتحم عمرو بن عبد ود العامري واصحابه الخندق، اقتحموه وفي زعمهم وفي خلدهم انهم الغالبون ، وان المسلمين لا يقدرون على مجابهتهم ، وخصوصا بعد ان رأوا أنه لم يجرأ أحد من اصحاب محمد على منازلتهم . مضافا الى تفوقهم على المسلمين بالعدد والعُدد، وقد اتحدت قريش، والعرب، واليهود على قتال محمد واصحابه واستئصالهم كما اسلفنا .

طفر عمرو واصحابه الخندق بخيولهم واخذوا يجولون امام المسلمين في ارض واحدة ، وقد اصطفت وراء الخندق جموع الاحزاب المحتشدة فاخذ عمرو واصحابه الغرور، وتاهوا في خيلائهم وحسبوا انهم في عز ومنعة ولذا نادى عمرو متبجحا :

ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز

ولم يكن يدور في خلد عمرو أن يلبي نداءه علي بن ابي طالب البطل الشجاع فيقتله وينهزم اصحابه شر هزيمة .

ولكن حينما جاء علي للبراز تغير الحال مع عمرو واصحابه إذ اخذ عمرو يحاول في علي ان لا يبارزه خوفا منه لانه سمع بمواقفه يوم بدر ويوم احد وهكذا .

لـذلك كـان يقول لـه تارة : ـ « فليـأتي من اعمامـك من هـو اسن منك » وتارة يقول له : ـ « ان اباك كان نديما لي، ولا أُحب ان اقتلك » وطورا يقول له : ـ « اني لأكره أن اقتل الرجل الكريم مثلك ».

كل هذا الحوار من عمرو لم يكن حفـاظا عـلى حياة عـلي ولكن كان خوفا على نفسه من علي، ولم يكن بوسعـه الرجـوع عن الحرب ومبـارزة عـلي خوفـا من أن تتحدث النسـاء بمكة من أنـه رجع منهـزما ويصبـح احدوثة انهزام في افواه الناس وهو المعروف بالشجاعة والفروسيـة . فلم يربدا من مبارزة علي بن ابي طالب . . فقتل وكان عاقبة امره خسرا .

وفي الارشـاد للشيخ المفيد: ان علي بن ابي طـالب (عليه السـلام) قال بعد مقتل عمرو يوم الخندق أبياتا منها :

أعـلي تقتحم الفـوارس هكـذا	عـني وعنهـا خـبـروا اصحـابي
ارديت عمروا اذ طـغى بمهنـدٍ	صـافي الحـديـد مجرب قضـاب
فضـربتـه وتـركتـه متجـدلا	كـالجـذع بـين دكادك وروابي
وعففت عن اثـوابـه ولـو انـني	كـنـت المـقـطر بـزني اثـوابي
نصـر الحجـارة من سفـاهـة رأيـه	ونصـرت رب محمـد بـصـواب

ولمـا قتل عمـرو بن عبد ود انكشف اصحـابه حتى طفـرت خيولهم الخندق،وتبادر اصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حين سمعوا التكبير ينظرون مـا صنع القـوم ، فوجـدوا نوفـل بن عبد الله في جـوف الخندق لم ينهض به فرسه ، فجعلوا يرمونـه بالحجـارة ، فقال لهم : قتلة اجمـل من هذه ينـزل اليَّ بعضكم اقاتله ، فنـزل اليه امـير المؤمنين عـلي (عليـه السلام) فضـربه حتى قتله . ولحق هبيـرة فـاعجـزه ، وضـرب

قربوس سرجه ، وسقطت درع كانت عليه ، وفر عكرمة ، وهرب ضرار بن الخطاب .

وفي مجمع البيان عن ابن اسحاق ان عليا طعن نوفلا في ترقوته حتى اخرجها من مراقه فمات في الخندق، وبعث المشركون الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يشترون جيفته بعشرة آلاف فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو لكم لا نأكل ثمن الموتى .

وروى عمرو بن عبيد عن الحسن البصري قال : أن عليا (عليه السلام) لما قتل عمرو بن عبد ود حمل رأسه فالقاه بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقام أبو بكر وعمر فقبلا رأس علي (عليه السلام) .

وروي عن ابي بكر بن عياش انه قال : ضَرب عليٍ ضربة ما كان في الاسلام اعز منها - يعني ضربة عمرو بن عبد ود - وضُرب علي ضربة ما كان في الاسلام اشأم منها - يعني ضربة ابن ملجم عليه لعائن الله .

وفي الارشاد للشيخ المفيد عن ربيعة السعدي قال : اتيت حذيفة بن اليمان فقلت له : يا ابا عبد الله انا لنتحدث عن علي (عليه السلام) ومناقبه ، فيقول لنا اهل البصرة . . انكم تفرطون في علي . . هل انت محدثي بحديث فيه ؟ .

فقال حذيفة : يا ربيعة وما تسألني عن علي (عليه السلام) ، فوالذي نفسي بيده لو وضع جميع اعمال اصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في كفة الميزان منذ بعث الله محمدا الى يوم الناس هذا،

ووضع عمل علي (عليه السلام) في الكفة الاخرى، لرجح عمل علي (عليه السلام) على جميع اعمالهم .

فقال ربيعة : هذا الذي لا يقام له ولا يقعد . . . !

فقال حذيفة : يا لكع ، وكيف لا تحمل . . . واين كان ابو بكر ، وعمر ، وحذيفة ، وجميع اصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم عمرو بن عبد ود وقد دعا الى المبارزة ، فاحجم الناس كلهم ما خلا عليا (عليه السلام) فانه برز اليه وقتله الله على يده .

والذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم اعظم اجراً من عمل اصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الى يوم القيامة .

وذكر السيوطي في الدر المنثور : في ذيل تفسير قوله تعالى : ﴿ **ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال** ﴾.

اخرج ابن حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن ابن مسعود (رضي الله عنه) أنه كان يقرأ هذا الحرف وكفى الله المؤمنين القتال بعلي بن ابي طالب :

وروي انه قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد محاربة علي لعمر بن عبد ود : كيف وجدت نفسك يا علي قال : وجدتها لو كان كل اهل المدينة في جانب لقدرت عليهم[1].

وروي لما قتل علي (عليه السلام) عمرو بن عبد ود وورد نعيه الى اخته عمرة قالت : من قتله ؟ من الذي اجترأ عليه ؟ ! قيل لها : علي

(١) الفضائل الخمسة من الصحاح الستة : الفيروز آبادي ، ج ٢ ص ٣٢٣ .

ابن ابي طالب . قالت : لقد قتل الابطال، وبارز الاقران ، وكانت ميتته على يد كفء كريم من قومه ، ثم انشأت تقول :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله — لكنت ابكي عليه دائم الأبد
لكن قاتله من لا يعاب به — قد كان يدعى ابوه بيضة البلد
من هاشم في ذراها وهي صاعدة — الى السماء تميت الناس بالحسد
قوم ابى الله الا ان يكون لهم — كرامة الدين والدنيا بلا لدد
يا ام كلثوم ابكيه ولا تدعي — بكاء معولة حرى على ولد

وقالت ايضا في قتل اخيها وذكر علي بن ابي طالب (عليه السلام) من ابيات :

اسدان في ضيق المكر تصاولا — وكلاهما كفؤ كريم باسل
فتخالسا مهج النفوس كلاهما — وسط المدار مخاتل ومقاتل
فاذهب علي فما ظفرت بمثله — قول سديد ليس فيه تحامل
ذلت قريش بعد مقتل فارس — فالذل مهلكها وخزي شامل

ثم قالت: والله لا ثأرت قريش باخي ما حنت النيب .



قصة نعيم بن مسعود في تخذيل المشركين

روى الطبري في تاريخه : ان نُعيم ابن مسعود الغطفاني اتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا رسول الله، اني قد اسلمت، وان قومي لم يعلموا باسلامي ، فمرني بما شئت.

فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : انما أنت فينا رجل واحد، فخذِّل عنا ان استطعت ، فان الحرب خدعة .

فخرج نعيم بن مسعود حتى اتى بني قريظة ـ وكان لهم نديماً في الجاهلية ـ فقال لهم : يا بني قريظة ، قد عرفتم ودي اياكم ، وخاصة ما بيني وبينكم ، قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتهم .

فقال لهم : ان قريشا وغطفان قد جاؤ ا لحرب محمد، وقد ظاهرتموهم عليه ، وان قريشا وغطفان ليسوا كهيئتكم[1] البلد بلدكم ، به اموالكم وابناؤكم ونساؤكم ، لا تقدرون على أن تحولوا منه الى غيره ، وان قريشا وغطفان اموالهم وابناؤهم ونساؤهم وبلدهم بغيره ، فليسوا كهيئتكم ، ان رأوا نهزة وغنيمة اصابوها ، وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم ، وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به

(١) وفي سيرة ابن هشام : كانتم .

ان خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من اشرافهم يكونون بايديكم ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم محمدا، حتى تناجزوه .

فقالوا : لقد اشرت برأي ونصح .

ثم خرج حتى اتى قريشا، فقال لابي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: يا معشر قريش، قد عرفتم ودي اياكم ، وفراقي محمدا، وقد بلغني امر رأيت حقا علي ان ابلغكموه نصحا لكم ، فاكتموا علي .

قالوا : نفعل . . قال : فاعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا اليه ان قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك عنا أن نأخذ من القبيلتين . . من قريش وغطفان رجالا من اشرافهم ، فنعطيكهم ، فتضرب اعناقهم ، ثم نكون معك على من بقي منهم . فأرسَلَ اليهم أن نعم . فان بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم ، فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا .

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان ، أنتم اصلي وعشيرتي، واحب الناس الي، ولا أراكم تتهموني .

قالوا : صدقت ، قال: فاكتموا علي، قالوا نفعل، ثم قال لهم مثلما قال لقريش، وحذرهم ما حذرهم .

فلما كانت ليلة السبت في شوال سنة خمس للهجرة ، وكان مما صنع الله عز وجل لرسوله ، أن ارسل ابو سفيان ورؤس غطفان الى بني قريظة عكرمة ابن ابي جهل، في نفر من قريش وغطفان ، فقالوا لهم :

انا لسنا بدار مقام ، قد هلك الخف والحافر، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه .

فارسلوا اليهم ان اليوم السبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً، وقد كان احدث فيه بعضنا حدثا فاصابه ما لم يخف عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم ، يكونون بايدينا ثقة لنا ، حتى نناجز محمدا ، فانا نخشى ان ضرستكم الحرب، واشتد عليكم القتال، ان تشمروا الى بلادكم ، وتتركونا والرجل في بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك من محمد .

فلما رجعت اليهم الرسل بالذي قالت بنو قريظة ، قالت قريش وغطفان : تعلمون والله أن الذي حدثكم نُعيم بن مسعود لحق .

فارسلوا الى بني قريظة : انا والله لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا ، فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ، فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل اليهم بهذا : ان الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم الا ان يقاتلوا ، فان وجدوا فرصة انتهزوها ، وان كان غير ذلك تشمروا[1] الى بلادهم ، وخلوا بينكم وبين الرجل في بلادكم .

فارسلوا الى قريش وغطفان : انا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا ، فابوا عليهم ، وخذَّل الله بينهم ، وبعث الله عز وجل عليهم الريح في ليال شاتية شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم ، وتطرح ابنيتهم .

---

(١) وفي سيرة ابن هشام وانشمروا الى بلادهم .

فلما انتهى الى رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) مـا اختلف من امرهـم ، وما فرق الله من جماعتهم ، دعا حذيفة بن اليمان ، فبعثـه اليهم لينظر ما فعل القوم ليلا .

حذيفة يأتي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بخبر الاحزاب

جاء في تاريخ الطبري عن محمد بن اسحاق، عن محمد بن كعب القرظي، قال : قال فتى من اهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا ابا عبد الله، رأيتم رسول الله وصحبتموه ! قال : نعم يا ابن اخي، قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نجهد ، فقال الفتى : والله لو ادركناه ما تركناه يمشي على الارض . . ولحملناه على اعناقنا .

فقال حذيفة : يا ابن اخي ، والله لقد رأيتنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالخندق، وصلى هويا[1]من الليل، ثم التفت الينا ، فقال: من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع ـ يشرط له رسول الله انه يرجع ـ ادخله الله الجنة ؟ .

فما قام رجل . . ثم صلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هويا من الليل ، ثم التفت الينا فقال: من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع ـ اسأل الله ان يكون رفيقي في الجنة ؟ فما قام رجل من القوم من شدة الخوف، وشدة الجوع ، وشدة البرد.

---

(١) هويا : الهوي الهزيع من الليل.

فلما لم يقم احـد دعاني رسـول الله صلى الله عليـه وآله وسلم) فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني .

فقال (صلى الله عليـه وآله وسلم) : يـا حذيفـة اذهب فادخـل في القوم فانظر ما يفعلون ، ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا .

قال حذيفة : فذهبت ودخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقر لهم قدرا، ولا نارا ، ولا بناء.

فقـام ابو سفيـان بن حرب فقـال: يا معشـر قريش، لينـظر امـرؤ جليسـه قال ـ حـذيفة ـ فـاخـذت بيـد الـرجـل الـذي كـان الى جنبي ، فقلت : من انت ؟ قال : انا فلان بن فلان[1].

ثم قال ابو سفيان : يا معشر قريش ، انكم والله مـا اصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف، واخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من هذه الريـح ما تـرون ، والله ما تـطمئن لنا قـدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فاني مرتحل .

ثم قام الى جملة وهو معقول، فجلس عليه، ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فما اطلق من عقاله الا وهو قائم، ولـولا عهد رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) الي ألا احـدث شيئاً حتى آتيـه ، ثم شئت لقتلته بسهم .

قال حذيفة : فرجعت الى رسول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم)

---

(١) وذكر الواقدي في مغازيه ، والحلبي في سيرته: ان الذي كـان عن يمين حـذيفة ويساره هما عمرو بن اعاص ومعاوية بن ابي سفيان .

وهـو قائم يصـلي في مرط لبعض نسـائه مـرحَّـل ، فلما رآني ادخلني بـين رجليـه وطرح عـلي طرف المـرط[1]ثم ركع وسجـد، فاذلقتـه ـ فاخبرته الخبر ـ.

فلما سلمَّ اخبرته الخبر، وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين الى بلادهم[2].

وروى الحافظ بالاسنـاد عن عبد الله بن أبي أوفى قـال: دعا رسـول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) على الاحـزاب فقـال : « اللهمَّ انت منـزل الكتـاب، سـريـع الحسـاب، اهـزم الاحــزاب، اللهمَّ اهـزمهم وزلزلهم ».

وعن ابي هريرة : ان رسول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) كـان يقول: « لا إله الا الله وحـده . . وحده اعـز جنده . . ونصـر عبده . . وغلب الاحزاب وحده . . فلا شيء بعده . ».

وعن سليمان بن صرد قال : قال رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) : حين اجلى عنه الاحزاب، ألآن نغـزوهم ولا يغزوننـا . فكان كما قال (صلى الله عليه وآله وسلم) فلم تغزهم قريش بعد ذلك، وكان هو يغزوهم حتى فتح الله عليه مكة[3].

---

(١) المرط: كساء من صوف وخز أو كتان يؤتزر به .
(٢) تاريخ الطبري– ج ٢ ص ٥٨٠.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)


الفصل
السابع والثلاثون



غزوة بني قريظة

لما انهزم الاحزاب وولوا عن المسلمين الدبر، عمل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على قصد بني قريظة ،وانفذ امير المؤمنين عليا (عليه السلام) اليهم في ثلاثين من الخزرج وقال له : انظر بني قريظة هل نزلوا حصونهم ؟ .

فلما شارف سورهم سمع منهمم الهجر ، فرجع الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاخبره ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : دعهم فان الله سيمكن منهم ، ان الذي امكنك من عمرو بن عبد ود لا يخذلك . . فقف حتى يجتمع الناس اليك ، وابشر بنصر من عند الله ، فان الله قد نصرني ، بالرعب من بين يدي مسيرة شهر.

قال علي (عليه السلام) : فاجتمع الناس الي، وسرت حتى دنوت من سورهم فاشرفوا علي، فلما رأوني صاح صائح منهم : قد جاءكم قاتل عمرو، وقال آخر : قد اقبل اليكم قاتل عمرو . . وجعل بعضهم يصيح لبعض ويقولون ذلك والقى الله في قلوبهم الرعب . وسمعت راجزا يرتجز :

قتل علي عمروا صاد علي صقرا
قصم علي ظهرا ابرم علي امرا
هتك علي سترا

فقلت : الحمد لله الذي اظهر الاسلام وقمع الشرك ، وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لي حين توجهت الى بني قريظة : سر على بركة الله تعالى، فان الله قد وعدكم ارضهم وديارهم .

فسرت متيقناً لنصر الله عز وجل ، حتى ركزت الراية في اصل الحصن ، فاستقبلوني في صياصيهم[1] يسبون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . . .

فلما سمعت سبهم له كرهت ان يسمع رسول الله ذلك ، فعملت على الرجوع اليه ، فاذا به قد طلع (صلى الله عليه وآله وسلم) وسمع سبهم له . . . فناداهم : يا اخوة القردة والخنازير . . . انا اذا حللنا بساحة قوم (فساء صباح المنذرين) .

فقالوا له : يا ابا القاسم ما كنت جهولا ولا سبابا ! فاستحى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ورجع القهقرى قليلاً . ثم امر فضربت خيمته بازاء حصونهم .

فاقام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) محاصرا لبني قريظة خمساً وعشرين ليلة . . . حتى سألوه النزول على حكم سعد بن معاذ . فحكم فيهم سعد بقتل الرجال ، وسبي الذراري ، والنساء ، وقسمة الأموال .

---

(١) الصياصي : الحصن وكل ما امتنع به .

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا سعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعة[1] ، وامر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بانزال الرجال منهم وكانوا تسعمائة رجل[2] فجيء بهم الى المدينة ، وقسم الأموال ، واسترق الذراري والنساء .

ولما جيء بالاسارى الى المدينة حبسوا في دار من دور بني النجار ، وخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى موضع السوق فخندق فيه خنادق ، وحضر امير المؤمنين ومعه المسلمون ، وامر بهم ان يخرجوا ، وتقدم الى امير المؤمنين (عليه السلام) ان يضرب اعناقهم في الخندق .

فاخرجوا أرسالا وفيهم حُيَيّ بن اخطب ، وكعب بن اسد ، وهما اذ ذاك رئيساً القوم . فقالوا لكعب بن اسد وهم يذهب بهم الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا كعب ما تراه يصنع بنا ؟

فقال : في كل موطن لا تعقلون ، ألا ترون الداعي لا ينزع . . . ومن ذهب منكم لا يرجع ، هو والله القتل .

وجيء بحيي بن اخطب مجموعة يداه الى عنقه . فلما نظر الى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : أما والله ما لمت نفسي على عداوتك ، ولكن من يخذل الله يخذل .

---

(١) سبعة ارقعة : أي سبع سماوات .

(٢) ذكر ابن الاثير في تاريخه ـ أن الذين امر بقتلهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ كانوا ستمائة او سبعمائة ، وقيل ما بين سبعمائة وثمانمائة . وذكر ابن هشام في سيرته انهم كانوا ستمائة رجل والمكثر لهم يقول : كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة وقيل خمسمائة . والله العالم .

ثم اقبل على الناس فقال : ايها الناس ، انه لا بد من امر الله ، كتاب وقدر ، وملحمة كتبت على بني اسرائيل . . . ثم اقيم بين يدي علي (عليه السلام) وهو يقول : قتلة شريفة ، بيد شريفة .

فقال له علي (عليه السلام) : ان خيار الناس يقتلون شرارهم ، وشرارهم يقتلون خيارهم ، فالويل لمن قتله الاخيار الأشراف ، والسعادة لمن قتله الارذال الكفار . فقال : صدقت . . . لا تسلبني حلتي ، فقال : هي اهون علي من ذلك . فقال : سترتني سترك الله . ومد عنقه فضربها علي (عليه السلام) ولم يسلبه[١] .

وفي تفسير الميزان عن القمي : أخرج كعب بن اسيد مجموعة يداه الى عنقه ، فلما نظر اليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال له : يا كعب اما نفعك وصية ابن الحواس الحبر الذكي الذي قدم عليكم من الشام فقال : تركت الخمر والخمير ، وجئت الى البؤس والتمور ، لنبي يبعث ، مخرجه بمكة ، ومهاجرته في هذه البحيرة ، يجتزي بالكسيرات والتميرات، ويركب الحمار، في عينيه حمرة ، وبين كتفيه خاتم النبوة ، يضع سيفه على عاتقه ، لا يبالي من لاقى منكم ، يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر .

فقال كعب : قد كان ذلك يا محمد ، ولولا أن اليهود يعيروني اني جزعت عند القتل ، لآمنت بك وصدقتك . ولكني على دين اليهود . . . عليه احيا . . . وعليه اموت .

---

(١) ارشاد القلوب : للشيخ المفيد .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قدموه واضربوا عنقه . فضربت .

وعن تفسير القمي ايضاً : فقتلهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في البردين ، بالغداة والعشي ، في ثلاثة ايام وكان يقول (صلى الله عليه وآله وسلم) : اسقوهم العذب واطعموهم الطيب ، وأحسنوا اساراهم . حتى قتلهم كلهم فانزل الله عز وجل فيهم : ﴿ **وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً ـ واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا** ﴾[1] .

ثم قسم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نساءهم ، وابناءهم ، واموالهم على المسلمين وبعث بسبايا منهم الى نجد مع سعد بن زيد الانصاري فابتاع بهم خيلا وسلاحاً[2] .

وفي سيرة ابن هشام عن ابن اسحاق : كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خناقة احدى نساء بني عمرو بن قريظة . فكانت عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى توفي عنها وهي في ملكه .

وذكر الواقدي في مغازيه : كانت ريحانة امة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاعتقها وتزوجها . وكانت تحتجب في اهلها وتقول : لا يراني احد بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

---

(١) سورة الاحزاب ـ آية ـ ٢٦ ـ ٢٧ .

(٢) الميزان في تفسير القرآن ـ للطباطبائي .

وذكر ابن الاثير في تاريخه : ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يقتل من بني قريظة الا امرأة واحدة ، قتلت بحدث احدثته[1] واسلم منهم ثعلبة بن سعية ، واسيد بن سعية ، واسيد بن عبيد .

فلما انقضى امر قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ، واستجاب الله دعاءه[2]وكان في خيمته التي في المسجد فحضره رسول الله[3].

وروي عن جابر بن عبد الله قال : جاء جبرائيل الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : من هذا العبد الصالح الذي مات ؟ فتحت له ابواب السماء ، وتحرك له العرش ! فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاذا سعد بن معاذ قد قبض .

---

(١) وهي انها طرحت رحى على خلاد بن سويد فقتلته . ـ فقتلت بحدثها .
(٢) عندما رماه ابن العرقة قال : اللهم لا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة ـ اي بقتلهم .
(٣) الكامل في التاريخ لابن الاثير ـ ج٢ ـ ص ١٢٢ .

الرد على الناقدين في غزوة بني قريظة

زعم الناقدون والحاقدون على الإسلام ونبيه العظيم ان المسلمين قتلوا رجال بني قريظة ، وغنموا اموالهم ، وسبوا نساءهم وما كان ذلك الا لنشوة النصر وحب السلطة والسلطان ، وحسبوه خروجاً على سنن القتال .

لكن ما ذهبوا اليه افتراء محض وباطل ما زعموه . . . اذ أن اجماع المؤرخين واصحاب السير بالاضافة الى القرآن الكريم كل هذه الامور تشير الى ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رسول الرحمة والمحبة ، والانسانية ، حينما دخل المدينة وبايعه جل اهلها اول عمل قام به هو المؤاخاة بين المسلمين ، والمعاهدة بينهم وبين اليهود المقيمين فيها ، وانهم على دينهم وحريتهم ، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم . . . لا ظلم ، لا تعسف ، لا انتقام .

وتوالت الاحداث ، وهوجمت المدينة مراراً وتكراراً ، من الاعراب ، ومن قريش التي كانت من اشد الناس عداوة لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ورسالته ، ولولا الحكمة الالهية لاندحر المسلمون ولم يبق للإسلام اثر ، ولم يبق في المدينة حجر على حجر .

وفي كل الظروف العصيبة التي مرت على المسلمين من غزوة بدر ،

الى غـزوة احد ، الى غـزوة الاحزاب ، ومـا تخلل هذه الغـزوات ، من ضيق ، وشـدة على المسلمـين كان اليهـود المحـرض القـوي عـلى محمـد (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) واصحابـه ، والسـاعـد الايمن لمن يـريـد مهاجمتهم .

لم يترك اليهود فرصة تسنح لهم للنيل من محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه الا انتهزوها ، وهذا ما كـان من امر بني النضـير . اذ كان النبي (صلى الله عليـه وآله وسلم) قـد عفا عنهم ، واجـلاهم عن المدينة ، لكنهم رجعوا يؤلبون العرب على المسلمين .

وما كان من قصة وفدهم الى مكـة المؤلف من سلام بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب في جماعة من بني النضير لتحـريض قريش وحملهـا على غزو محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه . ومجيئه الى بني قريظة وحملهم عـلى نقض العهد الـذي كانـوا قد عقـدوه مع النبي (صـلى الله عليه وآله وسلم) إلا دليل على غدرهم ونقضهم للعهود .

وقد كان (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) عمل جهـده لابقاء اليهـود على حالهم من الحرية شرط ان لا يكونوا عوناً لاعدائه عليه . وعقـد مع بني قريظة عهدا على ذلك كما اسلفنا .

ولو تركهم كما كان يتركهم كل مـرة على حـالهم يعيثون في الأرض فسادا ، يؤلبون العـرب عليه وعـلى المسلمين لم يهـدأ حال المـدينة ، ولم يستتب الامن فيها ، لأنهم في داخلها وحولها . وكانوا اداة انتفاضة كلما هبت الريح على المسلمين .

ولو كان يعلم النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) او عنده احتمـال

مهما كان ضئيلاً أنهم يستقرون ويهدأون ، ولم ينفثوا سمومهم على المسلمين ، لتركهم وشأنهم وعفا عنهم لعلهم يرعوون . ولكن أنى لهم ذلك وقد اكل الحقد قلوبهم .

وحينما اندحر الاحزاب وولوا الدبر قافلين الى بلادهم ، وايقنت قريظة بخسران المعركة ، وبلغ الجهد منها كل مبلغ من شدة الحصار المضروب عليها وايقنت بالهلاك الذي جنته من نقضها العهد مع محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) طلبت تحكيم الصحابي الجليل سيد الاوس سعدبن معاذ ، ونزلت على حكمه ـ وكان بين الاوس وبني قريظة حلف في الجاهلية ـ .

لكن سعد بن معاذ العارف بامورهم حق المعرفة وما تنطوي عليه نواياهم من عدم الوفاء والغدر الكامن في نفوسهم لم يطمئن اليهم حفاظا على الإسلام فحكم فيهم بقتل المقاتلين من الرجال وسبي ذراريهم ونسائهم وغنم اموالهم، وان عقارهم للمهاجرين دون الانصار، وقال للانصار: انكم ذوو عقار. وليس للمهاجرين عقار ، فكبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله عز وجل .

لقد كان المسلمون حينذاك يصافحون كل من صافحهم ، ووضع يده في ايديهم ، لا يريدون حربا مع احد ، لكن اذا هاجمهم العدوفانهم مضطرون للدفاع عن بلادهم واهليهم وهذا عكس ما كان بعد ذلك من امر الفرنجة . فالافرنج ـ والصليبيون حينما دخلوا بيت المقدس قاموا باعمال لا ترضاها البشرية .

ذكر الدكتور فيليب حتي في كتابه تاريخ العرب :« في ٧ حزيران عام

١٠٩٩ سار الصليبيون الى بيت المقدس وعددهم نحو اربعين الفا منهم نحو عشرين الف جندي محارب ، فوقفوا أمام ابواب المدينة . وكانت حامية المدينة من الجند المصري تقدر بنحو الف . وكان الافرنج يأملون ان تسقط اسوار المدينة كما سقطت اسوار أريحا فطافوا حولها حفاة نافخين في الابواق .

غير ان الحصار الذي ضيقوه على المدينة مدة شهر كان دون شك انجع وانفع ، وفي الخامس عشر من تموز هاجم العدو البلدة ، واعمل السيف برجالها ، ونسائها ، واطفالها حتى شوهدت اكوام الرؤوس والايدي ، والارجل في شوارع المدينة وطرقاتها[1] .

وذكر الدكتور فيليب حتي ايضاً : حينما دخل الإسلام الاندلس « اما الخطة التي سلكها الفاتحون العرب في معاملة رعاياهم في الاندلس ، فلم تختلف كثيراً عن خطتهم في البلدان الاخرى التي فتحوها . فقد وضعت الجزية على النصارى واليهود دون غيرهم ، وكانت تترواح بين اثني عشر واربعة وعشرين وثمانية واربعين درهماً في السنة ، وذلك بالنسبة لمقدرة المكلف المالية .

وقد اعفي من الجزية النساء ، والاحداث ، والشيوخ ، والمعوزون . ومثلهم الرهبان ، والمصابون بالامراض المزمنة . . . الى آخره » .

اقول : كان على الناقدين اعمال المسلمين ،وواصفيهم انهم قساة الطباع ، يستريحون الى رؤية الدماء ، بعيدين عن الرحمة . . .

---

(١) تاريخ العرب : الدكتور فيليب حتي ـ ص ٧٢٨ .

كان يحسن بهم ان يستقصوا ما ذكره المؤرخون الاوروبيون وغيرهم عن معارك الفاتحين « الفرنجة » وما كانت تتميز به تلك المعارك من قسوة ، وظلم ، وقتل وتشريد . . . الى آخره .

وكان يحسن بهم ايضاً ان يستقصوا الحقائق من اقوال المؤرخين وكيف كان المسلمون في معاملاتهم لرعايا البلاد التي دخلوها فاتحين . ليجدوا أن المسلمين كانوا مثالا للرحمة بالضعفاء ، والشفقة على الفقراء ، والرأفة بالمساكين .

واذا كان الدين يأمر بقتل الذين يقفون حجر عثرة في سبيله ، أو يعملون على ازالته فما المانع اذاً من ازالة العقبات التي تعترض طريقه المستقيم او تكون عقبة كأداء مانعة من العمل في مصلحة البشرية . وإنقاذها من الظلم والجور والاستعباد والفساد . وقد جرى ذلك قبل الإسلام مع بني اسرائيل ونذكره هنا مشيرين الى من انتقد الإسلام - من فمك ادينك .

ذكر الدكتور العقاد في كتابه العبقريات الإسلامية من ان سعد بن معاذ دان بني قريظة بنص التوراة الذي يؤمنون به كما جاء في التثنية : « حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها الى الصلح ، فان اجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ، ويستعبد لك . وان لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، واما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمة فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة اعدائك التي اعطاك الرب الهك . . » (اصحاح ١٠ الى ١٥ تثنية) .

ويذكر الاستاذ العقاد ايضاً : « وينبغي ان يسأل الناقدون انفسهم بعد هذا : ماذا كان مصير المسلمين لو ظفرت بهم الاحزاب ؟

فالقضاء الذي قضاه النبي في بني قريظة عدل ، وحكمة ، وصواب ، وما من احد يقضي غير ذلك القضاء ، وهو مؤتمن على مصير امة ، يرحمها من غدر اعدائها ، ومن لددهم في خصومتها ، ومن استباحتهم كل منكر في التربص ، والوثبة بعد الوثبة عليها .

وان حملة تأديبية واحدة من حملات العصور الحديثة يحملها قوم مسلحون ، على قوم عزل يذودون عن أوطانهم وحقوقهم ، لفيها من البطش والتعذيب ، ما لم يحدث قط نظير له في عقاب بني قريظة ، ولا في جميع الحروب التي نشبت بين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين اعداء له ولدينه . هم المتفوقون عليه في العدد والثروة والسلاح .

ان عبقرية محمد في قيادته لعبقرية ترضاها فنون الحرب ، وترضاها شريعة الله والناس ، وترضاها المروءة وترضاها الحضارة في احدث عصورها، ويرضاها المنصفون من الاصدقاء والاعداء»[1].

---

(١) العبقريات الإسلامية ـ المجلد الأول ـ ص ٦٤ .

مقتل سلام بن ابي الحقيق

جاء في سيرة ابن هشام عن ابن اسحاق أنه قال : لما انقضى شأن الخندق ، وأمر بني قريظة ، وكان سلام بن ابي الحقيق ، فيمن حزب الاحزاب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وكانت الأوس قبل احد قد قتلت كعب بن الاشرف ، في عداوته لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتحريضه عليه ـ لهذا ـ استأذنت الخزرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في قتل سلّام بن ابي الحقيق ، وهو بخيبر ، فاذن لهم .

وكان مما صنع الله به لرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن هذين الحيين من الانصار، الأوس والخزرج، كانا يتصاولان ويتفاخران ، اذا فعل احدهما شيئاً فعل الأخر مثله .. لا تصنع الأوس شيئاً فيه لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غناء ، ومنفعة الا قالت الخزرج : والله لا تذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي الإسلام . فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها . واذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك .

ولما اصابت الاوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قالت الخزرج : والله لا تذهبون بها فضلا علينا

أبداً . . . فتذاكروا : من رجل لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في العداوة كابن الأشرف ؟

فذكروا ابن ابي الحقيق ، وهو بخيبر . فاستأذنوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في قتله فاذن لهم .

فخرج اليه من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر : عبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن انيس ، وابو قتادة الحارث بن ربعي ، وخزاعي بن أسود حليف لهم من أسلم .

فخرجوا وأمرَّ عليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عبد الله بن عتيك ، ونهاهم عن ان يقتلوا وليدا ، او امرأة .

فخرجوا حتى قدموا خيبر . اتو دار ابن ابي الحقيق ليلاً ، فلم يدعوا بيتاً في الدار الا اغلقوه على اهله . وكان ـ سلام بن ابي الحقيق ـ في علية له اليها عجلة[1] فصعدوا فيها حتى قاموا على بابه ، فاستأذنوا عليه ، فخرجت اليهم امرأته فقالت : من انتم ؟ قالوا : ناس من العرب نلتمس الميرة ، قالت : ذاكم صاحبكم ، فادخلوا عليه .

قال عبد الله : فلما دخلنا عليه اغلقنا علينا وعليه الحجرة تخوفاً أن تكون دونه مجادلة تحول بيننا وبينه فصاحت امرأته ، فنوهت بنا . وابتدرناه وهو على فراشه باسيافنا .

قال : ولما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ،

---

(١) العجلة : جذع النخلة ينقر في موضع منه ويجعل كالسلم ويصعد عليه الى العلالي والغرف .

ثم يذكر نهي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيكف يده ولولا ذلك لفرغنا منها بليل .

فلما ضربناه باسيافنا تحامل عليه عبد الله بن انيس بسيفه في بطنه حتى انفذه وهو يقول : قطني قطني ـ اي حسبي حسبي ـ .

قال : وخرجنا وكان عبد الله بن عتك رجلاً سيء البصر ، فوقع من الدرجة ووثئت [1] يده وثئا شديداً فحملناه الى خارج الحصن . فاوقد اهل الحصن النيران ، واشتدوا في كل وجه يطلبوننا حتى اذا يئسوا رجعوا الى صاحبهم ، فاكتنفوه وهو يقضي بينهم . فقلنا : كيف لنا بان نعلم بان عدو الله قد مات ؟

فقال رجل منا : انا اذهب فانظر لكم ، فانطلق حتى دخل في الناس . قال : فوجدت امرأته ورجال يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه ، وتحدثهم وتقول : اما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ، ثم اكذبت نفسي وقلت : أنى ابن عتيك بهذه البلاد ! ثم اقبلت عليه تنظر في وجهه ثم قالت : مات وإله يهود . فما سمعت من كلمة كانت ألذ إلى نفسي منها ، ثم جاءنا فاخبرنا الخبر فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاخبرناه بقتل عدو الله .

واختلفنا عنده في قتله ، كلنا يدعيه ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : هاتوا اسيافكم . . . فجئنا بها ، فنظر اليها ، فقال لسيف عبد الله بن انيس : هذا قتله ، ارى فيه اثر الطعام [2] .

---

(١) وثئت : اصاب عظمها شيء ليس بكسر . وهو ان يصاب اللحم دون العظم .

(٢) راجع السيرة النبوية لابن هشام وغيرها من السير .



غزوا بني لحيان

لقد تظافر العرب على حرب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمين ، وتطاولوا على المدينة التي هي معقل الإسلام ، ومركز الدعوة الإسلامية وخصوصاً عندما شاهدوا ان المسلمين اصبح لديهم الأموال الكثيرة .

وعرب البوادي بطبعهم عندهم الميل للغزووالنهب والسلب لا لغاية يريدونها ، بل حباً بالغزو . . . شأنهم عدم الاستقرار والارتحال .

هذا ما كان في عصر الإسلام الاول حينما صدع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالرسالة.تلك الفترة من الزمن ، التي هي فترة الانحطاط الخلقي فترة الظلم والاضطهاد .

فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان بعيد النظر ، دائم الحذر ، سريع الانتباه ، ملتفتاً الى ما يضمره الاعراب من مداهمة المدينة ، وغزو المسلمين طمعاً بالانتقام ، والسلب والنهب . فكان همه (صلى الله عليه وآله وسلم) هو القاء الرعب في نفوس اولئك الاعراب الضالين التائهين في بيداء الضلالة .

ومن هذه الناحية صمم (صلى الله عليه وآله وسلم) بغزو بني لحيان ، بعد ستة اشهر من فتح قريظة ، ليبين لسكان شبه الجزيرة

العربية أن الإسلام قوي ، ولا يمكن ان يؤخذ على غرة .

وفكر (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذه المرحلة من الزمن أن ينتقم ويقتص لخبيب واصحابه ، الذين قتلهم بنو لحيان قبل سنتين ، ولم يظفر بهم ، لأنهم التحقوا برؤوس الجبال . لكنه اكتفى ان يلقي الرعب في قلوبهم كما اسلفنا .

خرج (صلى الله عليه وآله وسلم) من المدينة مظهراً انه يريد الشام كما يروى ولما اطمأن ان قريشاً لم يبق منهم من يفطن لمقصده انفتل راجعاً الى ناحية مكة ، واغذ السير حتى بلغ منازل بني لحيان - بغران - لكنهم شعروا بقصده فاعتصموا منه برؤوس الجبال هم ومتاعهم .

عند ذلك ، رجع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى المدينة في يوم قائظ بلغ من قيظه كما يروى أنه قال (صلى الله عليه وآله وسلم) (آئبون تائبون ان شاء الله . . . لربنا حامدون . . . اعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنتظر في الأهل والمال . . .) .

وكانت فائدة هذه الغزوة أن بني لحيان حينما شعروا بقدوم النبي الى منازلهم خافوا منه اشد الخوف وحملوا اهليهم وامتعتهم ، وتحصنوا برؤوس الجبال كما اسلفنا .

ولا يخفى ما في هذه الغزوة من فائدة إذ أعطت المسلمين هيبة وثقة بالنفس . وغرست في نفوس اعدائهم الجبن والخوف .

وعن الواقدي في مغازيه : أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج لهلال ربيع الأول سنة ست فبلغ - غران - وعسفان - وغاب اربع عشرة ليلة : في غزوة بني لحيان .

غزوة الغابة ـ او ـ ذي قرد

قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)المدينة بعد غزوة بني لحيان ، فلم يقم بها الا ليال حتى اغار على اطراف المدينة ، عيينة بن حصن الفزاري ، في خيل من غطفان .

وكان بظاهر المدينة ابل ترعى ، يحرسها رجل من غفار[1] وامرأة ، فقتلوا الرجل ، وساقوا الابل ، والامرأة . وانصرفوا وهم يحسبون أنهم بمأمن من ملاحقتهم .

فكان اول من علم بهم سلمة بن عمرو بن الاكوع الاسلمي ، وكان قد غدا يريد الغابة متوشحا قوسه ونبله ، ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده .

فلما مرَّ ابن الاكوع على ثنية الوداع ، واشرف على ناحية سلع ـ وهي من النواحي القريبة من المدينة ـ ابصر القوم قد اقتادوا الأبل ، واحتملوا المرأة ، صاح . . . واصباحاه . . . وجعل يشتد في اثرهم حتى

(١) هذا الرجل الغفاري هو ابن ابي ذر (رضي الله عنه) كما صرح بذلك ابن سعد واسم امرأته ليلى .

لحق بهم . فاخذ يردهم بالنبل ويقول اذا رمى : خذها وانا ابن الاكوع . . .

وبلغ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صياح سلمة بن الاكوع فنادى في اهل المدينة . . . الفزع . . . الفزع . . . فترامت الخيول الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من كل جانب . وكان اول من انتهى اليه من الفرسان ، المقداد بن عمرو .

واما عينية بن حصن فانه اسرع في السير هارباً ، للالتحاق بغطفان خوفاً من ان يدركه الطلب .

لكن فرسان المسلمين ادركوا مؤخرة القوم ، فاستخلصوا قسماً من الابل والامرأة التي كانوا قد اقتادوها .

وفي سيرة ابن هشام : اقبلت امرأة الغفاري ، على ناقة من ابل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ اسمها العضباء ـ حتى قدمت عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) فاخبرته الخبر ، فلما فرغت من كلامها ، قالت : يا رسول الله اني قد نذرت لله أن انحرها ان نجاني الله عليها . . .

فتبسم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قال لها : بئس ما جزيتها أن حملك الله عليها ، ونجاك بها ، ثم تنحرينها ! انه لا نذر في معصية الله ، ولا فيما لا تملكين ، انما هي ناقة من ابلي . فارجعي الى اهلك على بركة الله [1].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ـ ج٣ ـ ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨ .

وفي المغازي للواقدي ان غزوة الغابة وهي غزوة ذي قـرد[1] كانت عندما اغار عيينة ليلة الاربعاء لثلاث خلون من ربيع الآخر ، سنة ست من الهجرة النبوية الشريفة . واستخلف رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) في هذه الغزوة على المدينة ابن ام مكتوم .

(۱) ذي قـرد : مكان عـلى نحو يـوم من المدينـة مما يـلي غطفـان ، ويقال هـو بـين المدينة وخيبر على يومين من المدينة . ـ شرح المغازي للواقدي ـ




الفصل
الثامن والثلاثون



الحديبية

بقي النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمون طيلة ست سنوات من الهجرة في المدينة المنورة - يثرب - في جهاد مستمر للدفاع عن العقيدة ونشر دعوة الإسلام والذود عن المدينة التي اصبحت معقل المسلمين ومنطلق الرسالة السماوية ، ونشر راية التوحيد .

لكن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه المخلصين ، لم يهدأ لهم بال ، ولم يستقر لهم حال ، اذ كانت تحاك المؤامرات من حولهم ، تارة للنيل من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه ، وتارة لايقاع الفتنة بينهم ما استطاع الحاقدون ، او وجدوا الى ذلك سبيلا . وطورا كان اعداء الإسلام ايضاً يجتمعون لغزو المدينة ، للنهب والسلب خاصة من الاعراب الذين هم اشد كفراً ونفاقاً .

وحينما فرغ المسلمون من يهود المدينة ، كبني قريظة ، وبني قينقاع ، وبني النضير ، واجلوهم ، واطمأنوا الى أن قريشاً لم يعد باستطاعتها غزوهم خصوصاً بعد غزوة الاحزاب وما لحق بها من خيبة وفشل . . . اخذ الحنين يهز المهاجرين واصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على العموم الى زيارة بيت الله الحرام الذي اعتاد العرب منذ قديم الزمان

من عهد ابراهيم (عليه السلام) أن يحجوا اليه في كل عام . وعلى الاخص المهاجرين من المسلمين الذين ارغمتهم قريش على ترك وطنهم ، ومنازلهم ، واقربائهم ، وهاجروا فراراً من الضغط والاضطهاد متمسكين بدينهم الجديد ـ الإسلام ـ .

كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يرى ما عليه اصحابه من الشوق للذهاب الى مكة المكرمة وزيارة الكعبة المقدسة ورؤ ية اهليهم بعد انقطاعهم عنهم مدة من الزمن . اذ كفاهم ما كابدوا من الم الفراق ولوعة الحرمان .

وفي الفترة الاخيرة من السنوات الست اخبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اصحابه بما عزم عليه بامر من الله تعالى بتجديد العهد وزيارة بيت الله الحرام ، واداء بعض المناسك وذلك في العشرة الأولى من شهر ذي القعدة .

وما أن اخبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اصحابه بما عزم عليه ، حتى سرى الخبر في انحاء المدينة بسرعة البرق الخاطف .

لقد هزتهم هذه البشرى ، واخذ المسلمون يبشر بعضهم بعضاً في راحة وسرور لعناية الباري عز وجل بهم ، ونصره لهم سبحانه .

ابلغ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اصحابه بأنه لا يريد حرب قريش ولا هو في صدد فتح مكة فعلا ما دام يجد للتفاهم سبيلا . وبين لهم ان مسيره الى مكة للعمرة فقط ، وان سفرته هذه سفرة سلمية لا تنطوي على اي تخطيط لارغام قريش ، او دخول مكة عنوة كما توهمت ذلك .

ولأجل تطمين قريش بانه لا يريد حرباً ولا قتالا دعا (صلى الله عليه وآله وسلم) عامة المسلمين في المدينة ، واوفد رسله الى خارجها لدعوة القبائل غير المسلمة ايضاً في ذلك الوقت للخروج معه الى البيت العتيق لتعظيم شعائر الله .

ولو كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يريد دخول مكة عنوة ، أو محاربة قريش واذلالها لما دعا القبائل العربية من خارج المدينة ، ومن غير المسلمين الى الذهاب الى بيت الله الحرام .

على انه (صلى الله عليه وآله وسلم) يعلم ان القبائل من غير المسلمين التي دعاها لا تستجيب له لمحاربة قريش اذ أنها غير مسلمة ولا تحارب في الأشهر الحرم .

وساق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) معه الهدي ليظهر ايضاً لجميع الناس أنه جاء معتمراً وزائراً لبيت الله الحرام ، ومعظماً لشعائره ، ولا يريد حرباً ولا قتالا كما ذكرنا .

جاء في سيرة ابن هشام عن ابن اسحاق أنه خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عام الحديبية[1] يريد زيارة البيت ، لا يريد قتالا ، وساق معه الهدي سبعين بدنة ، وكان الناس سبع مئة رجل ، فكانت كل بدنة عن عشرة نفر .

---

(١) الحديبية : قرية متوسطة ليست بالكبيرة ، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تحتها ، بينها وبين مكة مرحلة ، وبينها وبين المدينة تسع مراحل . ـ عن معجم البلدان ـ .

وكان جابر بن عبد الله يقول : كنا اصحاب الحديبية اربع عشرة مئة .

وخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى اذا كان بعسفان[1] لقيه بشر ابن سفيان الكعبي[2] فقال : يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك ، وخرجوا معهم العوذ المطافيل[3] ، قد لبسوا جلود النمور ، وقد نزلوا بذي طوى ، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم ابدا ، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها الى كراع الغميم[4] .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا ويح قريش ! لقد اكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب ، فان هم اصابوني كان ذلك الذي ارادوا ، وان اظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين ، وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فوالله لا أزال اجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله او تنفرد هذه السالفة[5] ثم قال : من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟

فقال رجل من اسلم : انا يا رسول الله . . . فسلك بهم طريقاً وعراً بين شعاب ، فلما خرجوا منه ، وقد شق ذلك على المسلمين وافضوا

---

(١) عسفان . . منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة : وقيل : هي بين المسجدين ، وهي من مكة على مرحلتين ، وقيل غير ذلك ـ معجم البلدان ـ .

(٢) ويقال بسر .

(٣) العوذ : جمع عائذ ـ وهي من الابل الحديثة النتاج ، والمطافيل التي معها اولادها يريد أنهم خرجوا ومعهم النساء والصبيان ، وهو على الاستعارة .

(٤) كراع الغميم : موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة ـ معجم البلدان ـ

(٥) السالفة : صفحة العنق . وكنى بانفرادها عن الموت .

الى ارض سهلة عند منقطع الوادي قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للناس : قولوا : نستغفر الله ونتوب اليه . . . فقالوا ذلك .

فقال : والله انها للحطة[1] التي عرضت على بني اسرائيل ، فلم يقولوها .

فامر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين في طريق على ثنية المرار مهبط الحديبية من اسفل مكة . فسلك الجيش ذلك الطريق .

فلما رأت خيل قريش قترة الجيش - غباره - قد خالفوا عن طريقهم ، رجعوا راكضين الى قريش .

وخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى اذا سلك في ثنية المرار بركت ناقته ، فقالت الناس : خلأت الناقة[2] ، قال : ما خلأت وما هو لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة . لا تدعوني قريش اليوم الى خطة يسألونني فيها صلة الرحم الا اعطيتهم اياها .

ثم قال للناس : انزلوا ، قيل له : يا رسول الله ما بالوادي ماء ننزل عليه ! فاخرج سهما من كنانته ، فاعطاه رجلاً من اصحابه ، فنزل

---

(١) الحطة : يريد قوله تعالى لبني اسرائيل : ﴿ **وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين** ﴾ اي بالطاعة ثوابا .

(٢) خلأت : بركت . قال ابو ذر الخلاء في الابل : بمنزلة الحران في الدواب . وقال البعض لا يقال الا للناقة خاصة . شرح سيرة ابن هشام .

بـه في قليب[1] من تلك القلب فغرزه في جوفه ، فجـاش بالـرواء حتى ضرب الناس عنه بعطن[2] .

فلما اطمئن رسول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) اتـاه بديـل بن ورقاء الخزاعي ، في رجال من خزاعة ، فكلموه وسألوه : مـا الذي جـاء به ؟ فاخبرهـم انه لم يأت يريد حربـاً ، وانما جـاء زائراً للبيت ، ومعـظماً لحرمته ، ثم قال لهم نحوا مما قال لبشر بن سفيان ، فـرجعوا الى قـريش فقالوا : يا معشر قريش ، انكم تعجلون على محمـد ، ان محمداً لم يـأت لقتال ، وانما جاء زائرا هذا البيت ، فاتهمـوهـم ، وجبهوهـم ، وقـالوا : وان كان جاء ولا يريد قتالا فوالله لا يدخلها علينـا عنوة ابـدا ولا تحدث بذلك عنا العرب .

---

(١) القليب : البئر .

(٢) جاش الماء : ارتفع ـ الرواء : الكثير ـ العطن : مبرك الابل حول الماء .

السفارة بين الرسول الاعظم وقريش

بعدما رجع بشر بن سفيان الكعبي ، وبديل بن ورقاء الخزاعي الى قريش ، وابلغوهم ان محمدا لم يأت لقتال ، او لدخول مكة فاتحاً ، وانما جاء معتمراً ، وزائراً ومعظماً لبيت الله الحرام . عندها بعثت قريش مكرز بن حفص بن الاخيف سفيرا لها الى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فلما رآه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مقبلاً قال : هذا رجل غادر ، فلما انتهى الى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وكلمه ، قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نحواً مما قال لبديل واصحابه ـ انه لم يأت يريد حرباً ، وانما جاء زائراً للبيت ومعظماً لحرمته . . . الى آخره ـ فرجع مكرز الى قريش ، فاخبرهم بما قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة ـ او ابن زبان ـ وكان يومئذٍ سيد الاحابيش . فلما رآه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ان هذا من قوم يتألهون[1] فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه .

---

(١) يتألهون : يتعبدون ـ ويعظمون امر الاله .

فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الـوادي ، في قلائـده[1] وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله[2] ، رجع الى قـريش ولم يصل الى رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) اعـظامـاً لما رأى ، فقـال لهم ذلك .

فقالوا له : اجلس ، انما انت اعرابي لا علم لك .

عنـد ذلك غضب الحليس وقـال : يا معشـر قريش ، والله مـا على هذا حالفنـاكم ، ولا على هـذا عاقـدناكم . . . أيصـد عن بيت الله من جاء معظماً له ؟! والذي نفس الحليس بيده ، لتخلن بين محمـد وبين مـا جاء له ، أو لأنفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد .

فقالوا له : مه ، كف عنـا يا حليس حتى نـأخذ لأنفسنـا ما نـرضى به .

ثم بعثـوا الى رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) عـروة بن مسعود الثقفي ، فقال : يا معشر قريش ، اني قد رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه الى محمد اذ جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ ، وقـد عرفتم انكم والـد[3] واني ولـد . وقـد سمعت بـالـذي نـابكم ، فجمعت من اطاعني من قومي ، ثم جئتكم حتى آسيتكم[4] بنفسي :

---

(١) القلائد : ما يعلق في اعناق الهدي ليعلم انه هدي للنحر .

(٢) محله : موضعه الذي ينحر فيه من الحرم .

(٣) المراد ـ ان كل واحد منكم كالوالد ـ وقيـل : أي انكم حي قد ولـدني لأن امه كانت سبيعة ـ وقيل سفيعة ـ بنت عبد شمس .

(٤) آسيتكم : عاونتكم .

قالوا : صدقت . . . ما انت عندنا بمتهم .

فخرج حتى أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فجلس بين يديه ، ثم قال : يا محمد . . . اجمعت او شاب الناس[1] ثم جئت بهم الى بيضتك[2] لتفضها[3] بهم ، انها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل ـ النساء والصبيان ـ قد لبسوا جلود النمور ، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة ابدا . وايم الله ، لكأني بهؤلاء قد انكشفوا غدا عنك .

ثم جعل عروة يتناول لحية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يكلمه . والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحديد . فجعل يقرع يده اذا تناول لحية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويقول : اكفف يدك عن وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل ان لا تصل اليك . فيقول عروة : ويحك ! ما افظك . . . واغلظك ! فتبسم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقال له عروة : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن اخيك المغيرة بن شعبة ، قال : إي غدر وهل غسلت سوءتك الا بالامس[4] .

---

(١) اوشاب الناس : اخلاط الناس .

(٢) بيضة الرجل : معناه اهله وقبيلته .

(٣) لتفضها : اي لتكسرها .

(٤) قال ابن هشام : اراد عروة بقوله هذا ان المغيرة بن شعبة قبل اسلامه قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك ، من ثقيف ، فتهايج الحيان من ثقيف : بنو مالك رهط المقتولين ، والاحلاف رهط المغيرة . فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية ، واصلح ذلك الأمر . =

فكلم عروة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاجابه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بنحو مما كلم به اصحابه ، واخبره انه لم يأت يريد حربا .

فقام من عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد رأى ما يصنع به اصحابه ، لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه ، واذا تكلموا خفضوا اصواتهم عنده ، وما يحدون اليه النظر تعظيماً له .

فرجع عروة الى اصحابه وقال : أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر ، وكسرى ، والنجاشي ، والله ما رأيت ملكاً قط يعظمه اصحابه ، ما يعظم اصحاب محمد ، اذا امرهم ابتدروا أمره ، واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوءه ، فاذا تكلموا خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيماً له ، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً ، فروا رأيكم . وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها .

وعن ابن اسحاق ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دعا خراش بن أمية الخزاعي فبعثه الى قريش بمكة ، وحمله على بعير له ، ليبلغ اشرافهم عنه ما جاء له ، فعقروا به جمل رسول الله (صلى الله

= وفي مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي : كان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية . . . فقتلهم ، واخذ اموالهم ، ثم جاء فاسلم ،فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اما الإسلام فقد قبلنا . . . واما المال فانه مال غدر لا حاجة لنا فيه . ـ أقول : المعلوم ان المغيرة بن شعبة قد اسلم ظاهراً كما اسلم غيره من المؤلفة قلوبهم بعدما اعز الله الإسلام واخذ يسير من نصر الى نصر .

عليـه وآله وسلـم) وارادوا قتله ، فمنعتـه الاحابيش فخلوا سبيله . حتى اتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ثم ان قـريشاً كـانـوا قـد بعثـوا اربعـين رجـلاً منهم ـ او خمسـين ـ وامروهم ان يطيفـوا بعسكر رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) ، ليصيبوا لهم من اصحابـه احدا ، فأُخذوا أخـذاً ، فاتي بهم رسـول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فعفا عنهم ، وخلى سبيلهـم ، وقد كـانوا رمـوا في عسكـر رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) بـالحجـارة والنبل .

ثم دعا رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) عمر بن الخـطاب ليبعثه الى مكة ، فيبلغ عنه اشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسـول الله اني اخاف قريشـاً على نفسي ، وليس بمكـة من بني عدي بـن كعب احد يمنعني ، وقد عرفت قريش عداوتي اياهـا ، وغلظتي عليها ، ولكني ادلك على رجل اعز بها مني ، عثمان بن عفان .

فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عثمان بن عفـان ، فبعثه الى ابي سفيان واشراف قريش يخبرهم انه لم يأت لحرب ، وانه انما جاء زائرا لهذا البيت ، ومعظماً لحرمته .

فخرج عثمان الى مكة ، فلقيه ابان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة ـ او قبل ان يدخلها ـ فحمله بين يديـه ، ثم اجاره حتى بلَّغ رسـالة رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) . فـانطلق عثمـان حتى اتى ابا سفيـان وعظماء قـريش ، فبلَّغهم عن رسول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) ما ارسله به .

واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمون ان عثمان ابن عفان قد قتل .

ثم اتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان الذي ذكر من امر عثمان باطل[1] .

(١) ذكر قصة الحديبية والسفارة بين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقريش جميع المؤرخين واصحاب السير والمفسرين بمعنى واحد ، لكن باختلاف بسيط في بعض العبارات .

بيعة الرضوان . . او بيعة الشجرة

لما بلغ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمون ان عثمان قد قتل قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : لا نبرح حتى نناجز القوم ، ودعا الناس للبيعة ، فقام (صلوات الله عليه وآله) الى شجرة مستندا اليها، وبايع الناس على ان يقاتلوا المشركين ، ولا يفروا .

فنزل قوله تعالى: ﴿ **لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا*ومغانم كثيرة ياخذونها وكان الله عزيزا حكيما*وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف ايدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما** ﴾[1] .

وهنا لا بد من الكلام في معنى الآية . . ومعنى الرضا ، اقول : لا بد ان يكون الرضا من الله سبحانه وهو تعظيمهم واثابتهم ، وان يجزيهم جزاء حسنا في الحياة الدنيا بدليل قوله تعالى: ﴿ **فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا** ﴾ يعني فتح خيبر ، عن قتادة واكثر المفسرين .

---

(١) سورة الفتح : آية ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ .

﴿ ومغـانم كثيرة يـاخذونها ﴾ اذ كـانت خيبـر مشهـورة بكثـرة الامـوال والعقار. وقيل غنائم هوازن بعد فتح مكة .

وعلى اي حال يتضح من الرضا والاثابة في قولـه تعالى: هـو الجزاء بالفتح، والغنائم التي يأخذونها .

فالرضا بالنسبة للانسان هو ان يتلقى ما يلائمه ويتقبله ويرتاح اليه، مقابل السخط من الانسان، وهو ما لا يرضى به ، ولا يتقبله ولايلائمه.

وعلى هذا يكون الرضا والسخط من الانسان للامور الطارئة عليـه، ولا يكون بالنسبة للباري سبحانه وتعالى، لان الانفعاليات من العوارض والعوارض ممكنة بالنسبة للانسان لانـه ممكن ، واما بـالنسبة لله سبحـانه وتعالى، فمحال، لأنه غير قابل للعوارض، والا اصبح ممكنـا ، ولم يكن واجب الوجود. فيكـون رضاه عـز وجل من صفـات الفعل لا الـذات، ومعناه الاثابة، ومرجع هذا الموضوع الى علم الكلام .

ثم ان الآية لا تدل على تنزيه الجميع تنزيها ذاتيـا ما دامت الحيـاة، بل ثوابا على تلك الواقعة فقط.

وعلى ما ذكرنا لا يبقى مجـال للمحتجين بـآية الـرضا أن الله رضي عن جميع الذين بايعوا الرسول، وحضروا بيعة الشجرة .

على أنه يوجد الكثير من المؤمنين الصـالحين حـين البيعة القـانعين بنصر الله ورضاه سبحانه عليهم ، ليس لهـم غاية سوى طاعة الله تعالى والتوجه اليه ونصرة دينه ، واتباع رسوله.

ويوجد ايضا الكثير ممن كان يوم ذاك تحت الشجرة ، الذين يرغبون

بالدنيا والجزاء القريب، لذلك جاء قوله جل وعلا : ﴿ **وجـزاهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها** ﴾ والله يعلم خفايا الصدور.



صلح الحديبية

روى ابن هشام في سيرتـه عن ابن اسحاق أنـه قال: بعثت قـريش سهيل بن عمرو، اخا بني عامر بن لؤي، الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقالوا له : إئت محمدا فصالحـه ، ولا يكن في صلحه الا أن يرجع عنا عامه هذا ، فـوالله لا تحدث العـرب عنا انـه دخلها علينـا عنوة ابدا.

فـاتاه سهيـل بن عمرو، فلما رآه رسـول الله (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) مقبلا، قال : قد اراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل.

فلما انتهى سهيـل بن عمرو الى رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) تكلم فاطال الكلام ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح .

فلما التأم الامر ولم يبق الا الكتاب، وثب عمر بن الخطاب، فاتى ابا بكـر فقال: يـا ابا بكـر اليس برسـول الله ؟ قال: بـلى، قال : او لسنـا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : او ليسوا بالمشركين ؟ قال : بـلى، قال : فعـلام نعطي الـدنية في ديننـا قال ابـو بكر: يـا عمر الزم غرزه [1] فاني اشهـد انه رسـول الله، ثم اتى عمـر رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه

---

(١) الزم غرزه : اي الزم امره .

وسلم) فقـال: يا رسـول الله، الست برسـول الله؟ قال : بـلى قال: او لسنا بالمسلمـين ؟ قال : بـلى، قال: او ليسـوا بالمشـركين ؟ قـال : بلى، قال : فعلام نعـطي الدنيـةفي ديننا ؟ قـال : انا عبـد الله ورسولـه ، لن اخالف امره ولن يضيعني .

وروى الواقدي في مغازيه : جعل عمر يـرد على رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) الكـلام ويقول : عـلام نعطي الـدنية في ديننـا ؟ وجعل رسول الله يقول انا رسول الله ولن يضيعني. فيقول ابو عبيدة بن الجراح : ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله يقول ما يقول ؟ تعوذ بالله من الشيطان واتهم رأيك ! قال عمر: فجعلت اتعـوذ بالله من الشيـطان الرجيم حياء، فما اصابني قط شيء مثل ذلك اليـوم ، وارتبت ارتيابـا لم ارتبه منذ اسلمت الا يومئذ، ولـو وجدت ذلـك اليوم شيعـة تخرج عنهم رغبـة عن القضية لخـرجت . ثم جعل الله تبـارك وتعالى عـاقبتها خيـراً ورشدا.

وعن الواقدي ايضا عن ابي سعيد الخدري قال : جلست عند عمر بن الخـطاب يومـا فذكـر القضية فقـال: لقد دخلني يـومئذ من الشـك، وراجعت النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) يومئـذ مراجعـة ما راجعته مثلها قط وقال عمر ايضا: والله لقـد دخلني يومئـذ من الشك حتى قلت في نفسي: لو كنا مائة رجل على مثل رأيي ما دخلنا فيه أبدا. فلما وقعت القضيـة اسلم في الهدنـة اكـثر ممن كـان اسلم من يـوم دعـا رسـول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى يوم الحديبية . وما كان في الاسلام فتح اعظم من الحديبية .(١)

---

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ـ ص ٦٠٦ ـ ٦٠٧ ـ.

وجـاء في تـاريـخ ابن الاثـير ان رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) لمـا اتفق وسهيـل بن عمـرو عـلى عقـد الصلح دعـا رسـول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) علي بن ابي طـالـب فقال : اكتب بسم الله الـرحمن الرحيم فقـال سهيل لا نعـرف هذا . . . ولكن اكتب بـاسمـك اللهم فكتبها . ثم قال: اكتب هـذا ما صـالح عليـه محمد رسـول الله، سهيل بن عمرو، فقال سهيل : لـو نعلم انـك رسول الله لم نقـاتلك . ولكن اكتب اسمك واسم ابيك، فقال رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) لعـلي: امح رسـول الله، فقال عـلي: لا امحـوك ابـدا، فـاخـذه رسـول الله (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) وليس يحسن ان يكتب فكتب مـوضـع رسـول الله. . محمـد بن عبـد الله . . وقـال لعـلي: لتبلين بمثلهـا . . ـ وهذا القـول من جملة اخبار الـرسول (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) عن المغيبـات ، حيث ابتـلي عـلي (عليـه السـلام) بمثلهـا يـوم الحكمين في حرب صفين وسيأتي ذلك في موضعه .

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)لعلي: اكتب هـذا ما صالح عليه محمد بن عبـد الله سهيل بن عمـرو، اصطلحـا على وضـع الحـرب عن الناس عشـر سنين، يـأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض، على انه من اتى محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشا ممن مع رسول الله لم يردوه عليه.

ومن احب ان يـدخـل في عهـد رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) دخل، ومن احب ان يدخل في عهد قريش دخل.

فدخلت خزاعة في عهد رسول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) ، ودخلت بنو بكر في عهد قريش، وان يرجع رسـول الله (صلى الله عليـه

وآله وسلم) عنهم عامه هذا . فاذا كان عام قابل خرجنا عنك فـدخلتها باصحابك ، فاقمت بها ثلاثا ، وسلاح الراكب والسيوف في القرب، لا تدخلها بغيرها .

فبينا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يكتب الكتـاب اذ جاء ابـو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد، قد انفلت الى رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) ، وكان اصحـاب النبي (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) لا يشكون في الفتـح ، لرؤ يـا رآها رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) ، فلما رأوا الصلح دخلهم من ذلـك امر عـظيم حتى كادوا يهلكون .

فلما رأى سهيـل ابنه أبـا جنـدل، اخـذه وقـال: يـا محمـد قـد تمت القضية بيني وبينك قبل ان يأتيك هذا.

قال النبي (صلى الله عليـه وآله وسلم) : صـدقت، واخذه ليـرده الى قريش، فصاح ابـو جندل: يـا معشر المسلمـين. . أرد الى المشركـين ليفتنوني عن ديني ؟ ! .

فزاد الناس شراً الى ما بهم ، فقـال له رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) : احتسب ـ يا ابا جندل ـ فـان الله جاعـل لك ولمن معـك من المستضعفين فرجا ومخرجاً . . . انا قد اعطينا القوم عهودنا عـلى ذلك فلا نغدر بهم .

وشهد جماعة على الصلح من المسلمين ، وجماعة من المشركين . فلما فرغ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من قضيته قال: قوموا فـانحروا ثم احلقوا فما قام احد حتى قال ذلك مرارا، فلما لم يقم احد منهم ، دخل

على ام سلمة فذكر لها ذلك فقالت : يا نبي الله اخرج ولا تكلم احداً منهم ، حتى تنحر بدنك وتحلق شعرك ، ففعل ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحرواوحلقوا ، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا للازدحام ، فما فتح في الاسلام فتح كان اعظم منه حيث امن الناس كلهم بعضهم بعضا فدخل في الاسلام تينك السنتين مثل ما دخل فيه قبل ذلك واكثر [1].

(١) الكامل في التاريخ : لابن الاثير : ج٢ ـ ص ـ١٣٨ ـ ١٣٩ .



المؤمنات المهاجرات يوم الحديبية

ذكر الطبرسي في مجمع البيان في تفسير قوله تعالى: ﴿ **يا ايها الذين آمنوا ، اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما انفقوا ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتمهن اجورهن** ﴾[1].

قال ابن عابس : صالح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالحديبية مشركي مكة ، على أن من اتاه من اهل مكة رده عليهم ، ومن اتى اهل مكة من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)فهو لهم ، ولم يردوه عليه، وكتبوا بذلك كتابا، وختموا عليه.

فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة بعد الفراغ من الكتاب والنبي (صلى الله عليه واله وسلم) بالحديبية . فاقبل زوجها مسافر من بني مخزوم ـ وقال مقاتل :وهو صيف بن الراهب ـ في طلبها وكان كافراً، فقال : يا محمد اردد علي امرأتي ، فانك قد شرطت لنا ان ترد علينا من اتاك منا ، وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد، فنزلت الآية : ﴿ يا ايها

---

(١) سورة الممتحنة ـ آية ـ ١٠ .

الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات) . . من دار الكفر الى دار الإسلام **﴿ فامتحنوهن ﴾** ، قال ابن عباس : امتحانهن ان يستحلفن ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة عن ارض الى ارض ، ولا التماس دنيا ، وما خرجت الا حبا لله ولرسوله . . .

فاستحلف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سبيعة بنت الحرث أنها ما خرجت كرها لزوجها ، ولا عشقا لرجل من المسلمين، ولا خرجت الا رغبة في الاسلام . فحلفت بالله الذي لا اله الا هو على ذلك .

عند ذلك اعطى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) زوجها مهرها ، وما انفق عليها ، ولم يردها عليه فتزوجها عمر بن الخطاب، فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يرد من جاءه من الرجال، ويحبس من جاءه من النساء اذا امتحن . ويعطي ازواجهن مهورهن .

وفي مجمع البيان عن الجبائي : لم يدخل في شرط صلح الحديبية الا رد الرجال دون النساء ولم يجر للنساء ذكر. وان ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط، جاءت مسلمة مهاجرة من مكة ، فجاء اخواها الى المدينة ، فسألا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ردها عليهما ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله سلم): ان الشرط بيننا في الرجال، لا في النساء فلم يردها عليهما .

وقال الجبائي ايضاً: وانما لم يجر هذا الشرط في النساء، لأن المرأة اذا اسلمت لم تحل لزوجها الكافر، فكيف ترد عليه وقد وقعت الفرقة بينهما . ! .

ما كان من امر ابي بصير والمستضعفين بعد الصلح

جاء في تاريخ الطبري عن ابن اسحاق عن الزهري انه : رجع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى المدينة بعد صلح الحديبية، فما فتح في الاسلام فتح قبله كان اعظم منه ، انما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب اوزارها ، وامن الناس كلهم بعضهم بعضا فالتقوا، وتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، فلم يكلم احد في الاسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، فلقد دخل في تينك السنتين - من الحديبية حتى فتح مكة - في الاسلام مثل ما كان في الاسلام قبل ذلك واكثر .

فلما قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة ، جاءه ابو بصير رجل من قريش - وهو عتبة بن اسيد ابن جارية - وهو مسلم ، وكان ممن حبس بمكة . فلما قدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كتب فيه ازهر بن عبد عوف، والاخنس بن شريق الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وبعثا رجلا من بني عامر بن لؤي، ومعه مولى لهم .

فقدما على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بكتاب الازهر - والأخنس، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا ابا بصير،

انا قد اعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا .

فانطلق ـ ابو بصير ـ معهما حتى اذا كان بذي الحليفة[1] جلس الى جدار، وجلس معه صاحباه ، فقال ابو بصير: أصارم سيفك هذا يا اخا بني عامر ؟. قال نعم ، قال : انظر اليه ؟ قال : ان شئت . . ! فاستله ابو بصير ، ثم علاه به حتى قتله .

وخرج المولى سريعا، حتى اتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو جالس في المسجد ، فلما رآه رسول الله طالعا ، قال : ان هذا رجل قد رأى فزعا . فلما انتهى الى رسول الله قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : ويلك . . مالك !؟ قال : قتل صاحبكم صاحبي . . فوالله ما برح حتى طلع ابو بصير متوشحا السيف، حتى وقف على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقال: يا رسول الله، وفت ذمتك ، وادى عنك ، اسلمتني ورددتني اليهم ، ثم انجاني الله منهم .

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : ويل امّه مسعر حرب ![2] لو كان معه رجال . . ! فلما سمع ذلك ـ ابو بصير ـ عرف ان الرسول سيرده اليهم .

فخرج ابو بصير حتى نزل بالعيص من ناحية ذي المروة على ساحل البحر، بطريق قريش الذي كانوا يأخذون الى الشام .

---

(١) ذي الحليفة : قرية بينها وبين المدينة ستة اميال . او سبعة .

(٢) وقيل محش حرب : معناه موقد حرب ومهيجها .

وبلغ المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأبي بصير : « ويل امه مسعر حرب لو كان معه رجال » فخرجوا الى ابي بصير بالعيص .

وينفلت ابو جندل بن سهيل بن عمرو، فلحق بابي بصير، فاجتمع اليه قريب من سبعين رجلا منهم ، فكانوا قد ضيقوا على قريش، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش الى الشام الا اعترضوا لهم فقتلوهم ، واخذوا اموالهم .

عندها ارسلت قريش الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يناشدونه بالله وبالرحم لّما ارسل اليهم ! فمن اتاه فهو آمن[1] فآواهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقدموا عليه المدينة[2].

---

(١) وفي سيرة ابن هشام : كتبت قريش الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تسأله بارحامها الا اواهم ، فلا حاجة لهم بهم . لأنهم كانوا قد ضيقوا على قريش ، لا يظفرون باحد منهم الا قتلوه ، ولا تمر بهم عير الا اقتطعوها .

(٢) تاريخ الطبري ج ٢ ـ ص ٦٣٨ ـ ٦٣٩ .



عهد الحديبية فتح مبين

ذكر المؤرخون واصحاب السير ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج من المدينة يريد العمرة ، وذلك في ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة . واقام (صلى الله عليه وآله وسلم) بالحديبية نحو من عشرين يوما .

وبعد كتابة العهد والمهادنة، لم يبق للمسلمين الا أن يرجعوا الى المدينة بانتظار ان يعودوا الى مكة في العام المقبل، وكان اكثرهم قد رضخ للامر الواقع على مضض بعد كتابة العهد، وامر الرسول، حتى انه دخل الشك والريب في نفس بعض المسلمين كما اسلفنا .

قفل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه ومن رافقه راجعين الى المدينة ، وانهم لفي طريقهم بين مكة والمدينة نزل الوحي على الرسول الاعظم بسورة الفتح : ﴿ **انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما*وينصرك الله نصرا عزيزا** ﴾[1] .

لم يبق بعد نزول الوحي ريب في أن عهد الحديبية كان فتحا مبينا،

---

(١) سورة الفتح ـ آية ـ ١ ـ ٢ .

ونصـرا من الله سبحانـه لـلاسـلام، واثبتت الايـام حكمـة هـذا العهـد وسيـاسة الـرسول الحكيمـة، وبعد نـظره لعواقب الامـور، وقـد احـرز الاسلام من عهد الحديبية فوائد جمة منها . . .

اولا : ان رضخت قريش، واجبرت على الاعتراف بمحمـد (صلى الله عليه وآله وسلم) على انه رجل عظيم وندها في الحرب، بل واعـظم منها . . بعد ان كانت تنظر اليه نظرة رجل ثار على تقاليـد الآباء والاجداد.

ثانيا : اقـرار قريش للمسلمـين بحق زيارة البيت العتيق ـ الكعبـة ـ واقامة شعائر الحج واداء المناسك بمقتضى اصول الدين الاسلامي .

ثالثا : اعتراف قريش بان الاسـلام دين له اهميتـه معترف بـه رغم انفها بين اديان شبه الجزيرة العربية، وللمسلمين الحق في ممارسته .

رابعا : اعطى عهـد الحديبيـة المسلمين الاطمئنـان ، فلا يخشون غارات قريش ومهاجمتها التي هي الد اعداء محمـد (صلى الله عليـه وآله وسلم) واشد محاربيه وقد انتهت بالاذعان لـه بعد تجبـرها وطغيـانها من قبل .

خامسا : مهدَّ عهد الحديبية للاسلام ان يـزداد انتشارا فقـد اثبتت الحوادث والايام ان الاسلام انتشر بعد الهدنة انتشارا واسعا إذ أننا نـرى ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جاء الى الحـديبية وبصحبتـه الف واربعمائة على اكثر الروايات فلما كان بعد عـامين ـ من السنـة السادسـة حتى السنة الثامنة للهجرة ـ أقبل (صلى الله عليه وآله وسلم) لفتح مكة بعشرة آلاف مقاتل .

واما ما نص عليه العهد وازعج الكثير من المسلمين من ان « من اتى محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ومن جاء الى قريش من المسلمين لم يردوه على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فمن حكمة هذا النص وتبصر النبي بعواقب الامور . . ان من ارتد عن الاسلام ، ولجأ الى قريش لم يكن جديرا ان يعود الى جماعة المسلمين . ومن اسلم وقلبه مطمئن بالايمان وحاول اللحاق بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عن عقيدة ثابتة فسيجعل الله له من امره فرجا ومخرجا .

وقد اثبتت الحوادث فيما بعد صحة تصرف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصواب رأيه ، وحنكته ، وحكمته باسرع ما كان يظنه اصحابه ، ودلت على ان الاسلام كسب من عهد الحديبية ومهادنة قريش اعظم الكسب.

بقي شيء لا بد من ذكره وهو ان الكثير من المفسرين التبس عليهم معنى قوله تعالى: ﴿ **ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر** ﴾ وفسروا الذنب بتفاسير كلها غير موافق لما يذهب اليه اصحابنا من ان الانبياء معصومون من الذنوب كلها صغيرها وكبيرها قبل النبوة وبعدها . فمنها انهم قالوا : معناه ما تقدم من معاصيك قبل النبوة وما تأخر عنها . ومنها قولهم : ما تقدم الفتح وما تأخر عنه . ومنها قولهم : ما وقع وما لم يقع على الوعد بانه يغفره له اذا وقع . ومنها قولهم : ما تقدم من ذنب ابويك آدم وحواء ببركتك وما تأخر من ذنوب امتك بدعوتك الى آخره[1] .

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي .

وقـد سبق ان ذكرنـا في باب العصمـة من هذا الكتـاب ان الانبيـاء منزهون عن المعـاصي والذنـوب كبيرهـا وصغيرهـا . لأنه اذا جـاز على النبي اتيان الذنب او الخطأ بالقـول والفعل ولـو سهوا ، كيف يمكن ان يـركن الى قولـه وفعله ، ويكـون حكمـه حكم الله في الارض، أو فعله هو المتبع .

واذا جـاز اتيـان الـذنب منـه والخـطأ عليـه ، عنـد ذلـك لا يؤمن لحكمه ولا يركن الى قوله وتنتفي المصلحة من ارسالـه، وحصول الخـطأ منه (صلى الله عليه وآله وسلم) مـردود بالضـروة « ويؤيد مـا ذكرنـا ما رواه المفضل بن عمر عن الصادق (عليه السـلام) قال : سـأله رجـل عن هـذه الآية ﴿ ليغفـر لك الله مـا تقدم من ذنبـك ﴾ فقال : والله مـا كـان له ذنب، ولكن الله سبحـانه ضمن لـه ان يغفر ذنـوب شيعة عـلي (عليه السلام) وما تقدم من ذنبهم وما تأخر .

ومـا رواه عمـر بن يـزيـد قـال : قلت لابي عبـد الله (عليـه السـلام): عن قول الله سبحـانه ﴿ ليغفـر لك الله مـا تقـدم من ذنبـك وما تأخـر ﴾ قال : مـا كان لـه ذنب، ولا همَّ بـذنب، ولكن الله حمله ذنوب شيعته ثم غفرها له »[1] .

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي .

السرايا عام الحديبية

عاد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الى المدينة في ذي الحجة من الحديبية في السنة السادسة للهجرة النبوية ، وفيها كانت عدة سرايا وغزوات .

ـ منها سرية عكاشة بن محصن في اربعين رجلا الى الغمر،[1] فيهم ثابت بن اقرم ، وشجاع بن وهب فنذر بهم القوم فهربوا فسعت الطلائع فوجدوا مائتي بعير، فأخذوها الى المدينة ، وكانت في ربيع الآخر .

ـ ومنها سرية محمد بن مسلمة ـ ارسله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في عشرة فوارس في ربيع الأول، الى بني ثعلبة بن سعد، فكمن القوم له حتى نام واصحابه، وظهروا عليهم ، فقتل اصحابه ونجا وحده جريحا .

ـ ومنها سرية ابي عبيدة بن الجراح ـ الى ذي القصة في ربيع الآخر في اربعين رجلا، فهرب اهله منهم في الجبال، واصابوا نعما ورجلا واحدا اسلم، فتركه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

---

(١) الغمر هو ماء لبني اسد ـ كما في الطبقات لابن سعد ـ .

ـ ومنها سرية زيد بن حارثة ـ بالجموم ، فاصاب امرأة من مزينة اسمها حليمة ، فدلتهم على محلة من محال بني سليم ، فاصابوا نعما وشاء، واسرى، وكان فيهم زوجها . فاطلقها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وزوجها معها .

ـ ومنها سرية زيد الى العيص ـ في جمادى الاولى، وفيها أُخذت الاموال التي كانت مع ابي العاص بن الربيع .

ـ ومنها سرية زيد ايضا الى الطرف ـ في جمادى الآخرة الى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلا فهربوا منه واصاب من نعمهم عشرين بعيراً وغاب اربع ليال .

ـ ومنها سرية زيد بن حارثة الى حسمى[1]في جمادى الآخرة ، وسببها ان رفاعة بن زيد الجذامي، قدم على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في هدنة الحديبية ، واهدى له غلاما ، واسلم فحسن اسلامه ، وكتب له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كتابا الى قومه يدعوهم الى الاسلام، فاسلموا .

ثم ان دحية بن خليفة الكلبي اقبل من الشام ، من عند قيصر وقد اجازه بمال وكساه ، حتى اذا كان بارض جذام اغار عليه الهنيد بن عوض وابنه عوض بن الهنيد الضليعيان ـ بطن من جذام ـ فاخذا كل شيء معه . فبلغ ذلك نفرا من بني الضبيب قوم رفاعة ممن كان اسلم . فنفروا الى الهنيد وابنه فلقوهم واقتتلوا ، فظفر بنو الضبيب، واستنقذوا كل شيء اخذ من دحية ، وردوه عليه . فخرج دحية حتى قدم على

---

(١) حسمى : ارض ببادية الشام بينها وبين وادي القرى ليلتان .

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاخبره خبره . عندها ارسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اليهم زيد بن حارثة في جيش، فاغاروا بالفضافض، وجمعوا ما وجدوا من مال، وقتلوا الهنيد وابنه .

ـ ومنها سرية عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل ـ في شعبان . قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ان اطاعوك فتزوج ابنة ملكهم[1] فاسلموا فتزوج عبد الرحمن تماضر بنت الاصبغ، رئيسهم. وملكهم، وهي ام ابي سلمة .

ـ ومنها سرية علي بن ابي طالب (عليه السلام) الى فدك ـ في شعبان في مائة رجل ، وذلك ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بلغه ان حياً من بني سعد قد تجمعوا له ، يريدون ان يمدوا اهل خيبر. فسار اليهم علي (عليه السلام) ، فاصاب عينا لهم فاخبره العين أنه سار الى يهود خيبر يعرض عليهم نصر بني سعد على ان يجعلوا لهم تمر خيبر.

ـ ومنها سرية زيد بن حارثة الى ام قرفة ـ في رمضان ، وكانت امرأة عجوزا كبيرة ، فلقي زيد بني فزارة بوادي القرى، فأصيب اصحابه وارتث[2] زيد من بين القتلى، فنذر ان لا يمس ماء من جنابة حتى يغزو فزارة ، فبعثه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اليهم ، فلقيهم بوادي القرى، فاصاب منهم وقتل، واسر أم قرفة ـ وهي فاطمة بنت

---

(١) انما أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عبد الرحمن بن عوف (على حسب الرواية) ان يتزوج ابنة ملكهم ، انما هي سياسة حكيمة حتى يطمئنوا اليه ويلتفوا حوله ويحافظوا عليه لأنه صهرهم .

(٢) ارتث : حمل من المعركة رثيثا ـ اي جريحا وبه رمق .

ربيعة بن بدر ـ عجوز كبيرة وبنتا لها ، فقتل ام قرفة، وقدم على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بابنتها .

ـ ومنها سرية كرز بن جابر الفهري العرنيين ـ الذين قتلوا راعي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واستاقوا الابل[1]في شوال من سنة ست ، وبعثه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في عشرين فارسا .[2].

ـ ومنها سرية عبد الله بن رواحة الى أسير بن رازم ـ ارسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عبد الله بن رواحة في ثلاثين رجلا من المسلمين الى أسير بن رازم ناحية خيبر يدعوه الى الاسلام .

---

(١) ذكر الطبرسي في كتابه مجمع البيان في تفسير القرآن : أن جماعة من العرينيين قوم من عرينة ـ لما نزلوا المدينة للإسلام ، واستوخموها ، واصفرت الوانهم . فامرهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يخرجوا الى ابل الصدقة ، فيشربوا من البانها ، وابوالها ، ففعلوا ذلك . فصحوا .
وبعدما صحوا مالوا الى الرعاة ، فقتلوهم ، واستاقوا الابل ، وارتدوا عن الإسلام . فاخذهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقطع ايديهم ، وارجلهم من خلاف ، وسمل اعينهم . عن قتادة وسعيد بن جبير والسدي .
وفي العرنيين نزله قوله تعالى : ﴿ **انما جزاؤ الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتّلوا أو يصّلبوا أو تقطّع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم** ﴾ المائدة آية ٣٣ ـ وقيل نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) موادعة فنقضوا العهد . عن ابن عباس والضحاك . وقيل نزلت في اهل الشرك عن الحسن وعكرمة . والله العالم .

(٢) الكامل في التاريخ : لابن الاثير ـ ج٢ ـ ص ١٤١ ـ ١٤٢ .

وكان أسير قد قال: يا معشر اليهود نسير الى محمـد في عقر داره فـانه لم يغز احد في داره الا ادرك منه عدوه بعض ما يريد ، قالوا : نعم ما رأيت . وقدم عبد الله بن رواحة في اصحابه خيبر فقتل أسير واصحابه ما عدا رجلا من اليهود. ورجع المسلمون منتصرين .



رسل النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) للملوك ـ والرؤساء

بعد عهد الحديبية ، وعـودة الرسـول (صلى الله عليـه وآله وسلم) الى المدينة ، وبعد أن اطمأن المسلمون جانب قـريش اخذ النبي (صـلى الله عليه وآله وسلم) يتابع نشر دعوته الى خارج الحجاز ، فارسل رسله الى الملوك والامراء يدعـوهم الى الاسلام ، والايمـان ، ويبلغهم ما نـزل عليه من الوحي . . وأنه لا اله الا الله وحـده لا شريك له، وانـه (صلى الله عليه وآله وسلم) رسول الله جاء بشيرا ونذيرا الى الناس كافة .

ذكر المؤرخون واصحـاب السير: ان الـرسول الاعـظم خرج عـلى اصحـابه ذات غـداة ، فقال لهم : اني بعثت رحمـة للعالمـين . وللنـاس كافة، فأدوا عني يرحمكم الله، ولا تختلفوا علي كاختلاف الحـواريين عـلى عيسى بن مريم . .

قالوا : يا رسول الله، وكيف كان اختلافهم ؟ .

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : دعا الى مثل مـا دعوتكم اليـه، فاما من قرب به[1]فاحب وسلم، واما من بعد به فكره وابى.

واختلف المؤرخون بالنسبـة للزمن الذي بعث فيـه الرسـول (صلى

(١) وفي رواية : له .

الله عليه وآله وسلم) رسله الى ملوك الآفـاق، وكتبه اليهم يـدعوهـم الى الايمـان بالله عز وجل ، والى الاسلام، وانـه النبي المرسـل من قبل الله تعالى.

جاء في البداية والنهايـة عن الواقـدي ان زمن ارسال النبي (صـلى الله عليـه وآله وسلم) الـرسـل للملوك كـان في آخـر سنـة ست في ذي الحجة بعد عمرة الحديبية .

وذكـر البيهقي هذا الفصـل في هذا المـوضع بعـد غزوة مؤتـة والله اعلم .

وعن محمد بن اسحاق: كان ذلك ما بين الحديبية ووفاته (صلى الله عليه وآله وسلم).

وعن قتادة عن انس بن مالك : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كتب قبل مؤتة الى كسرى وقيصر والى النجاشي، والى كل جبار يدعوهم الى الله عز وجل .

روى الطبرى في تاريخه عن ابن اسحـاق انه قـال: بعث رسـول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سليط بن عمرو بن عبـد شمس، الى هوذة بن علي، صاحب اليمامة .

وبعث العـلاء بن الحضـرمي الى المنـذر بن سـاوى اخي بني عبــد القيس، صاحب البحرين .

وبعث عمـرو بن العاص الى جيفـر بن جلندى، وعبـاد بن جلندى الازديين، صاحبي عُمان .

وبعث حاطب بن ابي بلتعة الى المقوقس صاحب الاسكندرية فـادى

اليه كتاب رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) ، واهـدى المقوقس الى رسول الله (صلى الله عليه آله وسلم) اربـع جوار ، منهن مـارية ام ابراهيم بن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وبعث رسـول الله (صلى الله عليـه وآلـه وسلـم) دحيـة بن خليفـة الكلبي الى قيصر، وهو هرقل ملك الروم .

ونحن نقتصـر على ذكـر بعض الكتب التي بعثها رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) الى الملوك امثال النجاشي، وقيصـر، وكسـرى، وبقية الكتب الى الملوك كانت متشابهة . وكان رد الفعل على كتبه (صلى الله عليه وآله وسلم) لمن ارسل اليهم ، في بعضها اللين ، وفي بعضها التودد، وفي بعضها الشدة والغلظة والتجبر.

اما كتابـه (صلى الله عليـه وآله وسلم) الى النجـاشي ملك الحبشة فقد روى الطبري عن ابن اسحاق انه قال: بعث رسـول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عمرو بن امية الضمـري الى النجاشي في شـأن جعفر بن ابي طالب واصحابه ، وكتب معه كتابا .

بسم الله الـرحمن الـرحيم . من محمـد رسـول الله الى النجـاشي الاصحم ملك الحبشـة، سـلام انت[1]فـاني احمـد اليـك الله، الملك القدوس، السلام المؤمن المهيمن ، واشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ، القاها الى مريم البتـول، الطيبـة الحصينة ، فحملت بعيسى، فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه[2]، واني ادعوك الى

---

(١) وفي رواية : سلم انت .

(٢) ونفحه بيده ـ المراد : بارادته سبحانه .

الله وحده لا شريك له ، والمولاة على طاعته ، وان تتبعني وتؤمن بالذي جاءني، فاني رسول الله، وقد بعثت اليك ابن عمي جعفراً ، ونفراً معه من المسلمين ، فاذا جاءك فاقرّهم ، ودع التجبر، فاني ادعوك وجنودك الى الله، فقد بلّغت ونصحت ، فاقبلوا نصحي، والسلام على من اتبع الهدى.

فكان جواب النجاشي، لينا حسنا فيه التودد، والمحبة، والتصديق ، والمحافظة على جعفر واصحابه المسلمين المهاجرين الى الحبشة.

وعن ابن اسحاق ايضاً : أنه ارسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى النجاشي ليزوجه ام حبيبة بنت ابي سفيان ، ويبعث بها اليه مع من عنده من المسلمين .

ـ وكانت ام حبيبة قد هاجرت الى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش الذي تنصر وبقي في الحبشة حتى مات .

ارسل النجاشي الى ام حبيبة يخبرها بخطبة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اياها فسُرَّت بذلك سرورا شديد . وامرها ان توكل من يزوجها ، فوكلت خالد بن سعيد بن العاص، فزوجها .

ثم دعا النجاشي باربعمائة دينار صداقها ـ فدفعها الى خالد بن سعيد ـ وكيلها ـ[1].

واما ما كان من امر هرقل ملك الروم فقد جاء في البداية والنهاية

---

(١) تاريخ الطبري ـ ج ٢ ـ ص ٦٥٣ .

لابن كثير مرويا عن ابن عباس ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ارسل مع دحية كتاباً الى هرقل ملك الروم وفيه « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد بن عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى، اما بعد، فاني ادعوك بدعاية الاسلام ، اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين، فان توليت فان عليك اثم الاريسيين [1] ﴿ **يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون** ﴾ [2].

اما الحارث بن ابي شمر الغساني الذي كان ملكا على تخوم الشام فانه عندما ورد عليه كتاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : « سلام على من اتبع الهدى، وآمن به ، اني ادعوك الى ان تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك . »

غضب الحارث بن ابي شمر حينما قرأ كتاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال : من ينزع مني ملكي ؟ ! انا سائر اليه . ـ قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): حينما بلغه قول الحارث : « باد ملكه » أي ذهب ملكه .

وكتب الحارث الى هرقل يستأذنه في ان يبعث جيشاً لحرب النبي

---

(١) اختلف في وزن هذه الكلمة ومعناها . ومن معاني الاريسيين ، الخدم والحشم ، يريد أنه مسؤول عن اثم رعيته لصده اياهم عن الدين . (راجع نهاية ابن الاثير ومعجمات اللغة ، مادة ارس) .

(٢) سورة آل عمران : آية ـ ٦٤ .

(صلى الله عليه وآله وسلم) يتولى قيادته بنفسه . لكن هرقـل ملك الروم لم يعط أي اهمية لطلب الحارث الغساني، لأنـه لم يكن يتصور ان محمـدا الرجل العربي، غير الملك ، القليل المال والرجال يستـطيع ان يجـابهه أو يشكل خطراً عليه وعلى دولة الروم العظيمة .

وإذ يكن يـدور في خلد هرقل ايضـا ان الله سبحـانـه وتعـالى يقيِّض النجاح لدعوة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وتصبـح بعد سنوات قليلة دولة الاسلام تسيطر على بلاد الشـام، وفلسطين، ومصر، وتسيطر فيها بعد على مملكة فارس العظيمة المنـاوئة لـدولة الـروم ، ويمتد سلطان الاسلام ليشمل اكثر انحاء المعمورة .

واما كسرى ملك الفـرس فقد ذكـر المؤرخون عن ابن اسحـاق ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعـث عبد الله بن حذافة الى كسرى بن هرمز ملك فارس وكتب معه . « بسم الله الـرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فـارس، سلام عـلى من اتبع الهـدى، وآمن بالله وبرسـوله ، وشهـد أن لا اله الا الله وحـده لا شريـك له وان محمدا عبده ورسوله، وادعوك بدعـاء الله فاني انـا رسول الله الى النـاس كـافة، لا نـذر من كان حيـا، ويحق القول عـلى الكافـرين. فـان تُسلم تَسلم ، وان ابيت فان اثم المجوس عليك ».

فلما قرأه شقه وقال: يكتب الي بهذا وهو عبدي ؟ ! .

ثم كتب كسـرى الى باذان[1]وهـو نائبـه عـلى اليمن، ان ابعث الى

---

(١) بـاذان ـ اختلاف في الاسـماء قيل بـاذام ـ وباذان ـ وابـاذويه ـ وبـابويـه وايضـا خرخره ـ وخرخسره الى غير ذلك (شرح البداية والنهاية لابن كثير) .

هذا الرجل بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتياني به .

فبعث باذان قهرمانه ـ وكان كاتبا حاسباً ـ كتاب ملك فارس وبعث معه رجلا من الفرس يقال له خرخسره . وكتب معهما الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يأمره ان ينصرف معهما الى كسرى وقال لباذان : إئت بلاد هذا الرجل وكلمه وإئتني بخبره .

فخرجا حتى قدما الطائف، فوجدا رجلا من قريش في ارض الطائف ، فسألوه عنه فقال: هو بالمدينة . واستبشر اهل الطائف ـ وقريش بهما ، وفرحوا . وقال بعضهم لبعض : ابشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك . . كفيتم الرجل.

فخرجا ـ باذان وخر خسره ـ حتى قدما على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فكلمه باذان فقال: شاهنشاه ملك الملوك كسرى قد كتب الى الملك باذان يأمره ان يبعث اليك من يأتيه بك ، وقد بعثني اليك لتنطلق معي ، فان فعلت ذلك كتب لك الى ملك الملوك ينفعك ويكفه عنك ، وان ابيت فهو من قد علمت، فهو مهلكك ،ومهلك قومك ، ومخرب بلادك .

ودخلا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد حلقا لحاهما واعفيا شواربهما ، فكره النظر اليهما وقال : « ويلكما من أمركما بهذا ؟ » قالا : امرنا ربنا ـ يعنيان كسرى فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ولكن ربي امرني باعفاء لحيتي وقص شاربي » ثم قال : « ارجعا حتى تأتياني غدا » .

واتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الخبر من السماء، بان

الله قـد سلط على كسـرى ابنه شيـرويه فقتله ، في شهـر كذا ـ في ليلة كذا من الليل(١).

فدعاهما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاخبرهما ، فقالا : هل تدري ما تقول ؟ انا قد نقمنا عليك مـا هو أيسـر من هذا، افنكتب عنك بهذا ونخبر الملك باذان ؟ .

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « نعم اخبراه ذاك عني وقولا له ان ديني وسلطاني سيبلغ مـا بلغ كسـرى، وينتهي الى الخف والحـافـر، وقولا له : ان اسلمت أعطيتك ما تحت يديك وملكتك عـلى قومـك من الابنـاء، ثم اعطى خـرخسره منـطقة فيهـا ذهب وفضة كـان أهداهـا له بعض الملوك .

فخرجا من عنده حتى قدما على باذان ، فاخبراه الخبر ، فقال: والله ما هذا بكلام ملك ، واني لأرى الرجل نبيا كـما يقول، ولننـظرن ما قـد قال، فلئن كان هذا حقاً فهو نبي مرسل، وان لم يكن فسنرى فيه رأيا .

فلم ينشب بـاذان ان قدم عليـه كتاب شيـرويه ، امـا بعد فـاني قد قتلت كسـرى، ولم اقتله الا غضبـاً لفـارس لمـا كـان استحـل من قتـل اشرافهم ونحرهم في ثغورهم . فاذا جـاءك كتابي هـذا فخذ لي الـطاعة ممن قبلك ، وانطلق الى الرجل الذي كان كسرى قد كتب فيه فـلا تهجه حتى يأتيك امري فيه .

فلما انتهى كتاب شيرويـه الى باذان قـال : ان هذا الـرجل لـرسول

---

(١) كان قتل كسرى على يدي ابنه شيروبه ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الآخرة من سنة سبع من الهجرة لست ساعات تمضت منها .

فاسلم واسلمت الابناء من فارس من كان منهم باليمن . وقد قال باذويه لباذان : ما كلمت احدا اهيب عندي منه . فقال: هل معه شرط - قال : لا[1].

وذكر المؤرخون ان حكام اليمامة وعُمان فانهم تلقوا دعوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بهدوء ولم يتنكروا لها بل افسحوا المجال للتفاوض والتفاهم بينهم وبين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ويذكر انه قد اسلم من بين اولئك الحكام المنذر بن ساوى العبدي وقد دعا الناس الى الاسلام وارسل للنبي (صلى الله علية وآله وسلم) كتابا يخبره فيه باسلامه . وابقاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حاكما له على بلده التي دعا الى الاسلام فيها .

لقد كانت دعوة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الى عظماء الارض وملوكها ، التي يدعوهم فيها الى الاسلام ، واتباع دين الحق، انما كانت نابعة من امر الله تعالى ﴿ **لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى** ﴾ ارسله الله سبحانه لارشاد الخلق كافة يدعوهم الى الدين الجديد - الاسلام - الذي يحرر العقول لترى، والقلوب لتبصر، والذي يضع للانسان في حياة العقيدة قواعد عامة توازي بين سلطان الروح، وقوة المادة لتبلغ بالانسان الى غاية ما يستطيع بلوغه من قوة لا يشوبها وهن ولا غرور ، ولتبلغ بالجماعة الانسانية بفضل تلك القواعد وذلك النظام الى خير مكان اعدلها .

وليس بالغريب ان نرى انسان ذلك العصر بعد ان شاهد الحرية

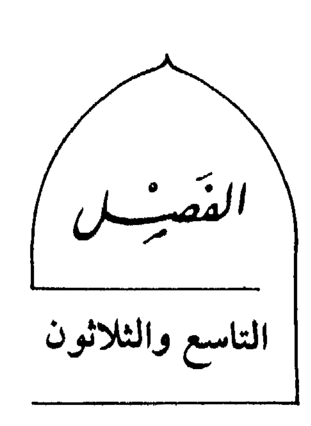
---

(١) البداية والنهاية : لابن كثير : ج٤ - ص ٢٧٠ .

المنبعثة من روح الاسلام وما امر به من البر والرحمة ، ومـا دعا اليـه من عمـل الخير، ومـا في عبادتـه من رياضة النفس والـطبـع ، ورأى الحيـاة الاجتماعية بما فيها من العـدالة والمسـاواة في ظل الاسـلام . يقبل عـلى اعتناق الدين الجيد ـ الاسلام ـ والشـريعة السماوية السمحـاء التي دعا اليها محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، منقـذ البشريـة من الـظلمـات الى النـور ومن ذل العبـوديـة والتسلط والاستعمـار.

الـى الحرية الكاملة ومنقذ الانسان ايضا من الذل والهوان وما كان يكابده من وطئة حكام الارض الجبارين في ذلك الزمن . الى الكرامة والسعادة .

لـذلـك كله نـرى أنـه في سنـوات قليلة انتشـر الاسـلام واصبحت راياته خفاقة على اغلب بقاع الارض .



الفَصْل

التاسع والثلاثون



غزوة خيبر

بعـد ان رجع النبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) من الحـديبيـة ، مكث بالمدينة عشرين يوماً أو اكثر ، وخرج في المحـرم لغزو خيبـر وذلك سنة سبع من الهجرة على اكثر الروايات .

واستخلف رسـول الله (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) عـلى المـدينـة سباع الغفارى[1] ومضى حتى نزل بجيشه بواد يقال له الرجيع فنزل بـين خيبر وبين غطفان ، ليحول بينهم وبين ان يمدوا اهل خيبـر ، وكانـوا لهم من المظاهرين على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ثم ان غـطفان لما سمعوا بخـروج الرسـول (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) جمعوا ، ثم خرجوا ليظاهـروا اليهود عليـه ، حتى اذا ساروا مـرحلة سمعوا خلفهم في اموالهم واهليهم حسا ظنوا ان القوم قد خالفوا اليهم ، فرجعوا على اعقابهم ، واقاموا في امـوالهم واهليهم ، وخلوا بين رسـول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين خيبر .

---

(١) قال ابن هشام : استعمل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على المدينة عند خروجه الى خيبر نميلة بن عبد الله الليثي . وقيل سباع بن عرفطة الفطفاني وقيل غيره والله العالم .

وعن ابن اسحاق : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما اشرف على خيبر قال لاصحابه : قفوا . . ثم قال : « اللهم رب السماوات وما اظللن ، ورب الأرضين وما اقللن ، ورب الشياطين وما اضللن ، ورب الرياح وما اذرين . . فانا نسألك خير هذه القرية، وخير اهلها ، وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها ، وشر اهلها ، وشر ما فيها . . أقدموا بسم الله الرحمن الرحيم . ».

وعن ابن اسحاق ايضا عن انس بن مالك قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اذا غزا قوما لم يغر عليهم حتى يصبح ، فان سمع أذانا امسك، وان لم يسمع اذاناً أغار .

فنزلنا خيبر ليلا فبات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى اصبح لم يسمع اذاناً فركب ، وركبنا معه ، واستقبلنا عمال خيبر غادين ، قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم . فلما رأوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والجيش قالوا : محمد . . والخميس معه ! فادبروا هرابا .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : الله اكبر . . خربت خيبر . . إنا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين .

وبدأ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالاموال يأخذها مالا مالا، وبالحصون يفتتحها حصنا حصنا، فكان اول حصونهم افتتح، حصن ناعم، وعنده قتل محمود بن مسلمة، القيت عليه رحا من الحصن فقتلته .

ثم حصن القموص، حصن ابن ابي الحقيق. واصاب رسول الله

(صلى الله عليه وآله وسلم) منهم سبايا ، منهم صفية بنت حيي بن اخطب ، وكانت عند كنانة بن الربيع بن ابي الحقيق، وابنتي عم لها.

فاصطفى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صفية لنفسه ، وكان دحية الكلبي قد سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صفية ، فلما اصطفاها لنفسه اعطاه ابنتي عمها . ثم قسِّمت السبايا من خيبر بين المسلمين .

وفي الطبري عن ابن اسحاق: ان بني سهم من أسلم ، اتوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا : يا رسول الله ، والله لقد جُهدنا ، وما بايدينا شيء. فلم يجدوا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شيئاً يعطيهم اياه ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : « اللهمَّ انك قد عرفت حالهم ، وان ليست بهم قوة ، وان ليس بيدي شيء اعطيهم اياه ، فافتح عليهم اعظم حصونها[1] اكثرها طعاما وودكا[2]. فغدا الناس، ففتح الله عليهم حصن الصعب بن معاذ، وما بخيبر حصن كان اكثر طعاما وودكا منه .

ولما افتتح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من حصون خيبر ما افتتح ، وحاز من الاموال ما حاز، انتهوا[3] الى حصنهم الوطيح والسلالم ـ وكان آخر حصون خيبر افتتح ـ وهو امنعها . حاصرهم

---

(١) حصن لهم .

(٢) الودك : دسم اللحم ، ودهنه الذي يستخرج منه .

(٣) انتهوا : هكذا وردت في الاصل .

رســول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) بضــع عشــرة ليلة[1]وقـال ابن هشام: وكان شعار المسلمين يوم خيبر. . يا منصور أمت أمت .

(١) تاريخ الطبري -ج٣ ص ١٠ .

قتل مرحب اليهودي بسيف علي بن ابي طالب (عليه السلام)

جاء في البداية والنهاية عن ابن اسحاق عن سلمة بن عمرو بن الاكوع : انه قال : بعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ابا بكر الى بعض حصون خيبر، فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد . ثم بعث (صلى الله عليه وآله وسلم) عمرا فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح . - وفي رواية الطبري اعطى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اللواء عمر بن الخطاب ونهض من نهض من الناس معه ، فلقوا اهل خيبر فانكشف عمر واصحابه ، فرجعوا الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، يجبنه اصحابه ويجبنهم . -

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : لأعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله ، ويحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه وليس بفرار .

قال سلمة : فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن ابي طالب (عليه السلام) وهو يومئذ ارمد، فتفل في عينيه ثم قال : خذ الراية ، وامض بها حتى يفتح الله عليك ، فخرج علي بها والله يصول ويهرول هرولة وإنا لخلفه نتبع اثره ، حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن ، فاطلع يهودي من رأس الحصن فقال : من

انت ؟ ! قال : انا علي بن ابي طالب . فقال اليهودي : غلبتم وما انزل على موسى . . .

وخرج مرحب صاحب الحصن، وعليه مغفر يماني وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر اني مرحب   شاك السلاحي بطل مجرب
اذا الليوث اقبلت تلهب   واحجمت عن صولة المغلب

فقال علي بن ابي طالب (عليه السلام) :

انا الذي سمتني امي حيدرة   كليث غابات شديد القسورة
اكيلكم بالصاع كيل السندرة[1]

قال: فاختلفا ضربتين، فبدره علي بضربة فقدَّ الحجر والمغفر ورأسه، ووقع في الاضراس.

وعن ابن اسحاق عن ابي رافع مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: خرجنا مع علي الى خيبر بعثه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) برايته ، فلما دنا من الحصن خرج اليه اهله فقاتلهم ، فضربه رجل منهم من يهود فطرح ترسه من يده، فتناول علي (عليه السلام) باب الحصن فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده حتى فتح الله عليه ، ثم القاه من يده ، فلقد رأيتني في نفر معي سبعة أناثامنهم نجهد على ان نقلب ذلك الباب فما استطعنا ان نقلبه.

وفي البداية والنهاية ايضا : روى الحافظ البيهقي، والحاكم من

---

(١) السندرة : مكيال واسع . اراد (عليه السلام) : اقتلكم قتلا واسعا ذريعاً .

طريق مطلب بن زياد عن ليث بن ابي سليم عن ابي جعفر الباقر عن جابر: ان عليا حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فافتتحوها، وانه جرب بعد ذلك فلم يحمله اربعون رجلا .[1] قال ابن ابي الحديد :

يا قالع الباب الذي عن قلعه	عجزت اكف اربعون واربع
أأقول فيك سميدع كلا ولا	حاشا لمثلك ان يقال سميدع

وفي رواية عن جابر: ثم اجتمع عليه ـ على الباب ـ سبعون رجلا وكان جهدهم ان اعادوا الباب[2].

وفي الارشاد للشيخ المفيد: لما فتح امير المؤمنين (عليه السلام) حصن خيبر، وقتل مرحبا، وغنّم الله المسلمين اموالهم ، استأذن حسان بن ثابت الانصاري رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يقول فيه شعرا : فقال له : قل .

فانشأ يقول :

وكان علي ارمد العين يبتغي	دواء فلما لم يحس مداويا
شفاه رسول الله منه بتفلة	فبورك مرقيا وبورك راقيا
وقال :سأعطي الراية اليوم صارما	كميا محبا للرسول مواليا
يحب الهي والاله يحبه	به يفتح الله الحصون الاوابيا
فاصفى بها دون البرية كلها	عليا وسماه الوزير المواخيا

(١) البداية والنهاية : لابن كثير ـ ج٤ ـ ص ١٩٠ .
(٢) البداية والنهاية : لابن كثير ـ ج٤ ص ١٩٠ .

وقد اشار الى رمد علي وشفائه من تفلة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صاحب الهمزية بقوله :

وعلي لما تفلت بعينيه ... وكلتاهما معا رمداء
فغدا ناظراً بعيني عقاب ... في غزاة لها العقاب لواء(1)

اقول: الاخبار متواترة باسانيد صحيحة على ان قاتل مرحب اليهودي هو علي بن ابي طالب (عليه السلام) نذكر بعضا منها :

جاء في الفضائل الخمسة عن الصحاح الستة : ـ مستدرك الصحيحين ـ ج ٣ ـ ص ٤٣٧ ـ روى بسنده عن عبد الله بن بريدة الاسلمي : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما نزل بحصن خيبر قال: لاعطين اللواء غدا رجلا يحب الله ويحبه الله ورسوله ، فلما كان من الغد تطاول له جماعة من اصحابه ، فدعا عليا وهو ارمد فتفل في عينيه ، واعطاه اللواء، ونهض معه الناس، فلقوا اهل خيبر، فاذا مرحب بين أيديهم يرتجز ويقول : قد علمت خيبر الى آخره. فاختلف هو وعلي (عليه السلام) بضربتين ، فضربه علي على رأسه حتى عض السيف في اضراسه ، وسمع اهل العسكر صوت ضربته ، فقتله ، فما اتى آخر الناس، حتى فتح لأولهم.

ورواه احمد بن حنبل ايضا : (ج ٥ ، ص ٣٥٨) وذكر فيه : أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) اعطى اللواء اول مرة لعمر، ثم قال

---

(1) بشير صاحب الهمزية بقوله : « في غزاة لها العقاب لواء » الى ان كلمة الراية قد يطلق عليها اللواء ـ والعقاب هو اللواء الذي كان مع علي (عليه السلام) وهو لواء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لونه اسود من برد لعائشة كما ذكر الحلبي في سيرته .

(صلى الله عليه وآله وسلم) لاعطين اللواء غدا (الى آخره) واعطاه لعلي (عليه السلام) .

وذكره المتقي ايضا في كنز العمال: ج ٥ ص ٢٨٤ ـ وقال فيه : فبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عمر بن الخطاب بالناس، فلقي اهل خيبر فردوه وكشفوه هو واصحابه ، فرجعوا الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يجبن اصحابه ، ويجبنه اصحابه ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لاعطين اللواء غدا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، فلما كان الغد تصادر لها ابو بكر وعمر . . فدعا عليا (عليه السلام) (وساق الحديث الى آخره) .

ورواه ابن جرير الطبري ايضا في تاريخه (ج ٢ ص ٣٠٠) بطريقين والهيثمي ايضا في مجمعه (ج ٦ ص ١٥٠) . ورواه احمد والبزار، ورواه النسائي ايضا في خصائصه (ص ٥) وذكره المحب الطبري ايضا في الرياض النضرة (ج ٢ ص ١٨٧) قال اخرجه الغيباني والحافظ الدمشقي في الموافقات[1] .

وذكر اليعقوبي في تاريخه كانت وقعة خيبر في اول سنة سبع ، ففتح ـ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، حصونهم وهي ستة حصون : السلالم ، والقموص، والنطاة ، والقصارة ، والشق، والمربطة . وفيها عشرون الف مقاتل ، ففتحها حصنا حصنا ، فقتل المقاتلة، وسبى الذريه . وكان القموص من اشدها وامنعها، وهو الحصن الذي كان فيه مرحب بن الحارث اليهودي، فقال رسول الله

---

(١) الفضائل الخمسة من الصحاح الستة ـ للفيروز آبادي ـ ج٢ ص ١٧٢ .

(صلى الله عليه وآلـه وسلم) : لادفعن الرايـة غدا انشـاء الله الى رجل كرار غير فرار يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، ولا ينصـرف حتى يفتح الله على يده ، فدفعها الى علي بن اي طالب فقتل مرحبا اليهودي ، واقتلع باب الحصن، وكان حجارة طوله اربع اذرع في عرض ذراعين في سمك ذراع ، فرمى به علي بن ابي طالب خلفه ودخـل الحصن، ودخله المسلمون[1] .

لكن بعض المتعصبين ارادوا أن يصرفوا التاريخ عن واقعة فقـالوا : ان محمـد بن مسلمة هـو الذي قتـل مـرحب اليهـودي : لا عـلي بن ابي طالب .

ومن المعلوم ان المختلقـات جـاءت من مخيلة الـوضـاعـين في عهـد الامويين وبتحريض منهم لانهم اعداء آل بيت الرسول (صـلى الله عليه وآله وسلم) وعلي بن ابي طالب (عليه السلام) ، وما ذاك الا خوفا من ان تميل الناس الى آل الرسول علي واولاده .

فاخذ الدساسون والوضاعون للروايات يختلقون الاحاديث التي هي عارية عن الصحة تقربا للحكام والسلاطين كما اسلفنا .

فابن هشام في سيرته مثلا تجاهل قتل عـلي لمرحب، وذكـر ان الذي قتل مرحباً هو محمد بن مسلمة ، واعتمد في ذلك على رواية ابن اسحاق وابن اسحاق الذي اعتمد في دوره على عبد الله بن سهل .

وابن كثير في البداية والنهاية سلك مسلك ابن هشام، إذ أنه بعد ان ذكر قتل علي (عليه السلام) لمرحب عاد وذكر ان الذي قتـل مرحبـا هو

---

(١) تاريخ اليعقوبي ـ ج٢ ـ ص ٤٦ .

محمد بن مسلمة معتمدا في ذلك على رواية موسى بن عقبة عن الزهري . . الى آخره .

وموسى بن عقبة وعبد الله بن سهل كلاهما من المتهمين من رجال الحديث كما ذكر ذلك بعض اصحاب السير.

على ان الزهري كان منحرفا عن علي واهل بيته (عليه السلام) وعميلا للامويين وهو وامثاله رواياتهم ومراسيلهم عن السيدة عائشة . لعلمهم بانها معروفة بخصامها لعلي بن ابي طالب وعداوتهاله ، لانه زوج فاطمة ابنة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وابنة ضرتها خديجة (رضي الله عنها) التي كانت تقول فيها : « ما غرت من امرأة قط كغيرتي من خديجة وهي تحت الثرى » رغم ان السيدة خديجة ماتت قبل زواج عائشة من الرسول (صلى الله عيه وآل وسلم) .

وعلى كل حال نرى الكثير من المشككين والمتعصبين الذين اعماهم التعصب منحرفين عن الحق كل الانحراف فاذا جاءت رواية فيها فضيلة او منقبة او كرامة لعلي (عليه السلام) ولو كانت صحيحة مائة بالمائة واجمع عليها المؤرخون ولا يمكنهم انكارها او التشكك بها ، يتذرعون بحجج سخيفة واهية لا يقبلها العقل ولا يقرها الوجدان .

فابن كثير مثلا نراه يذكر مقتل مرحب اليهودي على يد علي بن ابي طالب كما هو الواقع والصحيح ، فلا يمكنه الانكار ، ولكنه يسلك بعد ذلك طريقا ملتويا منحرفا عن الصواب اذ يقول : « ان هذا الحديث في سياقه غرابة ، ونكارة ، وفي اسناده من هو متهم بالتشيع »[1] .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير - ج٤ - ص ١٨٧ .

فكأن التشيع لعلي واهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) برأي ابن كثير الخاطىء هو الـذي يبطل مفعـول الروايـة ، وان الشيعي بنظره الفاسد ليس بعدل مهما كان ثقة . . .

مع ان الشيعة لم يعاملوا السنة هذه المعاملة المجحفـة الغير عـادلة . فالشيعة مثـلا قد اخـذوا بروايـة (السكوني) لانـه راوٍ ثقة مـع انه ليس بشيعي .

وعلى كل حال فقد عمـل الحكم الاموي ـ الـدكتاتـوري ـ والتسلط العباسي ، وغيرهما من الاتراك العثمانيين على محو فضائل آل علي (عليه السلام) وقد فـرق هؤلاء بين المسلمـين ، وجعلوهم اشتاتـا . ولولاهـم ولولا امثالهم من الطغاة الظالمين، لكانت كلمة الله هي العليا وراية الاسلام خفاقة في جميع انحاء العالم .

ومن المؤسف اننا نرى والى يومنا هـذا التعصب لم يزل عـلى ما هـو عليـه سـاري المفعـول، رغم مـا حـل بـالمسلمـين والعـرب من نكبـات وويلات نتيجة التفرقة، والحقد، والتنازع، والبغضاء.

ولو أردنا ان نبـين من هم الذين فـرقوا كلمـة المسلمين من العـرب وغيرهم لفعلنا . ولكن تركنا ذلك حفاظا على البقية الباقيـة من الشعائـر الاسلامية .

ومن الغرابة ايضا ان مخيلة بعض الرواة قـد ذهبت بعيدا في نسجهـا القصص والروايات الـلامعقولـة ، فجاءت لتـروي أن محمد بن مسلمـة هو الذي قتل مرحب اليهـودي ـ اذ ذكر ابن كثـير: ان محمد بن مسلمـة ضـرب مرحبـا فقطع رجليـه ، ثم تركـه ، فمـر بـه عـلي بن ابي طـالب فضـرب عنقه، واخـذ سلبه . فـاختصما الى رسـول الله (صلى الله عيـه

وآله وسلم) في سلبه ، فقال محمد بن مسلمة : يا رسول الله ما منعني من الاجهاز عليه شيء، قد كنت قادرا بعد ان قطعت رجليه أن اجهز عليه . . » فاعطى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سيفه ودرعه ومغفره وبيضته الى محمد بن مسلمة .

وهنا نقف امام الضمير الحي العادل . . اذا كان ما رواه ابن كثير وغيره من المتعصبين عن علي بن ابي طالب ومحمد بن مسلمة صحيحا ؟ ! وانهما اختصما على سلب مرحب اليهودي الى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وحكم الرسول بالسلب لمحمد بن مسلمة . . ! فلماذا ترك علي (عليه السلام) سلب عمرو بن عبد ود العامري يوم الخندق . . ؟ ! يوم كان المسلمون بحاجة ماسة الى السلاح والعتاد . . مع أن سلب عمرو بن عبد ود العامري كان افخم سلب واغلى ثمن وان درعه لم يكن عند العرب مثلها . لقول عمر بن الخطاب له: يا علي هلا سلبته درعه فانه ليس في العرب اجود منها . . وقال علي :

وعففت عن اثوابه[1] ولو انني كنت المقنطر بزني اثوابي

وعلى هذا اذا كان علي قد تعفف عن سلب عمرو بن عبد وابت نفسه الكريمة ذلك. كيف يأتي يوم خيبر ويتخاصم مع محمد بن مسلمة على سلب مرحب اليهودي ، مع ان خيرات خيبر واموالها كانت قد اصبحت بايدي المسلمين .

اقول هذا اظهارا للحق وانتصارا للواقع والله من وراء القصد .

---

(١) الاثواب : المراد بها الاسلاب .



المتعة

تعرض ابن كثير في كتابه « البداية والنهاية » والحلبي في سيرته ، وغيرهما للكلام عن المتعة في الحديث عن غزوة خيبر بانها أُحلت ثم حُرمت بعد هذا. ومن المؤرخين من قال انها أُحلت ثم حُرمت في غير يوم خيبر وهكذا .

والاقوال متضاربة عند من قال بتحريمها والاختلاف جار عندهم ايضا في زمانها ومكانها ، من انها أُحلت مرارا وحُرمت مرارا . وهذا مما يدل على الاضطراب في شأنها عندهم ولم يكونوا ليجزموا بشيء. واغلب الظن ان الاضطراب ناتج من جراء تحريم الخليفة عمر بن الخطاب لها .

فارادوا أن يلتزموا بقول الخليفة عمر الذي حرم المتعة ، والتزامهم بتحريمها كان قسراً عليهم ، وغاب عنهم ان حلال محمد حلال الى يوم القيامة وحرامه حرام الى يوم القيامة ، وكل حكم شرعي يأتي بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، أو من غيره باطل لا يعمل به ، ووهو تشريع يؤاخذ عليه .

واليك ايها القارىء نبذة من روايات واقوال من قال بتحريم المتعة لترى الاضطراب الواضح الحاصل من تناقض الروايات واختلاف الاحاديث .

جاء في تاريخ ابن كثير قوله : « حكى السهيلي وغيره عن بعضهم،

انه ادعى ان المتعة ابيحت ثلاث مرات ، وحُرمت ثلاث مـرات . وقال آخرون اربع مرات، وهذا بعيد جدا.

واختلفوا أي وقت اول ما حـرمت ، فقيل : في خيبـر، وقيل : في عمرة القضاء، وقيل: في عام الفتح، وهذا يظهر[1]وقيـل: في اوطاس، وهـو قريب من الـذي قبله، وقيل: في تبـوك،وقيل: في حجـة الوداع، رواه ابو داود. »[2].

وجاء في السيرة الحلبية ايضا عن الشافعي انه قال: « ولا اعلم شيئاً حرم ثم ابيح ثم حرِّم الا المتعة فقد حُرمت مرتين . ونقل السهيـلي وغيره عن بعضهم انها أُبيحت وحُـرمت ثـلاث مـرات ، وعن بعضـهم انها ابيحت وحُرمت اربع مـرات ، ولينظر هـذا مع قـول بعضهم : إن أول من حرم المتعة سيدنا عمـر (رضي الله عنه) . وقيـل: لم يحرمهـا النبي (صلى الله عيه وآله وسلم) مطلقا . بل عند الاستغناء عنهـا ، واباحـهـا عند الحاجة اليها ، أي عند خوف الزنا ، وبـذلك كـان يفتي ابن عباس (رضي الله عنهما)[3].

اقـول: وبعدمـا ذكرنـا من بعض الاقوال الـدالة عـلى الاضـطراب والاختلاف في الروايـات ، وعدم الجـزم بحرمـة المتعة عنـدهم ، يتضح جليا عدم حرمتها للاصل وعدم جزمهم بالحرمة .

والآن نذكر بعض مـا ورد في حليتها من الاخبـار، اخرج مسلم في باب نكاح المتعة من كتاب النكـاح من الجزء الاول من صحيحـه ، عن

---

(١) البداية والنهاية : لابن كثير ـ ج٤ ـ ص ١٩٣ .
(٢) هكذا وردت في الاصل .
(٣) السيرة الحلبية ـ ج٣ ص ٥٣ .

جابر بن عبد الله، وسلمة بن الاكوع، قالا: خرج علينا منادي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: ان رسول الله اذن لكم ان تستمتعوا .

واخرج مسلم في الباب، المتعة بالحج والعمرة من صحيحه، بالاسناد الى ابي نظرة، قال: كان ابن عباس يأمر بالمتعة، وكان ابن الزبير ينهى عنها، فذكر ذلك لجابر، فقال: على يدي دار الحديث، تمتعنا مع رسول الله (صلى لله عليه وآله سلم) فلما قام عمر قال: ان الله كان يحل لرسوله ما شاء بما شاء، فاتموا الحج والعمرة وابتوا نكاح هذه النساء، فلن أوتي برجل نكح الى اجل، الا رجمته بالحجارة .

وهذا ما اخرجه احمد بن حنبل من حديث عمر في مسنده عن ابي نضرة أيضا، قال: قلت لجابر: ان ابن الزبير ينهى عن المتعة، وان ابن عباس يأمر بها، وقال لي: على يدي جرى الحديث، تمتعنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وابي بكر، فلما ولي عمر خطب الناس فقال: ان القرآن هو القرآن، وان رسول الله هو الرسول، وانهما كانتا متعتان على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) احداهما متعة الحج، والاخرى متعة النساء، الى آخره .

ومثله حديث عطاء، فيما اخرجه مسلم في باب نكاح المتعة من صحيحه، قال: قدم جابر بن عبد الله معتمرا فجئناه في منزله، فسأله القوم عن اشياء، ثم ذكروا المتعة، فقال: نعم، استمتعنا على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وابي بكر وعمر . . . الى آخره .

وحديث ابن الزبير كما في الباب المذكور من صحيح مسلم، قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: كنا نستمتع بالقبضة من التمر

والدقيق، الايام على عهد رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) وابي بكر، حتى نهى عنها عمر، في شأن عمر بن حريث .

وفي البـاب المذكـور من صحيـح مسلم ايضـاً عن ابي نضـرة: قـال : كنت عنـد جـابـر فـاتـاه آت، فقـال : ان ابن عبـاس وابن الـزبير اختلفـا في المتعتين، فقـال جابـر: فعلناهمـا على عهـد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم نهانا عنهما عمر.

اخرج الثعلبي والطبري من تفسيرهما الكبيرين، بـالاسناد الى عـلي بن ابي طالب، أنه قال: لولا أن عمر نهى عن المتعة، ما زنى الا شقي .

وانكر ابن عباس فقال: ما كـانت المتعة الا رحمـة رحم الله بها امـة محمد، لولا نهيه عنها ـ اي عمـر ـ ما احتـاج الى الزنى الاشفى ـ اي الا قليل من الناس .

وقد اجاد الحجة المغفور لـه الشيخ محمـد حسين كـاشف الغطاء في بحث مـوضوع المتعـة حيث قال : « قـد اتفق المفسـرون ان جمـاعـة من عظماء الصحابة ، كعبد الله بن عباس » وجابر بن عبد الله الانصـاري، وعمـران بن الحصين ، وابن مسعـود، وابي بن كعب وغيـرهم، كـانـوا يفتون باباحتها ، ويقرؤ ون الآية هكاذ : ﴿ **فما استمتعتم به من هن الى اجل مسمى** ﴾ .

ومما ينبغي القطع به ان ليس مرادهم التحريف في كتابـه جل شـأنه والنقص منـه معاذ الله ، بـل المراد معنى الآيـة على نحـو التفسير الـذي اخذوه من الصادع بالوحي ، ومن أنزل عليه الكتاب الذي لا ريب فيه، وعـلى أي ، فـالاجمـاع بـل الضـرورة في الاسـلام قـائمـة عـلى ثبـوت

مشـروعيتها وتحقق العمـل بها غـاية مـا هنالـك أن المانعـين يدعـون انها نسخت وحرمت بعدما ابيحت . وحصل هنا الاضطراب في النقل الذي لا يفيد ظنا، فضلا عن القطع » .

وفي تشريعها وحليتها قال تعالى: ﴿ **فما استمعتم به من هن فآتوهن اجورهن** ﴾[1]فالمتعة زواج شرعي، ولا يختلف هـذا الزواج عن الـزواج الـدائم لا بذكـر الاجل، فعقـد زواج المتعة لاجـل معين، وعقـد زواج الدائم بلا اجل، وللمعقود عليها بالعقد المنقطع الاجرة كما نصت الآيـة عـلى ذلك . والـولد يـرث اباه ، ويـرثه ابـوه اذا توفي بعـده شأن الـولد بـالعقد الـدائم، فهو ابن شـرعي بكل معنى. ويلزم عـلى المرأة في زواج المتعة ان تعتد بحيضتين كاملتـين، وان كانت لا تحيض وهي في سن من تحيض فبخمسة واربعين يوما.

واشكـال البعض انها لا تـرث في الشـرع لانها غـير زوجـة ، هـذا الاشكال مدفـوع ، اذ ان هناك مـواضع لا تـرث الزوجـة فيها مـع انها زوجة بالعقد الدائم، وهي فيما اذا كانت قاتلة لزوجهـا او المعقود عليهـا في المرض ولم يدخل بها، فانها لا ترث مع انها زوجة .

ثم ان زواج المتعـة، وان قل استعمـاله في هـذا الزمـان بل اصبـح نـادرا . . لكن كـون الشيء حكمـه الحـلال لا يجعله عـدم استعمـالـه حراما .

وقـد قـال الكثـير من اخـواننـا المسلمـين السنـة ان آيـة الاستمتـاع منسوخة بآية ﴿ **الا عـلى ازواجهم او ما ملكت ايمـانهم** ﴾ حيث حصرت

---

(١) سورة النساء ـ آية ٢٣ .

الآية الكريمة اسباب الوطىء بامرين. احدهما الزوجية ، والثاني ملك اليمين .

لكن هذا القول مدفوع ، ويستحيل ايضا نسخ آية الاستمتاع ، بآية ﴿ **الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم** ﴾ اذ أن آية المتعة في سورة النساء، وهي مدنية. وآية ﴿ **الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم** ﴾ في سورة المؤمنين ، والمعارج ، وكلاهما مكيتان . ولا يمكن بوجه تقدم الناسخ على المنسوخ[١] .

---

(١) راجع كتابنا في ظلال الوحي ـ ص ٨٨ .

بقية خيبر

بعدما افتتح رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) ما افتتـح من حصـون خيبـر « تحـول الى الكتيبـة والـوطيـح وسـلالم ، حصن ابن ابي الحُقيق الـذي كان اليهـود فيه، فتحصنـوا اشد التحصن، وجـاءهم كل فل[1]كان قد انهزم من النطاة والشق، فتحصنوا معهم في القموص وهـو في الكتيبـة، وكـان حصنـاً منيعـا ، وفي الـوطيـح وسـلالم ، وجعلوا لا يـطلعون من حصـونهم مغلقين عليهم، حتى همَّ رسـول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان ينصب المنجنيق عليهم لما رأى من تغليقهم ، وأنه لا يبرز منهم بارز .

فلما ايقنوا بالهلكـة وقد حصـرهم رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) اربعة عشر يوما ، سألوا الـرسول (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) الصلح بعدما اجهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب .

فـارسل كنـانة بن ابي الحقيق الى رسـول الله (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) يقول : أنزل فاكلمك ؟ فقـال رسول لله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) : نعم .

فنـزل ابن ابي الحُقيق، فصالـح رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه

(١) فل القوم : اي منهزموهم ويستوي فيه الواحد والجمع يقال رجل فل وقـوم فل (الصحاح ، ص ١٧٩٣) .

وسلم) على حقن دماء من في حصونهم من المقاتلة ، وترك الذرية لهم ، ويخرجون من خيبر وارضها بذراريهم ، ويخلون بين رسول الله وبين ما كان لهم من مال او ارض ، وعلى الصفراء، والبيضاء، والكراع ، والحلقة ، وعلى البز[1]الاثوبا على ظهر انسان.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله ان كتمتموني شيئاً . . فصالحه على ذلك .

وارسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى الاموال فقبضها، الاول فالاول، وبعث الى المتاع والحلقة فقبضها، فوجد من الدروع مائة درع، ومن السيوف اربعمائة سيف، والف رمح، وخمسمائة قوس عربية بجعابها .

فسأل رسول الله كنانة ابن ابي الحقيق عن كنز آل ابي الحُقيق ، وحلي من حليهم ، كان يكون في مسك[2]الجمل . فقال له : يا ابا القاسم ، انفقناه في حربنا فلم يبق منه شيء، كنا نرفعه لمثل هذا اليوم، فلم تبق الحرب واستنصار الرجال من ذلك شيئاً ، فحلفا على ذلك فوكدا الايمان واجتهدا[3].

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لهما : برئت منكما ذمة الله وذمة رسوله ان كان عندكما . . قالا : نعم .

---

(١) البز : جمع بزوز : السلاح ، الثياب من الكتان او القطن ، والبزة الثياب ـ الهيئة .

(٢) المسك : الجلد (الصحاح ، ص ـ ١٦٠٨) .

(٣) هكذا في الاصل بصيغة المثنى ـ ولعل المراد بالتثنية كنانة وثعلبة . وانه كائن مع كنانة .

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكل ما اخذت من اموالكما واصبت من دمائكما فهو حل لي، ولا ذمة لكما . . . قالا : نعم . واشهد عليهما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ابا بكر، وعمر وعليا ، والزبير . . وعشرة من اليهود . فقام رجل من اليهود الى كنانة بن ابي الحُقيق فقال : ان كان عندك ما يطلب منكُ محمد ، أو تعلم علمه فاعلمه ، فانك تأمن على دمك ، والا فوالله ليظهرن عليه ، قد اطلع على غير ذلك بما لم نعلمه . . فزبره[1] ابن ابي الحقيق ، فتنحى اليهوديّ فقعد .

ثم سأل رسول الله (صلى لله عليه وآله وسلم) ثعلبة بن سلام بن ابي الحقيق ، وكان رجلا ضعيفا ـ عن كنزهما ، فقال: ليس لي علم غير اني قد كنت ارى كنانة كل غداة يطوف بهذه الخربة ـ واشار الى خربة ـ فان كان شيء[2]دفنه فهو فيها .

وكان كنانة بن ابي الحقيق لما ظهر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على النطاة ايقن بالهلكة ـ وكان اهل النطاة اخذهم الرعب ـ فذهب بمسك الجمل، فيه حليهم، فحفر له في خربة ليلا ولا يراه احد، ثم سوى عليه التراب، بالكتيبة، وهي الخربة التي رآه ثعلبة يدور بها كل غداة .

فارسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع ثعلبة الزبير بن العوام ونفرا من المسلمين الى تلك الخربة، فحفر حيث أراه ثعلبة،

---

(١) زبره عن الامر : منعه ونهاه عنه .
(٢) في الاصل ـ فان كان شيئاً .

فاستخرج منه ذلك الكنز ـ ويقال: ان الله عز وجل دل رسوله على ذلك الكنز ـ .

فلما اخرج الكنز أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الزبير ان يعذب كنانة بن ابي الحُقيق حتى يستخرج كل ما عنده. فعذبه الزبير حتى جاءه بزند يقدحه في صدره ، ثم امره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يدفعه الى محمد بن مسلمة يقتله باخيه ، فقتله محمد بن مسلمة ، وامر بابن ابي الحقيق الآخر، فعُذب ثم دفع الى ولاة بشر بن البراء فقتل به، ويقال ضرب عنقه واستحل رسول الله بذلك اموالهما وسبى ذراريهما »[1].

اقول: وعلى هذا لما كتم اليهود وكذبوا ، واخفوا ذلك المسك ـ جلد الجمل ـ الذي كان فيه اموال جزيلة، وتبين انه لا عهد لهم ، قتل الرسول ابني ابي الحقيق وطائفة من اهله بسبب نقض العهود منهم والمواثيق .

---

(١) المغازي : للواقدي ـ ج٢ ـ ص ٦٧٠ ـ ٦٧١ ـ ٦٧٢ .

قصة صفية النضيرية زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

جاء في كتاب المغازي للواقدي عن صفية بنت حيي بن اخطب انها قالت: « خرجنا من المدينة حيث أجلانا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فاقمنا بخيبر فتزوجني كنانة بن ابي الحقيق، فاعرس بي قبل قدوم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بايام ، وذبح جزراً ودعا باليهود، وحولني في حصنه بسلالم ، فرأيت في النوم كأن قمراً اقبل من يثرب يسير حتى وقع في حجري .

فذكرت ذلك لكنانة زوجي ، فلطم عيني فاخضرّت[1] . فنظر اليها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم حين دخلت عليه فسألني فاخبرته .

قالت : وجعلت اليهود ذراريها في الكتيبة ، وجردوا حصن النطاة للمقاتلة ، فلما نزل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خيبر وافتتح حصون النطاة دخل علي كنانة فقال: قد فرغ محمد من النطاة، وليس ها

---

(١) ذكر صاحب البداية والنهاية : كانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن ابي الحقيق ان قمراً وقع في حجرها ، فعرضت رؤياها على زوجها فقال : ما هذا . . . ! الا انك تمنين ملك الحجاز محمدا . فلطم وجهها لطمة خضر عينها منها . فأتي بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبها اثر منه فسألها ما هذا ؟ فأخبرته .

هنـا احد يقـاتل، قـد قُتلت اليهـود حيث قتـل اهـل النـطاة ! وكـذبتنـا العـرب . . فحولني الى حصن النـزار بالشق، ـ قـال: وهـو احصن مما عندنا ـ فخرج حت ادخلني وابنة عمي ونسيات معنا .

فسار رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) الينا قبـل الكتيبة ، فسبيت في النـزار قبل أن ينتهي النبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) الى الكتيبة ، فارسـل بي الى رحله ، ثم جاءنـا حين امسى فـدعاني، فجئت وانـا مقنعة حييـة، فجلست بين يـديـه فقـال: ان اقمت عـلى دينـك لم اكرهك ، وان اخترت الله ورسوله فهو خير لك .

قالت صفية: قلت : اختار الله ورسوله والاسلام. فـاعتقني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتزوجني، وجعل عتقي مهري .

فلما اراد ان يخرج الى المدينـة قال اصحـابه : اليـوم نعلم أزوجة أم سرية . . فان كانت امرأته فسيحجبها ، والا فهي سرية: فلما خرج (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر بستر ، فسترت به ،فعُرف اني زوجة .

وكنت القى من ازواجه (صلى الله عيه وآله وسلم)، يفخـرن علي ويقلن يا ابنة اليهـودي، وكنت ارى رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه) يلطف بي ويكرمني، فدخل علي يوما وانا ابكي فقال: مـالك ؟ فقلت : ازواجـك يفخرن عـلي ويقلن : يا بنت اليهـودي . . . قالت : فـرأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد غضب ثم قال: اذا قالوا لك او فاخروك فقولي: ابي هرون . . وعمي موسى .

قصة الشاة المسمومة

ذكر الواقدي في مغازيه انه لما فتح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خيبرا واطمأن ، جعلت زينب بنت الحارث اليهودية - امرأة سلام بن مشكم - تسأل : أي الشاة احب الى محمد ؟ فيقولون : الذراع والكتف . فعمدت الى عنز لها فذبحتها ، ثم عمدت الى سم لابطي[1]، قد شاورت اليهود في سموم فاجمعوا لها على هذا السم بعينه . فسمت الشاة واكثرت في الذراعين والكتفين.

فلما غابت الشمس صلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المغرب وانصرف الى منزله ، ويجد زينب جالسة عند رحله ، فيسأل عنها فقالت: ابا القاسم هدية اهديتها لك .

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، فامر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالهدية فقُبضت منها ووضعت بين يديه، ثم قال لاصحابه وهم حضور، أومن حضر منهم : ادنوا فتعشوا . فدنوا ومدوا ايديهم ، وتناول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذراع ، وتناول بشر بن البراء عظما، وانهش رسول الله

(١) لابطي : لبط بفلان : اذا صرع من عين او حمى . (لسان العرب ج٩ - ٢٦٣) - والمعنى على هذا . عمدت الى سم صارع .

(صلى الله عليه وآله وسلم) منها نهشا وانتهش بشر، فلما ازدرد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اكلته ازدرد بشر، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : كفوا ايديكم فان هذه الذراع تخبرني انها مسمومة . فقال بشر بن البراء: قد والله يا رسول الله وجدت ذلك من اكلتي التي اكلتها ، فما منعني ان الفظها الا كراهية انغص اليك طعامك ، فلما تسوغت ما في يدك لم ارغب بنفسي عن نفسك، ورجوت ان لا تكون ازدرتها وفيها نعي[1]فلم يرم بشر من مكانه حتى عاد لونه كالطيلسان، وما طله وجعه سنة لا يتحول الا ما حول، ثم مات منه . ويقال لم يقم من مكانه حتى مات، وعاش رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ذلك ثلاث سنين .

ودعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بزينب فقال: سممت الذراع ؟ فقالت: من اخبرك ؟ قال: الذراع

قالت : نعم .

قال : وما حملك على ذلك ؟ .

قالت : قتلت ابي وعمي، وزوجي، ونلت من قومي ما نلت ، فقلت : ان كان نبيا فستخبره الشاة ما صنعت، وان كان ملكا استرحنا منه .

فاختلف في شأنها : فقال قائل: أمر بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقتلت ثم صلبت . وقال آخر: عفا عنها . وكان

(١) في الاصل : بغي .

نفر ثلاثـة قد وضعـوا ايديهم في الـطعام ، ولم يسيغـوا منه شيئـا . فامـر رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) اصحابه فـاحتجمـوا اوسـاط رؤ وسهم من الشـاة واحتجم رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) تحت كتفه اليسرى . ويقال: احتجم على كاهله حجمه ابو هند بـالقرن والشفرة .

وكانت ام بشر بن البراء تقول: دخلت عـلى رسول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) في مـرضـه الـذي مـات فيـه وهـو محمـوم فمسستـه فقلت: مـا وجدت مثـل ما وعـك عليك عـلى احد[1]فقـال (صـلى الله عليه وآله وسلم) : كما يضاعف لنا الأجز كـذلك يضـاعف لنا البـلاء، زعم الناس ان برسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) ذات الجنب ما كان الله ليسلطها عـلي ! انما هي همـزة من الشييطان، ولكنـه من الاكلة التي اكلت انـا وابنك يـوم خيبر، مـا زال يصيبني منها عـداد[2]حتى كان هـذا اوان انقـطاع ابهـري[3]فمـات رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) شهيدا[4].

(١) الوعك : الحمى .
(٢) العـداد : اهتياج وجـع اللديغ ، وذلك اذا تمت لـه سنة من يـوم لدغ هـاج به الألم . (النهاية : ج٣ ـ ص ٧١) .
(٣) الابهر : العرق المتعلق بالقلب .
(٤) المغازي : للواقدي ـ ج٢ ـ ص ٦٧٨ ـ ٦٧٩ .



ما كان من امر فدك

ذكر المؤرخون واصحاب السير أنه بعدما افتتح رسول الله (صلى الله عيه وآله وسلم) من حصون خيبر ما افتتح ، وحاز من الاموال ما حاز ، ارسل الى اهل فدك محيصة بن مسعود يدعوهم الى الاسلام ورئيسهم يومئذ يوشع بن نون[1] في حين ان اهل فدك[2] استولى عليهم الرعب والخوف بعدما رأوا من قتل سادات خيبر ورؤساء اليهود.

وعندما رأوا أن امر الاسلام ظاهر . . وان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو المنتصر المؤيد بنصر الله تعالى. صالحوه (صلى الله عليه وآله وسلم) على نصف الارض ، فقبل منهم ذلك .

وكان نصف فدك خالصا لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لانه لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب .

وعرضوا عليه ان يعملوا في الارض بنصف الناتج ، ويلتزموا بما يفرضه عليهم كما اتفق مع يهود خيبر، فوافق على ذلك ، فكانت خيبر ملكا للمسلمين لانه استولى عليها بالحرب، وفدك للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) . وقد وهبها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لفاطمة

---

(١) وفي رواية المغازي للواقدي :نون بن يوشع .

(٢) فدك : بينها وبين المدينة يومان . معجم البلدان .

الزهراء (عليها السلام) في حياتـه .

ذكر السيوطي في تفسيره ـ الدر المنثـور ـ انه اخـرج البزار وابـو يعلي وابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابي سعيد الخدري قال : لما نزلت الآيـة ﴿ وآتي ذا القـربى حقه ﴾ دعـا رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) فاطمة فاعطاها فدكا .

واخرج ابن مردويه عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: لما نزلت آيـة ﴿ وآت ذا القربى حقـه ﴾ اقطع رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) فاطمة فدكا[1]وقد روى الحديث ايضا الفيروز آبادي في كتابـه ـ فضائل الخمسة من الصحاح الستة ـ ج ٣ ص ١٣٦ .

وفي مجمع البيان للطبرسي عن ابي سعيد الخدري وغيره انه لما نزلت آيـة ﴿ وآت ذا القربى حقـه ﴾ على النبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) اعطى فاطمة (عليها اسلام) فدكا وسلمه اليهـا ، وهو المـروي عن ابي جعفر (عليه السلام) وابي عبد الله (عليه السلام) .

وبقيت فدك بيد الزهراء (عليهـا السلام) حتى تـوفي ابوهـا (صلى الله عليه وآله وسلم) « فـانتزعهـا الخليفة الاول (رضي الله عنـه) على حد تعبير صاحب الصواعق المحرقة واصبحت من مصادر المالية العامة ، وموارد ثروة الدولة يومذاك . حتى تولى عمر الخلافة فدفع فدكا الى ورثة رسول الله (صلى الله عليه آله وسلم) وبقيت فدك عند آل محمد (صلى الله عيه وآله وسلم) الى ان تولى الخلافة عثمان بن عفان فاقطعها مروان بن الحكم على ما قيل، ثم يهمل التاريخ امر فدك بعد عثمان فلا يصرح

---

(١) الدر المنثور : للسيوطي ـ ج٤ ص ١٧٧ تفسير سورة الاسرى .

عنها بشيء، ولكن الشيء الثابت هو ان امير المؤمنين عليا انتزعها من مروان على تقدير كونها عنده في خلافة عثمان».

ولما ولي معاوية بن ابي سفيان الخلافة امعن في السخرية ، واكثر من الاستخفاف بالحق المهضوم ، فاقطع مروان بن الحكم ثلث فدك ، وعمر بن عثمان ثلثها ، ويزيد ابنه ثلثها الآخر ، فلم يزالوا يتداولونها حتى خلصت كلها لمروان بن الحكم ايام ملكه ، ثم صفت لعمر بن عبد العزيز بن مروان .

ولما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة، رد فدكا على ولد فاطمة (عليها السلام) وكتب الى واليه على المدينة ابي بكر بن عمرو بن حزم ، يأمره بذلك .

فكتب اليه واليه ابو بكر، ان فاطمة (عليها السلام) قد ولدت في آل عثمان، وآل فلان وفلان فعلى من ارد منهم ؟ .

فكتب اليه عمر بن عبد العزيز : اما بعد فاني لو كتبت اليك آمرك أن تذبح بقرة لسألتني ما لونها ؟ ! فاذا ورد عليك كتابي هذا فاقسمها في ولد فاطمة (عليها السلام) من علي (عليه السلام) .

عندها نقمت بنو امية ذلك على عمر بن عبد العزيز وعاتبوه فيه وقالوا له : هجنت فعل الشيخين[1] .

وقيل : انه خرج عمر بن قيس في جماعة من اهل الكوفة الى عمر بن عبد العزيز فلما عاتبوه على فعله ، قال لهم : انكم جهلتم

---

(١) هجنت فعل الشيخين : يقال هجن الامر قبحه وعابه .

وعلمت . . . ونسيتم وذكرت . . فقالوا له : فان ابيت الا هذا فامسك الاصل واقسم الغلة .

ثم انتزعها يزيد بن عبد الملك من اولاد فاطمة فصارت في ايدي بني مروان حتى انقرضت دولتهم .

فلما قام ابو العباس السفاح بالامر، وتقلد الخلافة، ردها على عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب.

ثم قبضها ابو جعفر المنصور في خلافته من بني الحسن، وردها المهدي بن المنصور على الفاطميين ، ثم قبضها موسى بن المهدي من ايديهم .

ولم تزل فدك في ايدي العباسيين حتى تولى الخلافة المأمون بن هارون ، فردها على الفاطميين سنة ٢١٠ وكتب بذلك الى قثم بن جعفر عامله على المدينة يقول: « اما بعد فان امير المؤمنين بمكانه من دين الله، وخلافة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) والقرابة به اولى من استن بسنته ، وسلم لمن منحه منحة ، وتصدق عليه بصدقة، منحته وصدقته، وبالله توفيق امير المؤمنين وعصمته ، واليه في العمل بما يقربه اليه رغبته، وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اعطى فاطمة بنت رسول ا فدكا وتصدق بها عليها ، وكان ذلك امراً ظاهرا، معروفا لاختلاف فيه، بين آل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم تدع منه ما هو اولى به من صدق عليه، فرأى امير المؤمنين الى ورثتهاا ويسلمها اليهم تقربا الى الله تعالى، باقامة حقه وعدله، والى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بتنفيذ امره وصدقته » فامر باثبات ذلك في دواويينه والكتاب الى عماله .

ولما بويع المتوكل على الله انتزعها من الفاطميين ، واقطعها عبد الله ابن عمر البازيار. وكان فيها احدى عشرة نخلة، غرسها رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بيده الكريمة .

فوجه عبد الله بن عمر البازيار رجلا يقال له: بشران بن ابي امية التقفي، الى المدينة، فصرم[1] تلك النخيل، ثم عاد ففلج .

وينتهي آخر عهد الفاطميين بفدك بخلافة المتوكل ومنحه اياها عبد الله بن عمر البازيار[2].

نكتفي الآن بما ذكرنا من امر فدك، وسنأتي على ذكرها مفصلا، وكيف خرجت من يد فاطمة (عليها السلام) على عهد الخليفة الأول في باب لاحق من هذا الكتاب ان شاء الله .

(١) صرم الشيء : قطعه .
(٢) راجع كتاب فدك في التاريخ للسيد محمد باقر الصدر . ص ٢٨ - ٢٩ .



قصة الحجاج بن علاط

جاء في البداية والنهاية عن ابن اسحاق أنه : لما فتحت خيبر كلم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم الحجاج بن علاط السلمي فقال: يا رسول الله ان لي بمكة مالا عند صاحبتي ام شيبة بنت ابي طلحة - وكانت عنده له منها معوض بن الحجاج ومالا متفرقا في تجار اهل مكة ، فاذن لي يا رسول الله ؟ . . فاذن له .

فقال الحجاج : انه لا بد لي يا رسول الله من ان اقول . . قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : قل ما شئت . . .

قال الحجاج : فخرجت حتى اذا قدمت مكة ، وجدت بثنية البيضاء رجالا من قريش، يستمعون الاخبار، ويسألون عن امر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد بلغهم انه قد سار الى خيبر، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ريفاً ومنعة ورجالا ، وهم يتجسسون بالاخبار من الركبان . فلما رأوني قالوا : الحجاج بن علاط - قال: ولم يكونوا قد علموا باسلامي - عنده والله الخبر . . .

اخبرنا يا ابا محمد، فانه قد بلغنا ان القاطع - اي محمد - قد سار الى خيبر، وهي بلد يهود وريف الحجاز ؟ .

قال: قلت : قد بلغني ذلك، وعندي من الخبر ما يسركم، قال :

فالتبطوا[1] بجنبي ناقتي يقولون : إيه يا حجاج ؟ . . .

قال: قلت :هُـزم ـ محمـد (صلى الله عليـه وآله وسلم) ـ هـزيمة لم تسمعوا بمثلها قط، وقـد قتل اصحـابه قتـلا لم تسمعوا بمثله قط، وأُسـر محمـدا اسرا، وقـالوا : لا نقتله حتى نبعث بـه الى مكة . . فيقتلوه بـين اظهرهم بمن كان اصاب من رجالهم .

قال: فقاموا وصاحوا بمكة وقالوا : قـد جاءكم الخبـر، وهذا محمـد انما تنتظرون ان يُقدم به عليكم فيقتل بين اظهركم .

قال: قلت: اعينوني على جمع مالي بمكة ، وعلى غرمائي، فاني اريد ان اقدم خيبر فاصيب من فل محمد واصحابه قبل ان يسبقني التجـار الى ما هنالك .

قال: فقاموا فجمعوا لي ما كان لي كأحث جمع سمعت به .

قـال : وجئت صـاحبتي فقلت : مـالي . . وكـان عنـدهـا مـال موضوع ، فلعلي الحق بخيبر . فـاصيب من فرص البيـع قبل ان يسبقني التجار .

قـال: فلما سمع العبـاس ابن عبد المـطلب الخبر، ومـا جاءه عني، اقبـل حتى وقف الى جنبي وانـا في خيمـة من خيم التجـار، فقـال: يـا حجاج . . ما هذا الذي جئت به ؟ .

قال: قلت : وهل عندك حفظ لما وضعت عندك ؟ .

---

(١) فالتبطوا بجنب ناقتي ـ اي اضطجعوا بجنبها .

قال : نعم . . ! قلت : فاستأخر حتى القاك على خلاء، فاني في جمع مالي كما ترى، فانصرف حتى افرغ .

قال ـ الحجاج ـ حتى اذا فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة ، واجمعت الخروج ، لقيت العباس فقلت : احفظ علي حديثي يا ابا الفضل ثلاثاً، فاني اخشى الطلب، ثم قل ما شئت.

قال ـ العباس ـ أفعل . قلت : فاني والله تركت ابن اخيك عروسا على بنت ملكهم ـ يعني صفية بنت حيي ـ وقد افتتح خيبرا وانتشل[1] ما فيها وصارت له ولاصحابه .

قال العباس : ما تقول يا حجاج ؟ ! قلت: أي والله، فاكتم عني . . ولقد اسلمت ، وما جئت الا لآخذ مالي فرقاً عليه من أن أغلب عليه ، فاذا مضت ثلاث فاظهر امرك ، فهو والله على ما تحب .

قال: حتى اذا كان اليوم الثالث، لبس العباس حلة له وتخلق[2] واخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى الكعبة، فطاف بها . فلما رأوه قالوا : يا ابا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة . . !

قال العباس: كلا والله الذي حلفتم به ، لقد افتتح محمد خيبرا، ونزل عروسا على بنت ملكهم ، واحرز امواهم، وما فيها واصبحت له ولاصحابه .

---

(١) انتشل : استخرج ـ وانتشل ما فيها اي استخرج ما فيها من الاموال وصارت له ولاصحابه .

(٢) تخلق : تطيب .

قالوا : من جاءك بهذا الخبر ؟قال : الذي جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مسلما ، واخذ امواله فانطلق ليحلق بمحمد واصحابه ، فيكون معه .

فقالوا : يا لعباد الله . . انفلت عدو الله ! أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن . ولم ينشبوا أن جاءهم الخبر بذلك . فرد الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين ، وخرج المسلمون من كان دخل بيته مكتئباً حزينا ، حتى اتى العباس، فاخبرهم الخبر فسُر المسلمون ، ورد ما كان من كآبة او غيظ ، او حزن على المشركين[1].

(١) البداية والنهاية لابن كثير-ج٤ - ص ٢١٥ - ٢١٦

قدوم جعفر (رضي الله عنه) واصحابه على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بخيبر

روى ابن كثير في البداية والنهاية عن أبي موسى قال: «بلغنا مخرج النبي (صلى الله عليه ومـاله وسلم) ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين اليه انا واخوان لي انا اصغرهم ، احدهم ابو بردة، والآخر ابورهم[1]فركبنا سفينة ، والقتنا سفينتنا الى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن ابي طالب، فاقمنا معه حتى قدمنا جميعا. فوافقنا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حين افتتح خيبرا .

فكان اناس من الناس يقولون لنا ـ يعني لاهل السفينة ـ سبقناكم بالهجرة .

ودخلت اسماء بنت عميس[2]، وهي ممن قدم معنا من الحبشة، على حفصة زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) زائرة ، وقد كانت هاجرت الى النجاشي فيمن هاجر ، فدخل عمر على حفصة واسماء عندها ، فقال حين رأى اسماء: من هذه ؟ قالت : اسماء بنت عميس، قال عمر: الحبشية هذه ؟ . . البحرية هذه ؟ . .

---

(١) الذين خرجوا مهاجرين من اليمين قيل ثلاثة وخمسون وقيل اثنان وخمسون .

(٢) اسماء بنت عميس هي زوجة جعفر بن ابي طالب (رضي الله عنه) وام ولده عبد الله الذي ولد بالحبشة .

قالت اسماء: نعم . . قال : سبقناكم بالهجرة ، فنحن احق برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منكم .

فغضبت اسماء وقالت : كلا والله . . . كنتم مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يطعم جائعكم ، ويعظ جاهلكم . وكنا في دار - او في ارض - البعداء، والبغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأيم الله لا اطعم طعاما، والا اشرب شرابا، حتى اذكر ما قلت للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واسأله ، ووالله لا اكذب، ولا ازيغ ، ولا ازيد عليه .

فلما جاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قالت: يا نبي الله، ان عمر قال . . كذا وكذا . قالت اسماء: قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : فما قلت له ؟

قالت : قلت : كذا ، وكذا . قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : ليس باحق بي منكم ، وله ولاصحابه هجرة واحدة. ولكم انتم اهل السفينة هجرتان .

قالت : فلقد رأيت ابا موسى واهل السفينة يأتوني ارسالا ، يسألوني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم به افرح ، ولا اعظم في انفسهم مما قال لهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وعن ابن اسحاق أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث عمرو بن امية الضمري الى النجاشي يطلب منه من بقي من اصحابه بالحبشة، فقدموا صحبة جعفر وقد فتح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خيبر .

وقد ذكر سفيان بن عيينة عن الاجلح ، عن الشعبي : أن جعفر بن أبي طالب قدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم فتح خيبر، فقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بين عينيه، والتزمه وقال: « ما أدري بايهما انا أُسر بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر ».

وعن جابر قال: لما قدم جعفر ابن ابي طالب (رضي الله عنه) من ارض الحبشة ، تلقاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما نظر جعفر اليه حجل - يعني مشى على رجل واحدة - اعظاما لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بين عينيه وقال: « والله ما ادري بايهما افرح ، بفتح خيبر ام بقدوم جعفر ».

وذكر المؤرخون واصحاب السير ان جعفر بن ابي طالب (رضي الله عنه) ولد بمكة بعد عام الفيل بعشرين سنة .

ابوه عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم - ابو طالب (رضي الله عنه) زعيم بني هاشم . . وشيخ البطحاء، وكفيل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي احتضنه ورعاه بعد وفاة جده عبد المطلب.

امه فاطمة بنت اسد بن هاشم، التي قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حقها : « لم يكن احد بعد ابي طالب ابر بي منها . ».

وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما توفيت فاطمة بنت اسد زوجة ابي طالب ووالدة علي (عليها السلام) كفنها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في قميصه وصلى عليها، وكبر عليها سبعين تكبيرة، ونزل في قبرها فجعل يومي في نواحي القبر كأنه يوسعه،

ويسوي عليها، وخرج من قبرها وعيناه تذرفان . وجثا في قبرهـا ، فلما ذهب قال له عمـر بن الخطاب : يـا رسول الله رأيتـك فعلت على هـذه المرأة شيئاً لم تفعله على احد ؟ !

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): يا عمر ان هذه المرأة كانت بمنزلة امي التي ولدتني .

ان ابا طالب كان يصنع الصنيع فتكون له المأدبة، وكان يجمعنا على طعامه، فكانت هذه المرأة تفضل منه نصيباً فاعود فيه .

انمـا البستها قميصي لتكتسي من حلل الجنـة، واضـطجعت معهـا ليهون عليها الحساب[1].

وكـان لجعفـر ثـلاثـة اخـوة: هم طـالـب، وعقيـل، وعـلي (عليـه السـلام) ، واخواتـه ، جمانـة وفاختـه ، وزوجتـه اسماء بنت عميس . واولاده ـ عبـد الله، وعـون ، ومحمـد . وكنيتـه ابـو عبـد الله ـ وابـو المسـاكين . ولقبـه : الطيـار، وذو الجناحـين . اذ أن رسول الله (صـلى الله عليـه وآله وسلم) قـال : حينما قتـل جعفر بمؤتـه على مـا سيـأتي ، وقُطعت يمناه ويسراه « ابدله الله بهما جناحين في الجنة . » .

وكان جعفر (رضي الله عنه) من السابقـين الاولين الى الاسـلام . هـاجر الى الحبشـة على رأس من هـاجر من المسلمـين فرارا بـدينهم . . ومن اذى قـريش . وكـانت لـه في الحبشـة مـواقف جليلة ، تـذكـر

---

(١) ذكـر صنيع النبي (صـلى الله وآله وسلم) مـع فاطمـة بنت اسد حينـما توفيت جميع المؤرخين واصحاب السير .

فتشكر . خاصة حينما أرسلت قريش عمرو بن العاص ورفيقه عمارة للنجاشي ملك الحبشة تطلب منه تسليم المسلمين الذين آووا الى بلاده كما اسلفنا .

ولما بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي يطلب منه من بقي من اصحابه عاد جعفر من الحبشة الى المدينة على رأس من بقي من المسلمين ، فسُمي رضوان الله عليه ذو الهجرتين .

وآخى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بينه وبين معاذ بن جبل ـ وجعفر بارض الحبشة .

ارسله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على رأس جيش لقتال الروم في ارض البلقاء لغزوة ـ مؤته ـ وسنأتي على ذكرها في بابها انشاء الله .

واستشهد (رضي الله عنه) في جمادى الاولى سنة ثمان للهجرة وعمره احدى واربعون سنة على ما تقول الروايات . وقبره بمؤته مزار مشهور .



نزول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وادي القرى

بعد انصراف النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) من خيبر متـوجها الى المدينة نـزل بوادي القـرى وانتهى الى اليهود وقـد انضم اليهـم اناس من العرب . فدعـاهم الى الاسلام ، ولكنهم رفضـوا الاسلام واصـروا على القتال .

وروى الواقدي ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما بلغه ذلك عبأ اصحـابه وصفهم للقتـال، ودفـع لـواءه الى سعـد بن عبـادة، ورايـةالى الحباب بن المنذر، وراية الى سهل بن حنيـف، وراية الى عباد بن بشـر . ثم دعاهم الى الاسلام وأخبـرهم ان اسلموا احـرزوا اموالهم ، وحقنـوا دماءهم، وحسابهم على الله .

فبرز رجل منهم ، فبرز اليه الـزبير بن العـوام فقتله ، ثم برز آخـر فبرز اليه علي بن ابي طالب فقتله ، حتى قتل منهم احد عشر رجلا، كل ما قتل منهم رجلا دعى من بقي منهم الى الاسلام . ولقد كانت الصلاة تحضر ذلك اليوم فيصلي باصحابه ثم يعود فيدعوهم الى الاسـلام ، والى الله عز وجل ورسوله . وقـاتلهم حتى امسى ، وغدا عليهـم، فلم تـرتفع الشمس قيد رمح حتى اعطوا بايديهم . واستسلموا .

وفتحها عنوة، وغنَّم الله المسلمين واصابوا اثاثا ومتاعا كثيرا .

واقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بوادي القرى اربعة ايام فقسم ما اصاب على اصحابه ، وترك الارض والنخيل في ايدي اليهود، وعاملهم عليها .

فلما بلغ يهود تيماء ما وطىء به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خيبر، وفدك، ووادي القرى، صالحوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على الجزية ، واقاموا بايديهم اموالهم .

بعض السرايا والغزوات بعد خيبر

لما رجع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من خيبر الى المدينة ومعه اصحابه ، ترفرف فوق رؤوسهم رايات النصر اقاموا في المدينة آمنين مستمتعين بالعيش بفضل من الله ورضوانه لا يفكرون في امر الغزو باكثر من ارسال بعض السرايا لمعاقبة ـ أو تأديب ـ من يفكر في الاعتداء على حقهم او سلب شيء من مالهم او متاعهم .

وذكر ابن الاثير في تاريخه أنه لما عاد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من خيبر سنة سبع للهجرة اقام بالمدينة جمادين ، ورجب ، وشعبان ، ورمضان ، وشوالا ، يبعث السرايا . وفي هذه السنة بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عمر بن الخطاب في ثلاثين رجلا الى عجز هوازن بتربة[1] ، فهربوا ولم يلق كيدا ورجع .

ـ وفيها كانت سرية بشير بن سعد، والد النعمان بن بشير الانصاري، الى بني مرة بفدك، في شعبان ، في ثلاثين رجلا، اصيب اصحابه، وارتث[2] في القتلى، ثم رجع الى المدينة .

---

(١) تربة : هو اسم واد بالقرب من مكة على مسافة يومين منها ـ معجم البلدان .

(٢) ارتث على المجهول ، حمل من المعركة رثينا اي جريحاً وبه رمق . (القاموس) .

وفيها كانت سرية بن عبد الله الليثي الى ارض بني مرة ، فاصاب مرداس بن نهيك[1] حليفاً لهم من جهينة ، قتله اسامة بن زيد ورجل من الانصار .

ـ وفيها كانت سرية غالب بن عبد الله ايضا في مائة وثلاثين راكبا الى بني عبد بن ثعلبة ، فاغار عليهم ،واستاق النعم والشاة ، وصدروها الى المدينة .

ـ وفيها كانت سرية بشير بن سعد الى اليُمن[2]والجناب[3]في شوال من سنة سبع ، وكان سببها ان جبيل بن نويرة الاشجعي كان دليل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى خيبر، قدم على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاخبره ان جمعا من غطفان بالجناب قد امدهم عيينة بن حصن ، وامرهم بالمسير الى المدينة .

فبعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بشير بن سعد[4] فاصابوا نعما ، وقتلوا مولى لعيينة . ثم لقوا جمع عيينة فهزمهم المسلمون ، وانهزم عيينة ، فلقيه الحرث بن عوف منهزماً فقال له : قد آن لك ان تقصر عما مضى[5] .

وارسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ابا بكر الى بني

---

(١) نهيك بضم النون وفتحها على وزن امير ـ (القاموس) .
(٢) اليمين : بضم فسكون ـ اسم لماء . وليس بلاد اليمن .
(٣) والجناب : بالفتح اسم جبل . (القاموس) .
(٤) وفي السيرة الحلبية : بعثه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعه ثلاثمائة .
(٥) الكامل في التاريخ لابن الاثر ـ ج٢ ـ ص ١٥٣ .

فـزارة فعن اياس بن سلمـة عن ابيه قـال : خرجنـا مع ابي بكـر بن ابي قحافة وامره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علينا ، فغـزونا بني فزارة ، فلما دنونا من الماء امرنا ابو بكر فعرسنا ، فلما صلينا الصبح شننا الغارة ، فقتلنا على الماء من مر قبلنا . قـال سلمة : ثم نـظرت الى عنق من الناس، فيه من الذرية والنساء نحو الجبل، وانا اعـدوا في آثارهم ، فخشيت أن يسبقوني الى الجبل فـرميت بسهم فوقـع بينهم وبين الجبـل، قال : فجئت بهم اسوقهم الى ابي بكر حتى اتيته على الماء ، وفيهم امرأة من فزارة عليها . قشع من ادم، ومعها ابنة لها من أحسن العرب فنفلني ابو بكر بنتها .

قال: فما كشفت لها ثـوبا حتى قدمت المـدينة . ثم بت فلم اكشف لها ثوبا . فلقيني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في السوق فقال لي « يا سلمة هب لي المرأة » فقلت : والله يا رسول الله لقد اعجبتني وما كشفت لها ثوبا . . .

فقلت هي لـك ، يا رسـول الله ، فبعث بها رسـول الله (صـلى الله عليـه وآله وسلم) الى اهـل مكة ، وفي ايـديهم اسـارى من المسلمـين، ففداهـم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بتلك المرأة .[1]

وفي سنـة سبع ايضـا سريـة غالب بن عبـد الله الكلبي كما جـاء في روايـة ابن كثـير عن ابن اسحـاق عن جنـدب بن مكيث الجهني قـال: « قال بعث رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) غالب بن عبـد الله الكلبي ـ كلب ليث ـ الى بني الملوح بـالكـديـد وامـره أن يغـير عليهـم ،

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ـ ج٤ ـ ص ٢٢١ .

وكنت في سريته . فمضينا حتى اذا كنا بالقديد[1] لقينا الحارث بن مالك بن البرحاء الليثي ، فاخذناه فقال : اني انما جئت لأسلم . فقال له غالب بن عبد الله : ان كنت انما جئت لتسلم فلا يضيرك رباط يوم وليلة . . وان كنت على غير ذلك استوثقنا منك . فاوثقه رباطا ، وخلف عليه رويجلا اسوداً كان معنا وقال : امكث معه حتى نمر عليك ، فان نازعك فاحتز رأسه .

ومضينا حتى اتينا بطن الكديد ، فنزلنا عشية بعد العصر ، فبعثني اصحابي اليه فعمدت الى تل يطلعني على الحاضر وانبطحت عليه وذلك قبل غروب الشمس ، فخرج رجل منهم فنظر فرآني منبطحاً على التل فقال لأمرأته : اني لأرى سواداً على هذا التل ، ما رأيته في اول النهار فانظري لا تكون الكلاب اجترت بعض اوعيتك . فنظرت فقالت : والله ما افقد منها شيئاً ، قال : فناوليني قوسي وسهمين من نبلي ، فناولته . فرماني بسهم في جنبي فنزعته ووضعته ولم اتحرك ، ثم رماني بالآخر فوضعه في رأس منكبي ، فنزعته ووضعته ولم اتحرك . فقال لأمرأته : اما والله لقد خالطه سهماي ولو كان ريبة لتحرك ، فاذا اصبحت فابتغي سهمي فخذيهما الا تمضغهما علي الكلاب .

قال الجهني : فامهلنا حتى اذا راحت روايحهم ، وحتى احتلبوا ، وعطنوا[2] وسكنوا ، وذهبت عتمة من الليل ، شننا عليهم الغارة فقتلنا ،

---

(١) كذا في الاصل ـ وهو اسم مكان قريب من مكة .

(٢) عطنوا : اراحوا ابلهم ومواشيهم في المعاطن ، والمعاطن مبرك الابل ومربض الغنم حول الماء .

واستقنا النعم ووجهنا قافلين به .

وخرج صريخ القوم الى قـومهم بقربنـا ، وخرجنـا سراعـا حتى نمر بالحارث بن مالك بن البرصاء، وصاحبه فانطلقنا به معنا . واتانا صريخ الناس، فجاءنا ما لا قبل لنا بـه ، حتى اذا لم يكن بيننا وبينهم الا بـطن الوادي من قديد، بعث الله من حيث شاء ماء ما رأينا قبل ذلك مثله مطراً ولا حـالا، وجاء بمـا لا يقدر احـد ان يقدم عليـه . فلقد رأيتهم وقـوفا ينـظرون الينا مـا يقـدر احـد منهم ان يقـدم عليـه ، ونحن نجـذبهـا أو نحدوها ، فـذهبنا سـراعا حتى اسندنـا بهـا في المسلك . . حتى اعجزنـا القوم بما في ايـدينا . وذكـر الواقـدي هذه القصـة وقال: وكـان معه من الصحابة مائة وثلاثون رجلا[1].

ومنهـا سريـة ابن ابي العوجـاء السلمي بعثه رسـول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في خمسين رجلا فخرج الى بني سليم ـ وكان عين لبني سليم معه ـ فلما فصل من المدينة خرج العين الى قومه فحذرهم واخبرهم . . فجمعوا جمعا كثيراً .

وجـاءهم ابن ابي العوجـاء، والقوم معـدون لـه ، فلما رآهم اصحـاب رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) ، ورأوا جمعهم دعـوهم الى الاسلام، فرشقوهم بالنبل ولم يسمعوا قولهم ، وقالوا : لا حاجـة لنا الى ما دعوتم اليه .

---

(١) البداية والنهاية : لابن كثير ج٤ ص ٢٢٣ وعلى رواية الواقدي : في صفر سنة ثماني .

فـرامـوهم سـاعـة ، وجعلت الامــداد تـأتي - الى بني سُليم - حتى احدقوا بهم من كل ناحية ، فقاتل القوم قتالا شديدا حتى قتل عامتهم ، واصيب صاحبهم ابن ابي العوجاء جريحا مع القتلى، ثم تحامـل حتى بلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[1].

ومنها سرية كعب بن عمير الى ذات اطلاح : عن الزهري : قال : بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كعب بن عمير الغفاري في خمسة عشر رجلا حتى انتهوا الى ذات اطلاح من ارض الشام ، فـوجدوا جمعــا من جمعهم كثيـرا، فــدعـوهم الى الاســلام، فلم يستجيبـوا لهم ورشقوهم بالنبل .

فلما رأى ذلك اصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قاتلوهم اشـد القتال حتى قُتلوا ، فـافلت منهم رجل جـريح في القتـلى، فلما برد عليـه الليل تحـامـل حتى اتى رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) فاخبره الخبر، فشق ذلك عـلى رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) وهمَّ بالبعث اليهـم ، فبلغه انهم قد ساروا الى موضع آخر فتركهم[2].

ومنها سرية شجاع بن وهب الى السِّي [3]عن الواقدي عن عمـر بن الحكم قال: بعث رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) شجاع بن

---

(١) المغازي للواقدي - ج٢ - ص ٧٤١ ذكرها الواقدي في سنة سبع وذكـرها غيـره سنة ثمان .

(٢) المغـازي للواقـدي - ج٢ - ص ٧٥٣ وكـانت سـريـة كعب بن عمـير الى ذات اطلاح في شهر ربيع الأول سنة ثمان على رواية الواقدي .

(٣) ذكر ياقوت في معجم البلدان في تفسير - السي - السِّيّ مـا بين ذات عـرق الى =

وهب، في اربعة وعشرين رجلا الى جمع من هوازن بالسِّي ، وامره ان يغير عليهم .

فخرج شجاع فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى صبحهم وهم غارّون ، وقد أوعز الى اصحابه قبل ذلك الا يمعنوا في الطلب، فاصابوا نعماً كثيراً وشاء، فاستاقوا ذلك كله حتى قدموا المدينة ، واقتسموا الغنيمة .

وكانوا قد اصابوا في الحاضر نسوة فاستاقوهن ، وكانت فيهن جارية وضيئة فقدموا بها المدينة .

ثم قدم وفدهم مسلمين ، فلما قدموا كلموا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في السبي . . فكلم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) شجاعا واصحابه في ردهن . فسلموهن وردوهن الى اصحابهن

اما الجارية الوضيئة فكان شجاع بن وهب، قد اخذها لنفسه بثمن فاصابها ، فلما قدم الوفد خيرها . . . فاختارت المقام عند شجاع بن وهب ، فلقد قُتل يوم اليمامة وهي عنده، ولم يكن له منها ولد[1] .

= وجرة ثلاث مراحل من مكة الى البصرة، وحرة ليلى لبني سليم قريب من ذلك . قال السكري ذلك في شرح قول جرير :

اذا ما جعلت السِّيّ بيني وبينها	وحرة ليلى والعقيق اليمانيا
رغبت الى ذي العرش رب محمد	ليجمع شعباً او يقرب نائياً

وقيل : السِّيّ بين ديار بني عبد الله بن كلاب ، وبين جشم بن بكر . الخ .

(١) المغازي للواقدي : ج٢ ـ ص ٧٥٤ .

ومنها سرية قطبة بن عامر بعثه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في عشرين رجلا الى حي من خثعم بناحية تبالة ، وامره ان يشن الغارة عليهم ، وان يسير الليل ويكمن النهار وامره ان يغذ السير . فخرجوا على عشرة أبعرة يعتقبونها ، قد غيبوا السلاح ، فاخذوا على الفتق[١] حتى انتهوا الى بطن مسحاء[٢] فاخذوا رجلا فسألوه فاستعجم عليهم ، فجعل يصيح بالحاضر[٣] فقدمه قطبة فضرب عنقه . ثم اقاموا حتى اذا كان ساعة من الليل ، خرج رجل منهم فيجد حاضر فيه النعم والشاء فاخبر اصحابه فاقبلوا يدبون دبيبا يخافون الحرس. فكبروا وشنوا الغارة ، فخرج اليهم رجال الحاضر، فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت الجراح في الفريقين .

واصبحوا . . وجاء الخثعميون الدهم[٤] فحال بينهم سيل اتى، فما قدر رجل واحد منهم يمضي حتى اتى قطبة بن عامر على اهل الحاضر، فاقبل بالنعم والثناء والنساء الى المدينة[٥] .

---

(١) الفتق : من مخاليف الطائف ـ معجم البلدان .

(٢) مسحاء : وهي من مخاليف الطائف ايضاً . معجم البلدان .

(٣) الحاضر : بالضاد معجمة : من رمال الدهناء ، والحاضر الحي العظيم ، يقال : حاضر طيء وحاضر جلب : او حاضر . قنسبرين ـ قال حسان :

لنا حاضر فعم ونادٍ كانه قطين الاله عزة وتكرما

راجع معجم البلدان لياقوت

(٤) الدهم : العدد الكثير ـ المدد .

(٥) المغازي : للواقدي ـ ج٢ ـ ص ٧٥٥ .

عمرة القضاء

مرت الايام والليالي والشهور ومضى عام على الحديبية ومهادنة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) طواغيت قريش ورجوعه الى المدينة ، ليأتي في العام القابل الى مكة معتمراً كما جرى الاتفاق والعهد.

مضى عام بعد صلح الحديبية ، واصبح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمون في حل من عهدهم لقريش من الدخول الى مكة لقضاء العمرة. ونادى منادي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في المدينة كي يتجهز الناس . . . فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ذاهب الى بيت الله . .

وطارت قلوب المسلمين فرحا وسرورا لهذا النبأ العظيم الذي هز افئدتهم ، إذ هم في شوق لزيارة البيت العتيق، الذي صدهم المشركون عنه زهاء سبع سنوات .

وتجهز المسلمون لهذه السفرة العزيزة على قلوبهم والتي طالما حنوا اليها وعمَّ الفرح ارجاء المدينة .

وفي سيرة ابن هشام : « خرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذي القعدة في الشهر الذي صده فيه المشركون معتمرا عمرة القضاء، مكان عمرته التي صدوه عنها . واستعمل على المدينة عويف بن الاضبط

الديلي[1]. ويقال لها عمرة القصاص لانه صدوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذي القعدة في الشهر الحرام من سنة ست ، فاقتص رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منهم ، فدخل مكة في ذي القعدة، في الشهر الحرام الذي صدوه فيه من سنة سبع ، فانزل الله في ذلك : ﴿ **والحرمات قصاص** ﴾[2].

وخرج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في موكبه العظيم الذي بلغ الالفين[3]بعد ان كان الفا واربعمائة في العام الماضي. وتنفيذاً للعهد الذي ابرمه مع قريش يوم الحديبية، لم يحمل احد من رجاله سلاحا الا سلاح المسافر ـ السيوف في قرابها .

لكن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) القائد المفكر كان يقظا ساهرا على مصلحة المسلمين وحفظهم من غدر قريش واحلافها . لذلك نراه (صلى الله عليه وآله وسلم) قد جهز جيشا قوامه مائة فارس بسلاح

---

(١) وعند الواقدي : أن الذي استعمله (صلى الله عليه وآله وسلم) على المدينة هو ابورهم .

(٢) سورة البقرة : آية ـ ١٩٣ جاء في مجمع البيان للطبرسي : (والحرمات قصاص) قيل فيه قولان : احدهما ان الحرمات قصاص بالمراغمة بدخول البيت في الشهر الحرام ، لأن قريشاً فخرت بردها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عام الحديبية محرما في ذي القعدة عن البلد الحرام ، فادخله الله مكة في العام المقبل في ذي القعدة فقضى عمرته وأقصه بما حيل بينه وبينه . ـ والثاني ـ ان الحرمات قصاص بالقتال في الشهر الحرام ـ اي لا يجوز للمسلمين الا قصاصاً . وعن الجبائي والزجاج : وانما الحرمات لأنه اراد حرمة الشهر ، وحرمة البلد ، وحرمة الاحرام .

(٣) في شرح سيرة ابن هشام كانت عدة المسلمين المقاتلين الفين سوى النساء والصبيان .

وفير . . حامية للمسلمين .

روى الواقدي في مغازيه عن عاصم بن عمر : قال : حمل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) السلاح والبيضَ، والدروع والرماح ، وقاد مائة فرس، فلما انتهى الى ذي الحليفة قدَّم الخيل امامه ، وهي مائة فرس عليها محمد بن مسلمة . وقدَّم السلاح واستعمل عليه بشير بن سعد، فقيل: يا رسول الله ! حملت السلاح وقد شرطوا علينا ألا ندخل عليهم الا بسلاح المسافر- السيوف في القرب - .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): انا لا نُدخلها عليهم الحرم ، ولكن تكون قريباً منا ، فان هاجنا هيج من القوم كان السلاح قريباً منا . قيل : يا رسول الله . . تخاف قريشا على ذلك ؟ فاسكت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقدم البدن[1].

ومضى محمد بن مسلمة بالخيل الى مر الظهران ، فيجد بها نفرا من قريش، فسألوه فقال: هذا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، يصبِّح هذا المنزل غدا انشاء الله . فرأوا سلاحاً كثيراً مع بشير بن سعد، فخرجوا سراعا حتى أتوا قريشا فاخبروهم بالذي رأوا من الخيل والسلاح . ففزعت قريش فقالوا : والله ما احدثنا حدثا ، ونحن على كتابنا ومدتنا ، ففيم يغزونا محمد في اصحابه ؟ !

ونزل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مر الظهران ، وقدم السلاح الى بطن يأجج حيث ينظر الى انصاب الحرم .

---

(١) البدن : الابل المعدة للهدي .

وبعثت قـريش مكـرز بن حفص بن الاحنف في نفـر من قـريش، حتى لقـوه ببطن يـأجج ، ورسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) في اصحابه والهدي والسلاح قد تلاحقوا ، فقالوا : يا محمد والله ما عـرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر! تدخل بالسلاح الحرم على قومك ، وقد شرط ألا تدخل الا بسلاح المسافر - السيوف في القرب - ؟

فقـال رسول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) : لا نـدخلهـا الا كذلك .

ثم رجع - مكرز- سريعا بـاصحابـه الى مكة فقـال: ان محمدا لا يدخل بسلاح ، وهو على الشرط الذي شرط لكم .

فلما جـاء مكرز بخبـر النبي (صلى الله عليـه وآله وسلم) خـرجت قريش من مكة الى رؤوس الجبال، وخلّوا مكة ، وقالوا، لا ننظر اليه، ولا الى اصحابه .

وامر رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) بالهـدي امامـه حتى حُبس بـذي طوى. وخـرج رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) واصحـابـه ، ورسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) عـلى راحلتـه القصواء، واصحابه محدقون به[1]، متوشحو السيوف يلبون - لبيك اللهمّ لبيك - فلما انتهى الى ذي طوى وقف (صلى الله عليه وآلـه وسلم) على راحلته القصواء والمسلمون حولـه ، ثم دخل من الثنيـة التي تطلعـه على الحجون وابن رواحة آخذ بزمام راحلته .

---

(١) في الاصل : محدقين .

ويروي الواقـدي مسلسلا عن رجل من اصحـاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : ان النبي لم يقطع التلبية حتى جاء عروش مكة(١).

ويروي الواقدي ايضا عن اسـامة بن زيـد، عن عمرو بن شعيب، عن ابيـه، عن جده، ان النبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) لبى حتى استلم الركن .

وروى ابن كثير عن ابن اسحاق عن ابن عباس انه : اصطف له ـ المشركون ـ عند دار الندوة ، لينظروا اليه والى اصحابه(٢) فلما دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسليم) المسجد وادخل بعض ردائه تحت عضده اليمنى وجعل طرفه على منكبه الايسر ، ثم قال : « رحم الله امرءا اراهم اليوم من نفسه قوة » ثم استلم الركن ، ثم خرج يهرول ، ويهرول اصحابه معه ، حتى اذا واراه البيت عنهم واستلم الركن اليماني ، مشى حتى يستلم الركن الأسود ثمَّ هرول وهرول اصحابه » .

وكلما هرول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هرول اصحابه من خلفه حتى أتم الطواف، وقريش تنظر اليـه من فوق رؤوس الجبـال فيأخذها لهذا المنظر العجب. وفي حماسة هذه الساعة، اراد عبـد الله بن رواحـة ان يقذف في وجـه قريش بصيحـة حرب، فقـال له الـرسـول :

---

(١) عروش مكة : اي بيوتها ، وسميت عروشاً لأنها كانت عيدانا تنصب ، ويظلل عليها ، واحدها عرش .

(٢) وعن ابن عباس : قال : قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه ، فقال المشركون : انه يقدم عليكم ، وقد وهنهم حمى يثرب ـ وتحدثت قريش بينها ان محمدا ، في عسرة ، وجهد ، وشدة لذلك : قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : رحم الله امرءا أراهم اليوم من نفسه قوة .

« مهلا يا ابن رواحة . . وقل لا إلـه الا الله وحده ، نصـر عبده، واعـز جنده، وخذل الاحزاب وحده » . فنادى بها ابن رواحة باعـلى صوتـه ، ورددهـا المسلمون من بعـده ، فتجاوبت بـاصـدائهـا جـوانب الـوادي، وارتفعت رهبتها الى قلوب الذين تسنموا الجبال.

ولما انتهى الرسول (صلى الله عليـه وآله وسلم) من الـطواف حول الكعبة، انتقل باصحابه الى الصفا والمروة حتى اتم مناسك العمرة .

وفي رواية الاستاذ هيكل : انه بعدما أتم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فرائض العمرة ، كان الغد دخل محمد الى الكعبة وبقي بها حتى صلاة الظهر . ولقد كانت الاصنام ما تزال تعمرها . مع ذلك علا بلال سقفها واذن في الناس لصلاة الظهر عندها، وصلى النبي يومئذ بالفين من المسلمين صلاة الاسلام عند البيت الذي كان يصـد من سبع سنـين عن الصلاة عنده .

واقام المسلمون بمكة ثلاثة الايام المفروضة في عهـد الحديبيـة ، وقد خلت ام القرى ـ مكة ـ من اهلها . فجلس المسلمون خلالها لا يصيبهم فيها اذى ولا يعترضهم احـد بسوء. والمهـاجرون منهم يـزورون دورهم ويزيرون اصحابهم من الانصار اياها ، وكـأنما هم جميعـا اصحاب هـذا البلد الامين وكلهم يسير سيرة الاسلام، يؤدي الى الله كل يوم صلواتـه فيقتل في نفسه غرورها ، ويعين قويهم ضعيفهم ، ويبر غنيهم فقيرهم ، والنبي يتنقل بينهم ابا محبـا محبوبـا، يبتسم لهذا، ويمزح مع ذاك، ثم لا يقول الا حقا.

وقريش وسائـر اهل مكـة يطلون من منـازلهم ، فوق السفـوح على هذا المشهد الفذ في التاريخ ، ويرون رجالا هذه اخـلاقهم ، لا يشربـون

خمرا ، ولا يأتون معصية ، ولا يغـريهم الطعـام ولا الشراب، ولا تفتنهم في الحياة فتنة لا يعصـون الله ما امـرهـم ويفعلون ما يؤمـرون . . اي اثر يتـرك هـذا المنـظر الـذي سـما بـالانسـان الى مـا فـوق اسمى مـراتب الانسان ؟! من اليسير ان تقدر مدى الاثر الذي تركه هذا المنظر حين نعلم ان محمداً عاد بعد ذلك بشهور ، ففتح مكة على رأس عشرة آلاف من المسلمين » .

وفي سيرة ابن هشام عن ابن عبـاس ان رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) تزوج ميمـونة بنت الحـارث في سفره ذلـك . وكان الـذي زوجه اياها العباس بن عبد المطلب .

وكانت جعلت امرها الى اختها ام الفضل ، وكانت ام الفضل تحت العبـاس ـ فجعلت ام الفضل امـرها الى العبـاس ، فزوجهـا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكة ، واصدقها عن رسـول الله اربعمائـة درهم .

فاقام رسول الله بمكة ثلاثا ، فاتاه حـويطب بن عبـد العزى في نفـر من قريش في اليوم الثالث ـ وكانت قريش قد وكلتـه باخـراج رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) من مكة ـ فقـالـوا لـه : انـه قـد انقضى اجلك ، فاخرج عنا .

فقال النبي (صلى الله عليـه وآله وسلم) ومـا عليكم لو تـركتموني فاعرست بين اظهركم ، وصنعنا لكم طعامـا فحضرتمـوه ؟ ! قالـوا : لا حاجة لنا في طعامك ، فاخرج عنا .

فخـرج رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) وخلف ابـا رافـع

مولاه على ميمونة، حتى اتاه بها بسرف[1]، فبنى بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هناك .

ثم انصرف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى المدينة في ذي الحجة . فانزل الله عز وجل ﴿ **لقد صدق الله ورسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا** ﴾[2] .

---

(1) سرف : موضع قرب التنعيم .

(2) سورة الفتح ـ آية ـ ٢٧ .

اسلام خالد بن الوليد

روى الواقدي مسلسلا عن خالد بن الوليد انه قال: لما اراد الله بي من الخير ما اراد، قذف في قلبي حب الاسلام، وحضرني رشدي، وقلت : قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد فليس موطن اشهده الا أنصرف وانا ارى في نفسي اني مُوضِع في غير شيء وان محمدا سيظهر.

فلما خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى الحديبية ، خرجت في خيل من المشركين ، فلقيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في اصحابه بعسفان وقمت بازائه وتعرضت له ، فصلى باصحاهبه الظهر آمناً منا ، فهممنا أن نغير عليه، ثم لم يعزم لنا ، فاطلع على ما في انفسنا من الهموم فصلى باصحابه صلاة العصر، صلاة الخوف، فوقع ذلك مني موقعا وقلت : الرجوع ممنوع ، وافترقنا وعدل عن سنن[1]خيلنا واخذ ذات اليمين .

فلما صالح قريشا بالحديبية ، ودافعته قريش بالرواح ، قلت في نفسي : اي شيء بقي ؟ اين المذهب . . الى النجاشي ؟ ! فقد اتبع محمدا، واصحابه آمنون عنده.

فاخرج الى هرقل ؟ . . فاخرج من ديني الى نصرانية أو يهودية .

---

(١) السنن : الطرق .

فاقيم مع عجم تابعا ؟ . . أو اقيم في داري فيمن بقي ؟ . .

فانا على ذلك اذ دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في عمرة القضية ، فتغيبت فلم اشهد دخوله .

وكان اخي الوليد بن الوليد قد دخل مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في عمرة القضية فطلبني فلم يجدني فكتب الي كتابا فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، اما بعد : فاني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الاسلام ، وعقلك عقلك ! ومثل الاسلام جهله احد ؟ وقد سألني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عنك . فاستدرك يا اخي ما فاتك .

قال : فلما جاءني كتابه نشطت للخروج ، وزادني رغبة في الاسلام، فلما اجمعت الخروج الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قلت : من اصاحب الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟ فلقيت صفوان بن امية فقلت : يا ابا وهب أما ترى ما نحن فيه ؟ ! انما نحن اكلة رأس[1]وقد ظهر محمد على العرب والعجم ، فلو قدمنا على محمد فاتبعناه فان شرف محمد لنا شرف. فابى اشد الاباء وقال: لو لم يبق غيري من قريش ما تبعته ابدا . فافترقنا وقلت : هذا رجل موتور يطلب وترا ، وقد قتل ابوه ، واخوه ببدر.

.فلقيت عكرمة بن ابي جهل، فقلت له مثل الذي قلت لصفوان ،

---

(١) هم اكلة رأس : اي هم قليل يشبعهم رأس واحد ـ كناية عن القلة والضعف .

فقال لي مثل ما قال صفوان . قلت : فاطو ما ذكرت لك . قال : لا اذكره .

وخرجت الى منزلي فامرت براحلتي، تخرج الي، فخرجت بها الى أن القى عثمان بن طلحة فقلت: ان هذا لي لصديق، ولو ذكرت له ما اريد . . ثم ذكرت من قتل من آبائه فكرهت اذكره ، ثم قلت : وما علي وانا راحل من ساعتي .

فذكرت له ما صار الامر اليه فقلت : انما نحن بمنزلة ثعلب في حرج ، لو صُب عليه ذنوب[1]من ماء لخرج . وقلت له نحوا مما قلت لصاحبي . فاسرع الاجابة وقال: لقد غدوت اليوم وانا أُريد أن اغدو وهذه راحلتي بفخ[2]مناخة .

قال خالد: فاتعدت انا وهو بيأجج ، ان سبقني اقام وان سبقته اقمت عليه . فادلجنا سحرا، فلما يطلع الفجر حتى التقينا بيأجج ، فغدونا حتى انتهينا الى الهدة . فنجد عمرو بن العا ص بها فقال: مرحبا بالقوم ! فقلنا وبك ! قال : اين مسيركم ؟ قلنا ما اخرجك ؟ قال : فما الذي اخرجكم ؟ قلنا : الدخول في الاسلام واتباع محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) . قال : وذلك الذي اقدمني. فاصطحبنا جميعاً حتى قدمنا المدينة فانخنا بظاهر الحرة ركابنا.

فلبست من صالح ثيابي ثم عمدت الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت : اني اشهد ان لا إله الا الله وانك رسول الله . .

---

(١) الذنوب : الدلو العظيمة .

(٢) فخ : واد بمكة ـ معجم البلدان ـ ج٦ ص ٣٤١ .

ثم قلت : يا رسول الله قد رأيت ما كنت اشهد من تلك المواطن عليك معاندا عن الحق، فادع الله ان يغفرها لي. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : الاسلام يجب ما كان قبله .

قال خالد: وتقدم عمرو ، وعثمان فبايعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكان قدومنا في صفر سنة ثمان. [1].

اقول: إن ابا سليمان خالد بن الوليد حضر بين يدي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) واسلم في السنة الثامنة للهجرة . . بعد ان رأى الاسلام قد اتسع وكلمة الله هي العليا. وان الاسلام ظاهر لا محالة. وان المسلمين ينتقلون من نصر الى نصر لا يقف في طريقهم شيء رأى من مصلحته الخاصة أن يسلم ويكون في صفوف المسلمين ، ويكون ايضا من اهل الامارة والزعامة ـ وهذا شيء لا ينكر.

لكن موقفه يوم احد ضد الاسلام والمسلمين ، والرسول العظيم لا ينسى وعلى الاخص حينما قتل من بقي من الحامية التي وضعها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم على جبل احد، ولولا لطف الله تعالى وارادته العظيمة بظهور الاسلام لقضي على المسلمين، وايضاً موقفه يوم الحديبية حينما جاء لصد النبي صلى الله عليه وآله وسلم) والتعرض له على رأس جيش من المشركين على رواية الواقدي وغيره .

اما بعد اسلامه فقد كان يفعل ما يراه ملائماً لمصلحته ، ولا يرضخ لحكم الخليفة ، بل كان يرى في نفسه الترفع والتقدم ، وقد ذكر ابن حجر في الاصابة « كان خالد اذا صار اليه المال قسمه في اهل الغنائم،

---

(١) المغازي للواقدي ـ ج٢ ص ٧٤٨ ـ ٧٤٩ .

ولم يرفع الى ابي بكر حسابا . وكان فيه تقدم على ابي بكر، يفعل اشياء لا يراها ابوبكر. اقدم على قتل مالك بن نويرة ونكح امرأته فكره ذلك ابو بكر . . » وعن مالك بن انس قال : قال عمر لابي بكر : اكتب الى خالد لا يعطي شيئاً الا بامرك . فكتب اليه بذلك ، فاجابه خالد: اما ان تدعني وعملي، والا فشأنك بعملك » . [1].

(١) الاصابة لابن حجر ـ القسم الأول ـ حرف الخاء ـ ص ٤١٤ .

اسلام عمرو بن العاص

روى الواقدي في مغازيه عن عبد الحميد بن جعفر، عن ابيه، قال: قال عمرو بن العاص: كنت للاسلام مجانبا معاندا، فحضرت بدرا مع المشركين فنجوت، ثم حضرت احدا فنجوت، ثم حضرت الخندق ونجوت، فقلت في نفسي: والله ليظهرن محمد على قريش! فخلفت[1] مالي بالرهط وافلت - يعني من الناس - فلم احضر الحديبية ولاصلحها، وانصرف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالصلح، ورجعت قريش الى مكة، فجعلت اقول: يدخل محمد قابلا مكة باصحابه . . ما مكة بمنزل . . ولا الطائف، وما من شيء خير من الخروج، وانا بعد ناء عن الاسلام، ارى لو اسلمت قريش كلها لم أسلم .

فقدمت مكة وجمعت رجالا من قومي، كانوا يرون رأي ويسمعون مني ويقدمونني فيما نابهم . فقلت لهم : كيف انا فيكم ؟ قالوا : ذو رأينا، السيد الشريف، والمقدم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال. قال: قلت : تعلمون والله اني لأرى أمر محمد امراً يعلو الامور علوا منكرا، واني قد رأيت رأيا . قالوا : ما هو؟ قلت : نلحق بالنجاشي

---

(١) في ابن كثير : « فلحقت بمالي بالرهط وافلت من الناس - البداية والنهاية - » .

فنكون عنده، فان كان يظهر محمد كنا عند النجاشي، فنكـون تحت يد النجـاشي احب الينا من ان نكـون تحت يد محمـد. وان تظهـر قريش، فنحن من قد عرفوا، قالوا : هذا الرأي ! . . . .

قال عمرو ـ : فاجمعوا ما تهدونه له . وكان احب ما يهـدى اليه من ارضنا الادم .

قـال: فجمعنا أدمـا كثيرا، ثم خـرجنا حتى قـدمنا عـلى النجاشي، فوالله انا لعنـده اذ جاء عمـرو بن امية الضمـري، وكان رسـول الله قد بعثه اليه بكتاب كتبه اليه يزوجه ام حبيبة بنت ابي سفيان ، فدخل عليه ثم خـرج من عنده، فقلت لاصحـابي: هذا عمـرو بن اميـة ، ولـو قـد دخلت على النجاشي وسألته اياه فاعـطانيه فضـربت عنقه ، فـاذا فعلت ذلك سُرَّت قريش ، وكنت قد اجزأت[1] عنها قتلت رسول محمد .

قال: فدخلت على النجاشي فسجدت له كما كنت اصنع ، فقـال: مـرحبا بصـديقي ! اهديت لي من بـلادك شيئاً ؟ قـال : فقلت نعم ايها الملك ، اهديت لك ادماً كثيـراً . ثم قربتـه اليه ، فـاعجبه ، وفـرق منه اشياء بين بـطارقته ، وامـر بسائـره فادخـل في موضـع ، وامر أن يكتب ويحتفظ به .

فلما رأيت طيب نفسـه قلت : ايها الملك اني قـد رأيت رجلا خـرج من عنـدك وهو رسـول رجل عـدو لنا ، قـد وترنـا ، وقتـل اشـرافنـا ، وخيارنا ، فاعطنيه فاقتله .؟

---

(١) اجزأت عنها : اي كفيتها .

فرفع ـ النجاشي ـ يده فضرب بها أنفي ضربة ظننت أنه كسره ، وابتدر منخاري، فجعلت اتلقى الدم بثيابي، واصابني من الذل ما لو انشقت بي الأرض دخلت فيها فرقا منه[1] .

ثم قلت له : ايها الملك ، لو ظننت انك تكره ما فعلت ما سألتك . فقال: يا عمرو تسألني ان اعطيك رسول رسول الله ! ـ من يأتيه الناموس الا كبر الذي كان يأتي موسى، والذي كان يأتي عيسى بن مريم ـ لتقتله ؟ ! .

قال عمرو : وغير الله قلبي عما كنت عليه، وقلت في نفسي: عرف هذا الحق العرب والعجم وتخالف انت ؟ . . قلت اتشهد ايها الملك بهذا ؟ قال : نعم اشهد به عند الله يا عمرو فاطعني واتبعه ، والله لعلى الحق، وليظهرن على كل دين خالفه، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده .

قلت : أفتبايعني على الاسلام ؟ قال: نعم . فبسط يده فبايعته على الإسلام ، ودعا لي بطست فغسل عني الدم ، كساني ثيابا ، وكانت ثيابي قد امتلأت من الدم فالقيتها .

ثم خرجت الى اصحابي فلما رأوا كسوة الملك ، سُروا بذلك وقالوا : هل ادركت من صاحبك ما اردت ؟ فقلت لهم : كرهت ان اكلمه في أول مرة ، وقلت اعود اليه : قالوا : الرأي ما رأيت . . .

---

(١) فرقا : اي فزعا .

وفارقتهم كاني اعمد لحاجة ، فعمدت الى موضع السفن ، فاجد سفينة قد شحنت ، فركبت معهم ودفعوها حتى انتهوا الى الشعيبة[1]،وخرجت من الشعيبة ومعي نفقة ، فابتعت بعيرا ، وخرجت اريد المدينة حتى خرجت على مر الظهران ، ثم مضيت حتى كنت بالهدة، اذا رجلان قد سبقاني بغير كثير يريدان منزلا ، واحدهما داخل في خيمة ، والآخر قائم يمسك الراحلتين ، فنظرت واذا خالد بن الوليد، فقلت: ابا سليمان ؟ ! قال : نعم .

قلت : اين تريد ؟ قال : محمدا ، دخل الناس في الاسلام، فلم يبق احد به طمع ، والله لو اقمنا لاخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضبع في مغارتها .

قلت : وانا والله قد اردت محمدا ، واردت الاسلام، وخرج عثمان بن طلحة فرحب بي، فنزلنا جميعا في المنزل، ثم ترافقنا حتى قدمنا المدينة ، وانخنا بالحرة .

فلبسنا من صالح ثيابنا ، ونودي بالعصر، فانطلقنا جميعا حتى طلعنا عليه (صلوات الله عليه) ، وان لوجهه تهللا، والمسلمون حوله قد سُروا باسلامنا .

فتقدم خالد بن الوليد فبايع ، ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع . فوالله ما هو الا ان جلست بين يديه، ما استطعت أن أرفع طرفي اليه

---

(١) الشعيبة : على شاطيء البحر بطريق اليمن (معجم ما استعجم - ص ١٨٤) .

حياء منه . فبايعته على ان يغفر لي ما تقدم من ذنبي ، فقال: ان الاسلام يجب ما كان قبله .

اقول: لقد اسلم عمرو بن العاص وجلس بين يدي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ونطق بالشهادتين لكن في اي زمن ؟ . . وفي اي ظرف ؟ . . بعد ان رأى الاسلام قد ظهر وكلمة الله هي العليا .

واسلم عمرو ، واظهر اسلامه ، بعد ان عمل جهده لاطفاء نور الله ، وبعد ان كان المتبرع لمناهضة الاسلام ومحاربة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والمؤمنين من اصحابه .

واسلم عمرو بعد ان افرغ كل ما في وسعه من مكر وخداع لمحو الاسلام وقتل المسلمين قبل اسلامه كذهابه الى الحبشة لاغراء النجاشي بقتل المهاجرين تارة . . . وقتل رسول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عمرو بن امية للنجاشي تارة اخرى .

وبعد اسلامه . ان له من المواقف التي لا تنكر والتي لم يأل جهدا في تفريق كلمة المسلمين وتشتيت شملهم ، اليس هو القائل حينما بلغه قتل الخليفة عثمان : « انا عبد الله ، قتلته وانا بوادي السباع»[1]وقد كان عمرو بن العاص البَّ على عثمان لأنه عزله عن مصر واحلَّ محله ابن ابي سرح . ولما اتصل به امر عثمان وما كان من بيعة علي كتب الى معاوية بن ابي سفيان ـ زميله في عدم الاخلاص للاسلام ـ يهزه ويشير عليه بالمطالبة بدم عثمان ، وكان فيما كتب به اليه :

---

(١) تاريخ الطبري ـ ج٤ ـ ص ٥٦٠ .

ما كنت صانعا اذا قشرت من كل شيء تملكه ؟ فاصنع ما انت صانع . . . فبعث اليه معاوية فسار اليه .

فقال له معاوية : بايعني ، قال: لا والله لا اعطيك من ديني حتى انال من دنياك . قال : معاوية : سل . . قال : مصر طعمة . فاجابه الى ذلك وكتب له به كتابا . وقال عمرو بن العاص في ذلك :

معاوي لا اعطيك ديني ولم انل   به منك دنيا فانظرن كيف تصنع
فان تعطني مصرا فاربح بصفقة   اخذت بها شيخا يضر وينفع[1]

وان مثل عمرو واشباهه الذين ساروا منحرفين عن جادة الحق وراء بهارج الدنيا ادى فعلهم الى الاضطراب العظيم بين صفوف المسلمين .

ان الدولة الاسلامية لما ابتليت به وبامثاله انهارت انهيارها السريع . والا من حق هذه الدولة القوية بعقيدتها ان تستمر ما دامت السماوات والارض .

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ـ ج٢ ـ ص ٣٦٣ .

غزوة مؤتة

بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جيشا الى بلاد الشام في جمادى الاولى سنة ثمان على ما ذكره المؤرخون واصحاب السير، قيل إثر حادث وهو أنه حينما ارسل (صلوات الله عليه) وآله) رسله الى الملوك والرؤساء، يعلمهم انه رسول الله ويدعوهم الى الاسلام . كان من جملة من ارسل اليهم ملك بصرى - من ارض الشام - وكان رسوله اليه الحرث بن عمير الازدي . فعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقال له : اين تريد ؟ فقال له عمير : الشام . قال : لعلك من رسل محمد ؟ قال : نعم ، انا رسول رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) .

فامر به فاوثق رباطا ، وقدمه فضرب عنقه . ولم يقتل لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رسول غيره .

وكان العرب بادىء ذي بدء قد حاربوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) محاربة شديدة، ولم يتركوا وسيلة الا أتوها ، مع ان العرب كما يشهد التاريخ لم يرو النور والحياة الحرة ، والعزة والكرامة الا بعهد الاسلام، وفي ظل الاسلام وتعاليمه السامية .

وقيل: سبب غزوة مؤتة هو قتل اصحاب النبي (صلى الله عيه وآله

وسلم) الخمسة عشر الذين كانوا بقيادة كعب بن عمير الغفاري الى ذات اطلاح من ارض الشام كما اسلفنا .

وعلى كل حال كانت غزوة مؤتة بداية انتفاضة . . وانتقال القتال الى خارج الحجاز ـ وشبه الجزيرة العربية .

ومن المعلوم ان الرسول (صلوات الله عليه وآله) انما كان يغضب لله ، وينتقم لله وينفذ اوامر الله سبحانه وتعالى ، ولم تكن الدوافع النفسية ، أو حب الانتقام هي الغرض من هذه الغزوة أو غيرها .

كما انه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يحارب ويدافع بالعقيدة والايمان ، وليس بالابهة والعظمة ولا في كثرة الجيوش والعدد والعُدد كما يفعله الملوك والسلاطين بل كان مطمئنا بنصر الله وانجاز وعده .

لذلك نجده (صلى الله عليه وآله وسلم) ارسل جيشا مؤلفا من ثلاثة آلاف الى بلاد الشام للدعوة الى الاسلام ، ولمواجهة جيوش الروم واتباعهم العرب . مع العلم ان دولة الروم القيصرية كانت احدى الدولتين ـ الروم والفرس ـ من اعظم دول الارض واكثرها جيوشا .

ارسل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الجيش الى بلاد الشام بقيادة جعفر بن ابي طالب (رضي الله عنه) ومن بعده . . زيد بن حارثة . . ومن بعده عبد الله بن رواحة وهذا ما عليه الشيعة .

ويستفاد ايضاً من أن جعفرا كان امير الجيش عند خروجه من المدينة من قول حسان بن ثابت :

غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم ... الى الموت ميمون النقيبة ازهر
اغر كلون البدر من آل هاشم ... شجاع اذا شيم الظلامة محسر

ومن قول كعب بن مالك :

اذ يهتــدون بجعفــر ولــوائــه   قــدام اولهـم فنــعـم الاول[1]

امـا بقية المؤرخـين قالـوا : ان النبي (صلى الله عليـه وآله وسلم) قال: زيد بن حارثة امير الناس، فـان قتل زيـد فجعفر بن ابي طـالب، فـان قتل جعفـر فعبـد الله بن رواحـة ، فـان قتـل عبـد الله بن رواحـة فليرتض المسلمون بينهم رجلا فليجعلوه عليهم . وعلى كـل حال: لقـد قُتل القادة الثلاث في سبيل الله، واستشهـدوا في نصرة الاسـلام رضوان الله عليهم .

---

(١) جعفر بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم من السابقين الى الإسلام . هاجر الى الحبشة على رأس المسلمين المهاجرين ، وعاد الى المدينة يوم خيبر وفيه قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : والله ما ادري بايهما اسر . . بفتح خيبر ام بقدوم جعفر .
ولد لجعفر من الذكور ثلاثة : عبد الله ولد في الحبشة ، وهو اول مولود ولد للمسلمين فيها ، وقد قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) : عبد الله يشبه خلقي وخُلقي . وقد ضمه اليه يوم قتل والده جعفر وعيناه تدمعان وهو يقول : اللهم اخلف جعفراً في ذريته باحسن ما اخلفت احدا من عبادك الصالحين .
لازم عبد الله عمه امير المؤمنين علياً (عليه السلام) وتخرج من مدرسته وكان من اجواد العرب ويلقب بأبي المساكين وهو زوج زينب الكبرى ابنة علي (عليه السلام) .
وولد لجعفر في الحبشة ايضاً ـ عون ـ الذي استشهد يوم تستر سنة ١٧ في خلافة عمر .
ومحمد بن جعفر ولد في الحبشة ايضاً واستشهد يوم تستر .

ذكـر الواقـدي في مغازيـه : لما اجمعـوا المسير وقـد عقد رسـول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) لهم اللواء ـ لواء ابيض ـ مشى النـاس الى امراء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يودعـونهم ويدعون لهم، وجعـل المسلمون يـودع بعضهم بعضـا، والمسلمـون ثـلاثـة آلاف، فلما سـاروا من معسكـرهم نـادى المسلمـون : دفـع الله عنكم .. وردكم صالحين غانمين .

وصية النبي العظيم للجيش حين خروجه لغزوة مؤتة

روى الواقدي في مغازيه انه خرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مشيعا لاهل مؤتة ، حتى بلغ ثنية الوداع . فوقف ووقفوا حوله ، فقال: اغزوا بسم الله، فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام ، وستجدون فيها رجالا في الصوامع معتزلين للناس، فلا تعرضوا لهم ، وستجدون آخرين للشيطان ، في رؤوسهم مفاحص[1] فاقلعوها بالسيوف، ولا تقتلن امرأة ، ولا صغيرا مرضعا ، ولا كبيرا فانيا، ولا تغرقن نخلا، ولا تقطعن شجرا، ولا تهدموا بيتا .

وفي المغازي ايضا عن زيد بن ارقم: ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : اوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيرا .

أو قال : اغزوا بسم الله في سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، لا تغدروا ولا تغلّوا ، ولا تقتلوا وليدا .

ـ وقال لامير الجيش ـ واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى احدى ثلاث، فأيتهن ما اجابوك اليها فاقبل منهم واكفف عنهم ،

---

(١) اي ان الشيطان قد استوطن رؤوسهم فجعلها له مفاحص كما تستوطن القطا مفاحصها .

ادعهم الى الدخول في الاسلام، فان فعلوا فاقبل منهم واكفف عنهم ، ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين ، فان فعلوا فاخبرهم ان لهم ماللمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين .

وان دخلوا في الاسلام، واختاروا دارهم ، فاخبرهم انهم يكونون كاعراب المسلمين ، يجري عليهم حكم الله، ولا يكون لهم في الفيء ولا في القسمة شيء الا ان يجاهدوا مع المسلمين .

فان ابوا فادعهم الى اعطاء الجزية[1] فان فعلوا فاقبل منهم واكفف عنهم ، فان ابوا فاستعن بالله وقاتلهم .

وان انت حاصرت اهل حصن او مدينة فارادوك ان تستنزلهم على حكم الله، فلا تستنزلهم على حكم الله، ولكن انزلهم على حكمك . . . فانك لا تدري اتصيب حكم الله فيهم أم لا . .

---

(١) الجزية ـ بدل حماية المسلمين لأهل الذمة والذود عنهم والمحافظة عليهم .

مسير جيش المسلمين الى مؤتة

روى ابن هشام في سيرته عن ابن اسحاق انه قال : خرج المسلمون ، وخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى اذا ودعهم وانصرف عنهم ، قال عبد الله بن رواحة :

خلف السلام على امرئٍ ودعته   في النخل خير مشيع وخليل

ثم مضوا حتى نزلوا معان ، من ارض الشام ، فبلغ الناس ان هرقل قد نزل مآب ، من ارض البلقاء ، في مئة الف من الروم ، وانضم اليهم من العرب ـ لخم ، وجذام ، والقين ، وبهراء ، وبلي مئة الف منهم .

فلما بلغ ذلك المسلمين اقاموا على معان ليلتين يفكرون في امرهم ، وقالوا : نكتب الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فنخبره بعدد عدونا ، فاما ان يمدنا بالرجال ، واما ان يأمرنا بامره فنمضي له .

فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال : يا قوم ، والله ان التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقابلهم الا بهذا الدين الذي اكرمنا الله به ، فانطلقوا فانما هي احدى الحسنيين : اما ظهور . . . واما شهادة .

فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة ، ومضوا حتى اذا كانوا

بتخوم البلقاء[1] لقيتهم جموع هرقـل ، من الروم والعـرب ، بقريـة من قرى البلقاء يقال لها مشارف .

ثم دنا العدو ، وانحاز المسلمون الى قرية يقـال لها ـ مؤتـة ـ فالتقى الناس عندها .

فتعبأ لهم المسلمون ، فجعلوا عـلى ميمنتهم رجلاً من بني عـذرة ، يقال له : قطبة بن قتادة . وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصـار يقال لـه : عباية بن مالك ـ وقيل عبادة بن مالك ـ .

---

(١) التخـوم : الحدود الفـاصلة بين ارض وارض ، وهي جمـع تخم ـ انظر اللسـان شرح ابن هشام .

بدء القتال يوم مؤتة

عن ابن اسحاق: انه التقى الناس يوم مؤتة واقتتلوا ، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى شاط[1] في رماح القوم .

ثم اخذ الراية جعفر ـ ابن ابي طالب ـ فقاتل بها ، حتى اذا الحمه القتال اقتحم عن فرس له[2] شقراء ، فعقرها[3] ثم قاتل وهو يقول :

يا حبذ الجنة واقترابها طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة انسابها
علي اذا لاقيتها ضرابها

ثم ان جعفر بن ابي طالب اخذ اللواء بيمينه فقطعت ، فاخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه حتى قتل (رضي الله عنه) وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما

---

(١) يقال شاط الرجل : اذا سال دمه فهلك .

(٢) الحمه القتال : نشب فيه فلم يجد مخلصاً . واقتحم عن فرس له : رمى بنفسه عنها .

(٣) عقرها : قطع قوائمها بالسيف . وفي السيرة الحلبية : هو اول رجل من المسلمين عقر فرسه واول فرس عقر في سبيل الله . عقره خوفاً ان يأخذه الكفار فيقاتلوا عليه المسلمين .

حيث شاء . ويقال ان رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه بنصفين .

فلما قُتل جعفر اخذ عبد الله بن رواحة الراية ، ثم تقدم بها ، وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ، ويتردد بعض التردد ، ثم قال :

يا نفس الا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد اعطيت ان تفعلي فعلهما هديت

يريد صاحبيه زيدا وجعفرا ، ثم نزل . فلما نزل اتاه ابن عم له بعرق[1] من لحم فقال : شد بهذا صلبك ، فانك قد لقيت في ايامك هذه مالقيت ، فاخذه من يده ثم انتهس[2] منه نهسة ، ثم سمع الحطمة[3] في ناحية الناس فقال : وأنت في الدنيا . . . ! ثم القاه من يده . ثم اخذ سيفه فتقدم ، فقاتل حتى قتل .

ثم اخذ الراية ثابت بن اقرم[4] اخو بني العجلان ، فقال : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا : انت ، قال : ما انا بفاعل .

فاصطلح الناس على خالد بن الوليد فلما اخذ الراية دافع القوم ، وحاشى بهم[5] ثم انحاز وانحيز عنه ، حتى انصرف الناس .

---

(١) العرق : العظم الذي عليه بعض لحم .
(٢) انتهس اخذ منه بفمه يسيرا .
(٣) الحطمة : زحام الناس ، وحطم بعضهم بعضاً .
(٤) وقيل : ثابت بن ارقم .
(٥) وحاشى بهم : اي انحاز بهم .

وعن ابن اسحاق ايضاً : لما اصيب القوم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : اخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيداً . ثم اخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيداً . . .

ثم صمت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى تغيرت وجوه الانصار ، وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون .

ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : ثم اخذها عبد الله بن رواحة ، فقاتل بها حتى قتل شهيداً .

ثم قال : لقد رفعوا الي في الجنة ، فيما يرى النائم ، على سرر من ذهب ، فرأيت في سيرير عبد الله بن رواحة ازورارا[1] عن سريري صاحبيه ، فقلت : عم هذا ؟! فقيل لي : مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ، ثم مضى .

وعن اسماء بنت عميس قالت : لما اصيب جعفر واصحابه دخل علي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد دبغت أربعين منا[2] وعجنت عجيني ، وغسلت بني ودهنتهم ونظفتهم .

قالت : فقال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ائتيني ببني جعفر . . . فقالت : فأتيته بهم ، فتشممهم وذرفت عيناه ،

---

(١) ازورارا : ميلا وعوجا .

(٢) المن : هو الرطل الذي يوزن به . وتعنى اربعين رطلا من دباغ .

فقلت : يا رسول الله . . . بابي انت وامي ما يبكيك ؟! ابلغك عن جعفر واصحابه شيء ؟!

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : نعم اصيبوا هذا اليوم .

قالت اسماء : فقمت اصيح واجتمعت الي النساء، وخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى اهله ، فقال : لا تغفلوا آل جعفر من ان تصنعوا لهم طعاماً فانهم قد شغلوا بامر صاحبهم[1] .

ولما قتل جعفر وجدوا فيه بضعاً وتسعين ما بين ضربة بسيف ، وطعنة برمح ، ورمية بسهم ، وهو في ذلك كله مقبل غير مدبر[2] .

اقول : ربما يتبادر الى بعض الاذهان ان غزوة مؤتة كانت هزيمة للمسلمين امام الروم واتباعهم من العرب . لكن اذا امعنا النظر وتأملنا قليلا في نتائجها وما حققته من حب الاستشهاد في سبيل الله، لعلمنا انه النصر في حقيقته وواقعه . اذ أن الروم واتباعهم بجيوشهم الجرارة لم يتمكنوا من القضاء على المسلمين وتشتيت شملهم لما شاهدوه من البطولات والصمود على قلتهم . ولمسوا لمس اليد معنويات جيش الإسلام العالية . وانهم قوم لا يستسلمون ، فدينهم وعقيدتهم الراسخة هي التي جعلتهم في تلك القوة والمنعة . ولولا تلك الرهبة التي القوها في قلوب اعدائهم لطاردوهم ، ولاحقوهم ، وشتتوا شملهم وقضوا عليهم ، لأن جيش المسلمين كان يوم مؤتة ثلاثة آلاف ، والروم

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ـ ص ٢٠ ـ ٢٢ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير : ج٤ ـ ص ٢٥٦ .

واتباعهم كانوا مئتي الف كما نص التاريخ . وفـارق عظيم بـين الجيشين من حيث العدد والعُدد.

ومن نتائج مؤتة ايضاً : انه حينما رجع الجيش الى المدينة واستقبلهم الـرسول (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) واصحـابـه ، استقبلهم النـاس بقولهم يا فرار . وجعلوا يحثون عليهم التراب ويقولـون : يا فـرار فررتم في سبيل الله ! فيقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار ان شاء الله » .

وقد اعقبت غزوة مؤتة في نفوس المسلمين من الحماس ، والانتصار لدين الله ، وحب الاستشهاد مالا يوصف .

وكان من نتائج مؤتة ايضاً انه في غضون ثلاثين سنة . أن اصبحت راية الإسلام خفاقة على شبه الجزيرة العـربية ومـا جاورهـا من بلاد العرب ـ والروم وفارس وغيرها بفضل الله ومنه تعالى .



غزوة ذات السلاسل ـ وسريتي الخبط ـ وخضره ـ

جاء في المغازي للواقدي : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بلغه ان جمعاً من بلي وقضاعة قد تجمعوا يريدون المدينة لغزوه . فدعا عمرو بن العاص وارسله في ثلاثمائة من المهاجرين والانصار ، واعطاهم التعليمات التي تفيدهم في مسيرهم . فساروا يكمنون النهار ويسيرون الليل ، فلما قربوامن بلي وقضاعة بلغهم ان القوم قد اعدوا لهم جمعاً كثيراً . فبعث رافع بن مكيث الجهني الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يخبره . فامدهم بمئتين بقيادة ابي عبيدة بن الجراح . ولما حان وقت الصلاة اراد ابو عبيدة ان يؤم الناس ، فقال له عمرو : انا الامير ، وانما قدمت علي مددا : وتنازعا على ذلك . لكن ابا عبيدة تنازل لعمرو اخيراً ، وأم الناس . ولما سمعت بلي وقضاعة بقدوم المسلمين ، هربوا وتفرقوا في البلاد ولم يكن قتال او غنائم تذكر .

وقد ذكر هذه الغزوة ابن هشام والطبري ايضاً ولم يأتوا على ذكر لعلي بن ابي طالب (عليه السلام) فيها . وان هذه الغزوة كانت في السنة الثامنة للهجرة .

على ان المعروف والمشهور ان علي بن ابي طالب كان له اليد الطولى في هذه الغزوة وانتصار المسلمين فيها .

وجاء في مجمع البيان للطبرسي في تفسير سورة العاديات عن ابي عبد الله (عليه السلام) في حديث طويل وهو : انه نزلت سورة العاديات لما بعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً (عليه السلام) الى ذات السلاسل ، فاوقع بهم ، وذلك بعد ان بعث عليهم مراراً غيره من الصحابة فرجع كل منهم الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منهزما . وقال ايضاً : وسميت هذه الغزوة ذات السلاسل . لأنه أسر منهم وقتل وسبى وشد اسراهم في الحبال مكتفين كأنهم في السلاسل . ولما نزلت السورة خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى الناس فصلى بهم الغداة ، وقرأ فيها : ﴿ **والعاديات** ﴾ فلما فرغ من صلاته ، قال اصحابه : هذه سورة لم نعرفها ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « نعم ان علياً ظفر باعدائه ـ اعداء الله ـ وبشرني بذلك جبرائيل (عليه السلام) في هذه الليلة » فقدم علي (عليه السلام) بعد ايام بالغنائم والاسارى.

وذكر الشيخ المفيد في ارشاده : أنه جاء اعرابي الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واخبره ان قوماً من العرب قد اجتمعوا بوادي الرمل وعملوا على أن يبيتوك بالمدينة : فاستدعى ابا بكر وارسله اليهم . فلما انتهى الى الوادي خرجوا اليه فهزموه وقتلوا من المسلمين جمعاً كثيراً . فلما قدم على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ارسل عمر بن الخطاب فكان نصيبه نصيب صاحبه . فقال عمرو بن العاص ابعثني يا رسول الله اليهم فان الحرب خدعة فانفذه مع جماعة ووصاه فرجع منهزماً ومثّل دور صاحبيه . فساء رسول الله ذلك فدعا امير المؤمنين علياً فعقد له ثم قال : ارسلته كراراً غير فرار . وارسل معه ابا بكر وعمر وعمرو بن

العاص . فسار بهم نحو العراق متنكباً للطريق ، ثم اخذ بهم على محجة غامضة ، وكان يسير الليل ويكمن النهار .

فلما قرب من الوادي امر اصحابه ان يعكموا الخيل ، وقال : لا تبرحوا وانتبذ هو ناحية منهم . فلما رأى عمرو بن العاص لم يشك ان الفتح يكون له ، فقال لأبي بكر : انا اعلم بهذه البلاد من علي وفيها ما هو اشد علينا من بني سليم ، وهي الضباع ، والذئاب ، فان خرجت علينا خفت ان تقطعنا فكلمه يخل عنا حتى نعلوا الوادي . فكلمه ابو بكر فلم يجبه . فكلمه عمر فلم يجبه . فكلمه عمرو بن العاص فلم يجبه .

فقال عمرو : لا ينبغي ان نضيع انفسنا . انطلقوا بنا نعلوا الوادي . فقال له المسلمون : لا والله ما نفعل ، امرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان نسمع لعلي ونطيعه . فنترك امره ونطيع لك ونسمع ! فلم يزالوا كذلك ، حتى احس امير المؤمنين علي بالفجر ، فكبس القوم وهم غارون . فامكنه الله تعالى منهم . ونزلت على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿ **والعاديات ضبحا** ﴾ . فبشر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اصحابه بالفتح وامرهم ان يستقبلوه . . . فاستقبلوه والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقدمهم . فلما بصر بالنبي ترجل له عن فرسه ، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : اركب فان الله ورسوله عنك راضيان . وقال له يا علي لولا أنني اشفق ان تقول فيك طوائف من امتي ما قالت النصارى في المسيح ، لقلت فيك اليوم مقالا لا تمر بملأ من الناس الا اخذوا التراب من تحت قدميك .

ويذكر الامين في اعيان الشيعة : ان الذين ذكروا هذه الغزوة بهذا النحو كل من الراوندي في الخرائج ، وعلي بن ابراهيم في تفسيره ، والزجاج ومقاتل ، ووكيع الثوري ، والسدي وغيرهم .

وذكر الواقدي في مغازيه : سرية الخبط وأنها كانت بقيادة ابي عبيدة بن الجراح في ثلاثمائة من المسلمين ـ وتسمى ايضاً سرية سيف البحر ـ فاصاب المسلمين جوع شديد حتى اكلوا الخبط[1] وحتى انهم كانوا ليقتسموا التمرة . الا ان قيس بن سعد بن عبادة اشترى خمسة جزر من رجل من جهينة على ان يوفيه ثمنها من مال ابيه في المدينة . فقبل الجهني ، ونحر قيس جزورين واطعم الجيش .

وذكر الواقدي ايضاً : سرية خضرة بقيادة ابي قتادة سنة ثمان في شعبان في ستة عشر رجلاً ، بعثهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى غطفان نحو نجد وقال لهم : سيروا الليل واكمنوا النهار ، وشنوا الغارة ، ولا تقتلوا النساء والصبيان . فساروا حتى جاؤا ناحية غطفان هجموا على حاضر منهم عظيم وكان النصر حليفهم . ورجعوا الى المدينة ، بعد ان غنموا مئتي بعير والف شاة وسبيا كثيراً . وكانت مدة غيابهم خمس عشرة ليلة على ما تقول الروايات .

انتهى الجزء الثالث بعون الله ويليه الجزء الرابع .

---

(١) الخبط : ورق الشجر .

الفهرس

الموضوع ـــــــــــــــ الصفحة

الموضوع ـــــــــــ الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع ——— الصفحة

الموضوع	الصفحة